الْبَابُ (٤١)

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٢].

إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ هَذَا الْجُزْءَ مِنَ الْآيَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٢].

أَيْ: بَعْدَ أَنِ امْتَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنِعْمَةِ الْإِيجَادِ، وَنِعْمَةِ الْفِرَاشِ وَالْمِهَادِ، وَنِعْمَةِ السَّمَاءِ الَّتِي هِيَ كَالْبِنَاءِ؛ ذَكَرَ نِعْمَةَ الْإِمْدَادِ الَّذِي تُحْفَظُ بِهِ الْأَجْسَادُ، وَهِيَ مَادَّةُ الْغِذَاءِ الَّتِي بِهَا النُّمُوُّ وَالْبَقَاءُ، فَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أَيْ: وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ فِي إِنْزَالِ الْمَطَرِ؛ فَتَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ، وَيُسْقَى بِهِ الزَّرْعُ وَالشَّجَرُ؛ فَيَخْضَرُّ وَيُورِقُ وَيُزْهِرُ وَيُثْمِرُ؛ رِزْقاً لِعِبَادِهِ تَكُونُ بِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَنَافِعُهُمْ، فَيَلْزَمُنَا أَمَامَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ أَنْ نَتَفَكَّرَ فِيهَا، وَنَتَأَمَّلَ فِي آثَارِ رَحْمَتِهِ، وَمِنَنِهِ الْعَظِيمَةِ، فَنَزْدَادَ عِلْماً بِذَاتِهِ، وَإِجْلَالاً وَتَعْظِيماً، وَتُمْلَأُ قُلُوبُنَا يَقِيناً، أَنَّ الْعَبْدَ عَبْدٌ فَلَا يُعْبَدُ، وَأَنَّ الرَّبَّ رَبٌّ فَلَا يُشْرَكُ بِهِ وَلَا يُجْحَدُ، ثُمَّ قَالَ تَفْرِيعاً وَتَرْتِيباً عَلَى مَا سَبَقَ: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ النِّدُّ فِي اللُّغَةِ: الْمُضَارِعُ وَالْكُفْءُ[1]، وَلَيْسَ يُرَادُ بِالْأَنْدَادِ فِي الْآيَةِ الْمُمَاثِلُونَ للهِ تَعَالَى فِي قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَسُلْطَانِهِ، يُعَارِضُونَهُ فِي الْخَلْقِ، وَيُقَاوِمُونَهُ فِي التَّدْبِيرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزُّخْرُفُ:٨٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونُسُ:٣١]، بَلِ الْمُرَادُ بِالْأَنْدَادِ فِي الْآيَةِ: أُولَئِكَ الَّذِينَ خَضَعَ النَّاسُ لَهُمْ، وَصَمَدُوا إِلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْحَاجَاتِ، فَتَشْمَلُ الرُّؤَسَاءَ الَّذِينَ خَضَعَ لَهُمْ بَعْضُ النَّاسِ خُضُوعاً دِينِيًّا، فَطَلَبُوا مِنْهُمْ مَالَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاتَّخَذُوهُمْ شُرَكَاءَ للهِ فِي الْأَقْوَالِ، فَقَالُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، وَمَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَوْلَا الْقَائِدُ لَهُزِمَ الْجُنْدُ، وَلَوْلَا الْحَارِسُ لَسَرَقَ اللِّصُّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَدْ قَسَّمَ الْمُفَسِّرُونَ الْأَنْدَادَ إِلَى قِسْمَيْنِ:

---

(١) انظر: الأزهري/تهذيب اللغة(١٤/٥١).

قِسْمٌ: يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى بِزَعْمِهِمْ، وَيَتَوَسَّطُ لِصَاحِبِ الْحَاجَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ الشَّفِيعُ نِدًّا؛ لِأَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ مَنْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ عَنْ رَأْيِهِ، وَيُحَوِّلُ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَتَحْوِيلُ الْإِرَادَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِتَغْيِيرِ الْعِلْمِ بِالْمَصْلَحَةِ وَالْحِكْمَةِ؛ إِذِ الْإِرَادَةُ تَابِعَةٌ لِلْعِلْمِ دَائِمًا، وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعْنَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَ السَّلَاطِينِ وَالْحُكَّامِ وَهُوَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْغَبُ عَنِ الْأَسْبَابِ الْقَدَرِيَّةِ الْكَوْنِيَّةِ الْمَأْذُونِ بِهَا فِي الشَّرْعِ إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْأَنْدَادِ وَالشُّفَعَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَ قَلِيلَ الثِّقَةِ بِالسَّبَبِ، أَوْ طَلَبًا لِلتَّعْجِيلِ بِالشِّفَاءِ، وَمِثْلُهُ سَائِرُ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ الَّذِينَ يَلْجَئُونَ إِلَى مَنِ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ لِيَكْفُوهُمْ عَنَاءَ اتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْأَنْدَادِ هُوَ: مَنْ يُتَّبَعُ فِي الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مُبَيِّنًا لِلنَّاسِ مَا جَاءَ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، فَيُعْمَلُ بِقَوْلِهِ وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ دَلِيلُهُ، وَيُتَّخَذُ رَأْيُهُ دِينًا وَاجِبَ الِاتِّبَاعِ، وَإِنْ ظَهَرَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ اعْتِمَادًا عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِمَّنْ قَلَّدُوهُ دِينَهُمْ، وَأَوْسَعُ مِنْهُمْ فَهْمًا فِيمَا نَزَّلَ اللهُ، وَفِي هَؤُلَاءِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ [التَّوْبَةُ:٣١][١]، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: (**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ**)، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ [التَّوْبَةُ:٣١] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: (**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**) قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: (**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**)[٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٢] أَيْ: وَالْحَالُ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا نِدَّ للهِ؛ لِأَنَّكُمْ إِذَا سُئِلْتُمْ: مَنْ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ مَنْ قَبْلَكُمْ؟ تَقُولُونَ اللهُ، وَإِذَا سُئِلْتُمْ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ تَقُولُونَ: اللهُ. فَلِمَاذَا تَسْتَغِيثُونَ إِذَنْ بِغَيْرِ اللهِ، وَتَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ بِهَذِهِ الْوَسَائِطِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَادَّعَيْتُمْ أَنَّهُمْ شُفَعَاؤُكُمْ عِنْدَ اللهِ؟ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَكُمْ أَنَّ التَّقَرُّبَ وَالتَّوَسُّلَ إِلَى اللهِ يَكُونُ بِغَيْرِ مَا شَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ حَتَّى قُلْتُمْ:

---

(١)انظر: رضا/ تفسير المنار (٢/ ٥٥).

(٢)حسن، أخرجه: الطبراني/المعجم الكبير(٢١٨)(١٧/ ٩٢).

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ﴾ [الزُّمَرُ:٣][1].

قَالَ طَنْطَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُبَالَغَةٌ فِي زَجْرِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ دُونِ اللهِ؛ لِأَنَّ ارْتِكَابَ الْبَاطِلِ مِنَ الْجَاهِلِ قَبِيحٌ، وَهُوَ مِنَ الْعَالِمِ بِبُطْلَانِهِ أَشَدُّ قُبْحاً، وَأَدْعَى إِلَى أَنْ يُقَابَلَ بِأَغْلَظِ أَلْوَانِ الْإِنْكَارِ. كَمَا أَنَّ فِيهَا إِثَارَةٌ لِهِمَمِهِمْ؛ لِيُقْلِعُوا عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ لَا يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ أَفْعَالَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ[2].

مُنَاسَبَةُ الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

إِنَّ الْمُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا ظَاهِرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ قَائِمَةٌ عَلَى تَنْزِيهِ اللهِ عَنِ النِّدِّ وَالشَّرِيكِ، إِذْ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ: خَلْقاً وَرِزْقاً وَمُلْكاً، وَالْمُتَفَرِّدُ فِي صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، وَلَمْ يُكَافِئْهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرُّومُ:٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَى:١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الْإِخْلَاصُ:٤]، فَمَنْ جَعَلَ لَهُ نِدّاً فِي الْأَفْعَالِ، كَمَنْ اسْتَعَانَ بِمَنْ سِوَاهُ أَوْ سَأَلَهُ مَالَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

أَوْ جَعَلَ لَهُ نِدّاً فِي الْأَقْوَالِ، كَقَوْلِهِ: لَوْلَا فُلَانٌ لَكَانَ كَذَا، وَمَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، أَوْ حَلَفَ بِهِ؛ فَقَدْ نَاهَضَ التَّوْحِيدَ، وَلَوْ بِقَدْرٍ مَا كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ اسْتَهَلَّ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الْفَوَائِدَ بِبَيَانِ الْأَنْدَادِ فَقَالَ:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ: "الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي. وَتَقُولَ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ" رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[3].

---

(١) رضا/ تفسير المنار (١/ ١٥٨).

(٢) أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره(٢٢٩)(١/٦٢).

(٣) طنطاوي/التفسير الوسيط(١/ ٧٣).

فِي الْأَثَرِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(دَبِيبُ)** مَصْدَرُ الْفِعْلِ دَبَّ، وَالدَّبِيبُ: حَرَكَةٌ عَلَى الْأَرْضِ أَخَفُّ مِنَ الْمَشْيِ.

وَيُقَالُ: نَاقَةٌ دَبُوبٌ، إِذَا كَانَتْ لَا تَمْشِي مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ إِلَّا دَبِيبًا[1].

وَقَوْلُهُ: **(عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ)** الصَّفَا: الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ، وَهُوَ الصَّفْوَانُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَصْفُو مِنَ الطِّينِ وَالْوَحْلِ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ)** أَيْ: إِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الشِّرْكِ خَفِيَّةٌ فِي النَّاسِ، لَا يَكَادُ يَتَفَطَّنُ لَهَا وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْقَلِيلُ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ لِخَفَائِهَا بِمَا هُوَ أَخْفَى شَيْءٍ وَهُوَ أَثَرُ النَّمْلِ، فَإِنَّهُ خَفِيٌّ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ عَلَى صَفَاةٍ مَلْسَاءَ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ سَوْدَاءَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؟ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ خَفَائِهِ عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ، وَعُسْرِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ)**. فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: **(اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ)**[2][3].

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي)** فِيهَا نَوْعَانِ مِنَ الشِّرْكِ:

الْأَوَّلُ: الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ، فِي قَوْلِهِ: (وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي)، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)**[4].

الثَّانِي: التَّسْوِيَةُ بَيْنَ اللهِ وَحَيَاةِ الْمَخْلُوقِ، الْمُسْتَفَادَةِ مِنَ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: (وَاللَّهِ وَحَيَاتِكِ) فَإِنَّ ضَمَّ الْحَيَاةِ إِلَى اللهِ بِالْوَاوِ، تَقْتَضِي الْمُسَاوَاةَ بَيْنَهُمَا فِي التَّعْظِيمِ، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ كَمَا لَا يَخْفَى.

ثُمَّ يُنْظَرُ فِي الْقَسَمِ بِغَيْرِ اللهِ: فَإِنِ اعْتَقَدَ الْحَالِفُ أَنَّ الْمُقْسَمَ بِهِ بِمَنْزِلَةِ اللهِ فِي الْعَظَمَةِ؛ فَهُوَ

---

(١) ابن فارس/ مقاييس اللغة (٢/٢٦٣)، ابن الأثير/ النهاية(٢/٩٦).

(٢) ضعيف، أخرجه: أحمد/ مسنده (١٩٦٠٦) (٣٢/٣٨٤).

(٣) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٠٩).

(٤) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(٣٢٥١)(٣/٢٢٣).

شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَإِلَّا؛ فَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(وَتَقُولَ: لَوْلا كَلْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ)** فِيهِ نِسْبَةُ حِفْظِ المَالِ، وَمَنْعِهِ مِنَ السَّرِقَةِ إِلَى الْكَلْبَةِ الَّتِي مِنْ طَبْعِهَا إِذَا رَأَتْ غَرِيباً نَبَحَتْ، فَيَسْتَيْقِظُ الْأَهْلُ، وَيَهْرُبُ اللِّصُّ، فَإِنَّ إِسْنَادَ حِفْظِ المَالِ وَالْمَتَاعِ إِلَى الْمَخْلُوقِ دُونَ الْخَالِقِ مِنَ الشِّرْكِ، يُعَضِّدُهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَحْسِبُ هَكَذَا قَالَ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُشْرِكُ حَتَّى يُشْرِكَ بِكَلْبِهِ، يَقُولُ: لَوْلَاهُ لَسُرِقْنَا اللَّيْلَةَ)**[1].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: **(وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ)** الْبَطُّ: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ يُتَّخَذُ فِي الْبُيُوتِ، وَإِذَا دَخَلَهَا غَرِيبٌ صَاحَ وَاسْتَنْكَرَهُ، وَهُوَ أَعْجَزُ أَنْ يَحْفَظَ مَالاً مِنْ غَلَبَةِ اللُّصُوصِ، وَالْوَاجِبُ نِسْبَةُ ذَلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عِبَادَهُ وَيَكْلَؤُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ:٤٢][2].

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ)** أَيْ: لَا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا[3]؛ وَإِنَّمَا مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَشْرِيكًا فِي مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَهِيَ مُنْفَرِدَةٌ بِاللَّهِ ﷻ بِالْحَقِيقَةِ، وَإِذَا نُسِبَتْ لِغَيْرِهِ فَبِطَرِيقِ الْمَجَازِ[4].

قَالَ الْمُهَلَّبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ تُشَرِّكُ بَيْنَ الْمُشِيئَيْنِ جَمِيعًا[5].

فَإِذَا اعْتَقَدَ الْقَائِلُ أَنَّ الْعَبْدَ يُسَاوِي الرَّبَّ سُبْحَانَهُ فِي التَّدْبِيرِ وَالْمَشِيئَةِ، فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَإِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ مَشِيئَةَ الرَّبِّ تَعَالَى فَوْقَ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ، لَكِنَّهُ سَوَّى بَيْنَهُمَا فِي اللَّفْظِ؛ فَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ.

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ)** لَمَا كَانَ كَذَا، أَوْ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، أَيْ: مِنَ

---

(١) أخرجه: ابن أبي الدنيا/ الصمت (٣٥٧)(ص١٩٧).

(٢) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥١٠).

(٣) الكرماني/ الكواكب الدراري(٢٣/ ١٠٨).

(٤) القسطلاني/إرشاد الساري(٩/ ٣٨٠).

(٥) ابن الملقن/ التوضيح(٣٠/ ٢٧٣).

الشَّرِّ.

وَقَوْلُهُ: **(لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا)** أَيْ: لَا تَجْعَلْ: فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ فُلَانًا، فَلَا تَقُلْ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ، بَلْ قُلْ: لَوْلَا اللهُ وَحْدَهُ[1].

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: **(هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ)** أَيْ: مَعَ اللهِ، وَهُوَ تَصْرِيحٌ أَنَّ الْأَمُورَ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا هِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الشِّرْكِيَّةِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ اتِّقَاؤُهَا وَعَدَمُ التَّلَفُّظِ بِهَا، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ لَا نِدَّ لَهُ، فَلَا يُحْلَفُ إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَحْصُلُ فِي الْخَلْقِ فَهُوَ بِتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُ فَوْقَ كُلِّ مَشِيئَةٍ، فَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا أَنْ يَنْفَعُوا بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَمْ يَنْفَعُوا، وَلَوِ اجْتَمَعُوا أَنْ يَضُرُّوا بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَمْ يَضُرُّوا.

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ[2].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ)** لَفْظٌ عَامٌّ يَشْمَلُ كُلَّ حَالِفٍ؛ لِأَنَّ (مَنْ) شَرْطِيَّةٌ، فَهِيَ مُسْتَغْرِقَةٌ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَحْلُوفٍ بِهِ سِوَى اللهِ تَعَالَى كَالْكَعْبَةِ، وَالرَّسُولِ، وَالْآبَاءِ، وَالْأَبْنَاءِ، وَالشَّرَفِ، وَنَحْوِهَا.

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْأَيْمَانَ لَا تَصْلُحُ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى كَائِنًا مَا كَانَ، وَأَنَّ مَنْ قَالَ وَالْكَعْبَةِ أَوْ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَوْ آدَمَ وَحَوَّا وَنُوحٍ أَوْ قَالَ: وَعَذَابِ اللهِ، أَوْ ثَوَابِ اللهِ؛ أَنَّهُ قَدْ قَالَ مِنَ الْقَوْلِ هُجْرًا[3].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(بِغَيْرِ اللَّهِ)** لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَةِ (اللهِ) الْاسْمَ، إِذْ لَوْ أُرِيدَ مِنْهُ ذَلِكَ، لَكَانَ الْحَالِفُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى مُشْرِكًا، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى، فَإِذَا حَلَفَ الْمَرْءُ بِالرَّحْمَنِ

---

(١) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٠).

(٢) صحيح، أخرجه: الترمذي/سننه(١٥٣٥)(٣/١٩٥).

(٣) ابن بطال/شرحه على البخاري(٦/٩٧).

أَوْ بِأَيِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ؛ فَقَدْ حَلَفَ بِاللَّهِ[1].

قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا، لَفْظَ الْجَلَالَةِ بِخُصُوصِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا يَنْعَقِدُ الْيَمِينُ بِالْحَلِفِ بِهِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ[2].

وَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ مُنْعَقِدَةٌ بِاللَّهِ، وَبِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَبِجَمِيعِ صِفَاتِ ذَاتِهِ، كَعِزَّتِهِ، وَجَلَالِهِ، وَعِلْمِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ[3].

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ تَنْعَقِدُ بِاللَّهِ وَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ[4].

الثَّالِثَةُ: حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، غَلْقاً لِذَرَائِعِ الشِّرْكِ، وَحِمَايَةً لِجَنَابِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ حَرَامٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ:٨٩]، وَحِفْظُهَا: أَنْ تَكُونَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْإِبْرَارِ بِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ وَأَبِي وَ أَبِي فَقَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)**، قَالَ عُمَرُ ﷺ: فَوَ اللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهِ ذَاكِرًا وَلاَ آثِراً[5].

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلاَ بِالطَّوَاغِيتِ)**[6].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ)**. زَادَ تَمَّامٌ: **(وَلاَ بِالأَنْدَادِ وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ)**[7].

---

(١) ابن عثيمين/القول المفيد(٢/ ٢١٣).

(٢) العراقي/طرح التثريب(٧/ ١٤٦).

(٣) محمد بن آدم الأثيوبي/ذخيرة العقبى(٣٠/ ٢٨٣).

(٤) ابن حجر/ فتح الباري(١١/٥٣١).

(٥) صحيح، أخرجه: الترمذي/ سننه(١٥٣٣)(٤/١٠٩)، وَقَوْلُهُ: (ذَاكِرًا) أَيْ: قَائِلاً لَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِي، وَقَوْلُهُ: (آثِرًا) أَيْ: حَاكِيًا وَنَاقِلاً لَهَا عَنْ غَيْرِي.

(٦) صحيح، أخرجه: النسائي/سننه (٣٧٧٤)(٧/٧).

(٧) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(٣٢٤٨)(٣/٢٢٢).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْمُهَلَّبُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا وَآلِهَتِهَا، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَنْسَخَ مِنْ قُلُوبِهَا وَأَلْسِنَتِهَا ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَيَبْقَى ذِكْرُهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ الْحَقُّ الْمَعْبُودُ، فَالسُّنَّةُ الْيَمِينُ بِاللَّهِ، وَالْحَلِفُ بِالْمَخْلُوقَاتِ فِي حُكْمِ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ، لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ "[1].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(كُلُّ يَمِينٍ يُحْلَفُ بِهَا دُونَ اللهِ شِرْكٌ)**[2].

وَعَنْ قُتَيْلَةَ -امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ- أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **(إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ؛ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ)**[3].

وَعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا)**[4].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَابَقَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُكَ وَالْكَعْبَةِ ثُمَّ سَبَقَنِي، فَقَالَ: سَبَقْتُكَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ أَرَادَ ضَرْبِي وَقَالَ: أَتَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ[5].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: السِّرُّ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ أَنَّ الْحَلِفَ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهُ، وَالْعَظَمَةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ[6].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ) قَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** أَيْ: إِشْرَاكًا جَلِيًّا أَوْ خَفِيًّا؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ الْمَحْلُوفَ بِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّعْظِيمِ الْمَخْصُوصِ بِهِ[7].

---

(١) ابن بطال/ شرحه على البخاري(٦/٩٦).

(٢) صحيح، أخرجه: الحاكم/ مستدركه على الصحيحين(٤٦)(١/٦٦).

(٣) صحيح، أخرجه: النسائي/ السنن الكبرى (٣٧٧٣)(٧/٦).

(٤) صحيح، أخرجه: أبو داود/ سننه (٣٢٥٣)(٣/٢٢٣).

(٥) صحيح، أخرجه: البيهقي/ السنن الكبرى (١٩٨٣١)(١٠/٥٢).

(٦) ابن حجر/ فتح الباري (١١/٥٣١).

(٧) القاري/ مرقاة المفاتيح(٦/٢٢٤٢).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: فَعَلَ فِعْلَ أَهْلِ الشِّرْكِ أَوْ تَشَبَّهَ بِهِمْ؛ إِذْ كَانَتْ أَيْمَانُهُمْ بِآبَائِهِمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ –مع الله- فِي تَعْظِيمِ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يُعَظِّمَهُ؛ لِأَنَّ الْأَيْمَانَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا باللهِ، فَالْحَالِفُ بِغَيْرِهِ مُعَظِّمٌ غَيْرَهُ مِمَّا لَيْسَ لَهُ فَهُوَ يُشْرِكُ غَيْرَ اللهِ فِي تَعْظِيمِهِ[1].

وَقَالَ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لِأَنَّهُ عَظَّمَ غَيْرَهُ تَعَالَى كَتَعْظِيمِهِ، وَجَعَلَ مُجَرَّدَ اللَّفْظِ مَانِعًا لَهُ عَنِ الفِعْلِ، أَوْ جَاءَ بِإِلَهٍ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ، فَكُلُّ مَنْ حَلَفَ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ كِتَابٍ، فَيَدْخُلُ بِهِ الْوَعِيدُ وَأَنَّهُ آتٍ بِخَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْكُفَّارِ[2].

الْخَامِسَةُ: يُسْتَفَادُ مِنَ الْأَدِلَّةِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ تَعْظِيمٌ لِغَيْرِ اللهِ، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ، وَقَدْ يَفْحُشُ فَيَصِيرُ شِرْكًا أَكْبَرَ، **قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:** إِذَا قَامَ بِقَلْبِ الْحَالِفِ تَعْظِيمُ مَنْ حَلَفَ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِثْلُ تَعْظِيمِ اللهِ ﷻ كَانَ شِرْكًا أَكْبَرَ[3].

كَمَا لَوْ قِيلَ لِشَخْصٍ يُخْشَى مِنْهُ الْكَذِبُ: "احْلِفْ باللهِ" يَحْلِفْ كَاذِبًا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: "احْلِفْ بِالشَّيْخِ الْفُلَانِيِّ، أَمْ بِمَنْ يُعَظِّمُهُ" قَالَ: لَا: بَلْ أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ بِالْمُدَّعَى، وَلَا يَحْلِفُ.

وَجَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ: فَإِنْ قَامَ بِقَلْبِهِ تَعْظِيمٌ لِمَنْ حَلَفَ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِثْلُ تَعْظِيمِ اللهِ، فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ فَإِنْ كَانَ جَاهِلاً عُلِّمَ، فَإِنْ أَصَرَّ فَهُوَ وَالْعَالِمُ ابْتِدَاءً سَوَاءٌ، كُلٌّ مِنْهُمَا يَكُونُ مُشْرِكًا شِرْكًا أَكْبَرَ[4].

السَّادِسَةُ: كَفَّارَةُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ أَنْ يَقُولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَيُتْبِعَهَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ)**[5].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ الْمُهَلَّبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ جَرَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ الْحَلِفُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلَمَّا أَسْلَمُوا رُبَّمَا جَرَوْا عَلَى عَادَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُمْ، فَكَانَ مَنْ حَلَفَ بِذَلِكَ، فَكَأَنَّهُ قَدْ رَاجَعَ حَالَهُ إِلَى حَالَةِ الشِّرْكِ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي تَعْظِيمِهِمْ غَيْرَ

---

(١) المناوي/ فيض القدير (٦/ ١٢٠).

(٢) الصنعاني/ التنوير (١٠/ ٢٠٧).

(٣) ابن القيم/الجواب الكافي (ص٢٣٥-٢٣٦).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة(١/ ٢٢٤).

(٥) صحيح، أخرجه: البخاري/ صحيحه (٤٨٦٠) (٦/ ١٤١).

اللهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ عَرَضَ لَهُ ذَلِكَ بِتَجْدِيدِ مَا أَنْسَاهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، إِذْ ذَلِكَ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ. قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ مَعَ إِحْدَاثِ التَّوْبَةِ، وَالنَّدَمِ عَلَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ، وَالْعَزْمِ عَلَى أَلَّا يَعُودَ، وَلَا يُعَظِّمَ غَيْرَ اللهِ[1].

وَعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ؓ قَالَ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ أَصْحَابِي: قَدْ قُلْتَ هُجْرًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ قَرِيبًا، وَإِنِّي حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(قُلْ: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ ثَلاثًا، ثُمَّ انْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلاثًا، وَتَعَوَّذْ وَلا تَعُدْ)**[2].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَفِيهِ الْإِبَانَةُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَتَى أَمْرًا يَكْرَهُهُ اللهُ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا يَرْضَاهُ اللهُ وَيُحِبُّهُ بِخِلَافِهِ، وَنَدِمَ عَلَيْهِ، وَتَرَكَ الْعَوْدَ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَاضِعٌ عَنْهُ وِزْرَ عَمْلِهِ، وَمَاحٍ إِثْمَ خَطِيئَتِهِ، وَذَلِكَ كَالْقَائِلِ يَقُولُ: كَفَرَ بِاللَّهِ إِنْ فَعَلَ كَذَا، فَالصَّوَابُ لَهُ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى قَوْلِهِ نَدَامَةً عَلَى حَلِفِهِ، وَأَنْ يُحْدِثَ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ خِلَافَ مَا قَالَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، كَالرَّجُلِ يَهِمُّ بِرُكُوبِ مَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ تَوْبَتَهُ تَرْكُ الْعَزْمِ عَلَيْهِ، وَالِانْصِرَافُ عَنْ فِعْلِ مَا هَمَّ بِهِ، وَأَنَّ يَهِمَّ بِعَمَلِ طَاعَةٍ للهِ مَكَانَ هَمِّهِ بِالْمَعْصِيَةِ"[3].

وَعَلَيْهِ أَنْ يُتْبِعَ قَوْلَهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) الْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[هُودُ:١١٤].

وَعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ ؓ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: **(اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**[4].

السَّابِعَةُ: الِاقْتِصَارُ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارُ فِي حَقِّ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ دُونَ ذِكْرِ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ؛ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الثَّامِنَةُ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْإِقْسَامِ بِالْمَخْلُوقَاتِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

(١) ابن بطال/ شرحه على البخاري(٦/٩٩).

(٢) صحيح، أخرجه: أحمد/مسنده(١٥٩٠)(٣/١٥٠).

(٣) ابن بطال/ شرحه على البخاري (٦/١٠٠).

(٤) حسن لغيره، أخرجه: أحمد/مسنده(٢١٤٠٤)(٣٥/٣١٩).

﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ [الصَّافَّاتُ:١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ [الذَّارِيَاتُ:١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطُّورُ:١] وَمَا كَانَ مِثْلَهُ؟

فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ فِيهِ حَذْفًا، وَالتَّقْدِيرُ: وَرَبِّ الصَّافَّاتِ، وَرَبِّ الذَّارِيَاتِ، وَرَبِّ الطُّورِ، وَرَبِّ الشَّمْسِ، وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَرَبِّ النَّجْمِ، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ هِيَ إِقْسَامٌ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا بِغَيْرِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا أَرَادَ تَعْظِيمَ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَقْسَمَ بِهِ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ ذَلِكَ[١].

قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْجَوَابُ أَنَّ اللهَ أَقْسَمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ بَيَّنَ الرَّسُولُ مَا أَرَادَ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْلِفَ بِغَيْرِهِ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَالِقُ يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقْسِمَ إِلَّا بِالْخَالِقِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ أُقْسِمُ بِاللَّهِ فَأَحْنَثُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْسِمُ بِغَيْرِهِ فَأَبَرُّ.

وَقَالَ قُطْرُبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا أَقْسَمَ اللهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِيُعْجِبَ مِنهَا الْمَخْلُوقِينَ، وَيُعَرِّفَهُمْ قُدْرَتَهُ فِيهَا لِيَعْظُمَ شَأْنُهَا عِنْدَهُمْ، وَلِدَلَالَتِهَا عَلَى خَالِقِهَا، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقْسِمَ بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ وَشَبَهِهَا؛ لِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ مَنْ وَجَبَتْ لَهُ يَمِينٌ عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ لَا يَحْلِفُ لَهُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَوْ حَلَفَ لَهُ بِالنَّجْمِ أَوْ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَقَالَ: نَوَيْتُ رَبَّ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ يَمِينًا[٢].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْجَوَابُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَنْبِيهًا عَلَى شَرَفِهِ[٣].

التَّاسِعَةُ: فَإِنْ قِيلَ: إِذَا تَقَرَّرَ تَحْرِيمُ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، فَمَا هُوَ تَوْجِيهُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَعْرَابِيِّ: **(أَفْلَحَ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ)**[٤]؟

الْجَوَابُ: لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ وُجُوهٌ:

---

(١) محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبى (٣٠/ ٢٨٤).

(٢) انظر الأقوال السابقة: ابن بطال/ شرحه على البخاري (٦/ ٩٧).

(٣) النووي/ شرحه على مسلم (١١/ ١٠٥).

(٤) أخرجه: مسلم/ صحيحه (١١)(١/ ٤١).

أَحَدُهَا: تَضْعِيفُ هَذَا الْحَدِيثِ، وَإِنْ كَانَ فِي "الصَّحِيحِ"، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "هَذِهِ لَفْظَةٌ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ حَدِيثِ مَنْ يُحْتَجُّ بِهِ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ فِيهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بنِ جَعْفَرٍ هَذَا الْحَدِيثُ وَفِيهِ: **(أَفْلَحَ وَاللَّهِ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَاللَّهِ إِنْ صَدَقَ)** وَهَذَا أَوْلَى مِنْ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى وَأَبِيهِ؛ لِأَنَّهَا لَفْظَةٌ مُنْكَرَةٌ تَرُدُّهَا الْآثَارُ الصِّحَاحُ"[1].

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ بَعْضَ الرُّوَاةِ عَنْهِ صَحَّفَ قَوْلَهُ: "وَأَبِيهِ" مِنْ قَوْلِهِ: "وَاللَّهِ"، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ، وَلَكِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا يَثْبُتُ بِالِاحْتِمَالِ، وَقَدْ ثَبَتَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فِي قِصَّةِ السَّارِقِ الَّذِي سَرَقَ حُلِيَّ ابْنَتِهُ، فَقَالَ فِي حَقِّهِ: (وَأَبِيكَ، مَا لَيْلُكَ بِلَيْلِ سَارِقٍ)[2].

قَالَ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ وَرَدَ نَحْوُهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ مَرْفُوعٍ، قَالَ لِلَّذِي سَأَلَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؛ فَقَالَ: **(أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ)**[3][4].

أُجِيبَ عَلَيْهِ بِأَجْوِبَةٍ:

الْجَوَابُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ كَانَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْصِدُوا بِهِ الْقَسَمَ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا وَرَدَ فِي حَقِّ مَنْ قَصَدَ حَقِيقَةَ الْحَلِفِ، وَإِلَى هَذَا جَنَحَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّهُ الْجَوَابُ الْمَرْضِيُّ[5].

وَتَعَقَّبَهُ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَائِلًا: هَذَا جَوَابٌ فَاسِدٌ، بَلْ أَحَادِيثُ النَّهْيِ عَامَّةٌ مُطْلَقَةٌ لَيْسَ فِيهَا تَفْرِيقٌ بَيْنَ مَنْ قَصَدَ الْقَسَمَ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَقْصِدْ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه حَلَفَ مَرَّةً بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ حَقِيقَةَ الْحَلِفِ بِهِمَا، وَلَكِنَّهُ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ عَلَى مَا كَانُوا يَعْتَادُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا نَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ.

غَايَةُ مَا يُقَالُ: أَنَّ مَنْ جَرَى ذَلِكَ عَلَى لِسَانه مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَمْرًا جَائِزًا لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَادَهُ فَكَلَّا، وَأَيْضًا فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلٍ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ

---

(١) ابن عبد البر/ التمهيد(١٤/ ٣٦٧).

(٢) صحيح، أخرجه: مالك/ الموطأ (٣٠٨٩) (٥/ ١٢٢١).

(٣) أخرجه: مسلم/ صحيحه (١٠٣٢) (٢/٧١٦).

(٤) محمد بن آدم الأثيوبي / ذخيرة العقبى(٣٠/ ٢٨٧).

(٥) النووي/ شرحه على مسلم (١/١٦٨)، محمد بن آدم الأثيوبي / ذخيرة العقبى(٣٠/ ٢٨٨).

مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِلْقَسَمِ، وَأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا وَرَدَ فِي حَقِّ مَنْ قَصَدَ حَقِيقَةَ الْحَلِفِ، وَأَنَّى يُوجَدُ ذَلِكَ؟[1].

الْجَوَابُ الثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: لِلتَّعْظِيمِ، وَالْآخَرُ لِلتَّأْكِيدِ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا وَقَعَ عَنِ الْأَوَّلِ، فَمِنْ أَمْثِلَةِ مَا وَقَعَ فِي كَلَامِهِمْ لِلتَّأْكِيدِ، لَا لِلتَّعْظِيمِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: لَعَمْرُ أَبِي الْوَاشِينَ إِنِّي أُحِبُّهَا.

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى اسْتَوْدَعَتْنِي أَمَانَةً   فَلَا وَأَبِي أَعْدَائِهَا لَا أُذِيعُهَا

فَلَا يُظَنُّ أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ قَصَدَ تَعْظِيمَ وَالِدِ أَعْدَائِهَا، كَمَا لَمْ يَقْصِدْ الْآخَرُ تَعْظِيمَ وَالِدِ مَنْ وَشَى بِهِ، فَدَلَّ أَنَّ الْقَصْدَ بِذَلِكَ تَأْكِيدُ الْكَلَامِ، لَا التَّعْظِيمُ.

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا اللَّفْظُ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُزَادُ فِي الْكَلَامِ لِمُجَرَّدِ التَّقْرِيرِ، وَالتَّأْكِيدِ، وَلَا يُرَادُ بِهِ الْقَسَمُ، كَمَا تُزَادُ صِيغَةُ النِّدَاءِ لِمُجَرَّدِ الِاخْتِصَاصِ، دُونَ الْقَصْدِ إِلَى النِّدَاءِ.

وَقَدْ تُعُقِّبَ الْجَوَابُ: بِأَنَّ ظَاهِرَ سِيَاقِ حَدِيثِ عُمَرَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُهُ؛ لِأَنَّ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا وَأَبِي، لَا وَأَبِي، فَقِيلَ لَهُ. لَا تَحْلِفُوا، فَلَوْلَا أَنَّهُ بِصِيغَةِ الْحَلِفِ مَا صَادَفَ النَّهْيُ مَحِلاًّ[2].

قَالَ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا أَفْسَدُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَكَأَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَتَصَوَّرْ مَا قَالَ، فَهَلْ يُرَادُ بِالْحَلِفِ إِلَّا تَأْكِيدُ الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ بِذِكْرِ مَنْ يُعَظِّمُهُ الْحَالِفُ وَالْمَحْلُوفُ لَهُ؟ فَتَأْكِيدُ الْمَحْلُوفِ عَلَيهِ بِذِكْرِ الْمَحْلُوفِ بِهِ مُسْتَلْزِمٌ لِتَعْظِيمِهِ. وَأَيْضًا فَالْأَحَادِيثُ مُطْلَقَةٌ لَيْسَ فِيهَا تَفْرِيقٌ، وَأَيضًا فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلِ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لِلتَّأْكِيدِ دُونَ التَّعْظِيمِ وَذَلِكَ مَعْدُومٌ[3].

الْجَوَابُ الثَّالِثُ: إِنَّ هَذَا كَانَ جَائِزًا، ثُمَّ نُسِخَ. قَالَهُ الْمَاوَرْدِيُّ، وَحَكَاهُ الْبَيهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَكْثَرُ الشُّرَّاحِ عَلَيهِ، حَتَّى قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ حَتَّى نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَتَرْجَمَةُ أَبِي دَاوُدَ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. يَعْنِي قَوْلَهُ: "بَابُ الْحَلِفِ

---

(١) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٣).

(٢)محمد بن آدم الأثيوبي/ذخيرة العقبى(٣٠/٢٨٨).

(٣) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٣).

بِالْآبَاءِ"، ثُمَّ أَوْرَدَ الْحَدِيثَ الْمَرْفُوعَ الَّذِي فِيهِ: **(أَفْلَحَ وَأَبِيهِ، إِنْ صَدَقَ)**. قَالَ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُظَنُّ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَا يُقْسِمُ بِكَافِرٍ، تَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَبَعِيدٌ مِنْ شِيمَتِهِ. وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دَعْوَى النَّسْخِ ضَعِيفَةٌ؛ لِإِمْكَانِ الْجَمْعِ، وَلِعَدَمِ تَحَقُّقِ التَّارِيخِ.

الْجَوَابُ الرَّابِعُ: أَنَّ فِي الْجَوَابِ حَذْفًا، تَقْدِيرُهُ: أَفْلَحَ وَرَبِّ أَبِيهِ. قَالَهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ[1].

الْجَوَابُ الْخَامِسُ: أَنَّهُ لِلتَّعَجُّبِ، قَالَهُ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَقَالَ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِلَفْظِ "أَبِي"، وَإِنَّمَا وَرَدَ بِلَفْظِ "وَأَبِيهِ" بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ حَاضِرًا، أَوْ غَائِبًا.

الْجَوَابُ السَّادِسُ: أَنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ. وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ الْخَصَائِصَ لَا تَثْبُتُ بِالِاحْتِمَالِ[2].

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ آدَمَ الْأَثْيُوبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَرْجَحُ الْأَقْوَالِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ لَا لِلتَّعْظِيمِ، كَالْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ:

لَأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَتْنِي مُحَارِبُ ... أَطِيبُ سَفَاهًا من سَفَاهَةِ رَأْيِهَا

فَلَا وَأَبِيهَا إِنَّنِي بِعَشِيرَتِي ... وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبُ

فَإِنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقْسِمَ بِأَبِي مَنْ يَهْجُوهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْظَامِ لِحَقِّهِ، فِي أَمْثِلَةٍ كَثِيرَةٍ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا وَرَدَ فِي التَّعْظِيمِ[3].

وَرَجَّحَ جَمْعٌ مِنْ شُرَّاحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْحَدِيثَ مَنْسُوخٌ، **قَالَ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وَهَذَا الْجَوَابُ هُوَ الْحَقُّ، يُؤَيِّدُهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُسْتَعْمَلاً شَائِعًا. حَتَّى وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ،

---

(١) محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبى (٣٠/٢٨٨).

(٢) ابن حجر/ فتح الباري (١١/٥٣٤).

(٣) محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبى (٣٠/ ٢٨٩).

فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ)**[1].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **(أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ)**، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: **(لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)**[2].

وَعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ أَصْحَابِي: قَدْ قُلْتَ هُجْرًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ قَرِيبًا، وَإِنِّي حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(قُلْ: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ ثَلاثًا، ثُمَّ انْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلاثًا، وَتَعَوَّذْ وَلا تَعُدْ)**[3].

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ، فَمَا وَرَدَ فِيهِ ذِكْرُ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ جَارٍ عَلَى الْعَادَةِ قَبْلَ النَّهْيِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَصْلُ حَتَّى وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ[4].

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَقْرَبَهَا الْوَجْهُ الْقَائِلُ بِالنَّسْخِ، وَلَا نَجْزِمُ بِذَلِكَ لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِالتَّارِيخِ، وَلِهَذَا قُلْنَا أَقْرَبُهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[5].

الْعَاشِرَةُ: هَلْ تَنْعَقِدُ يَمِينُ الْحَالِفِ بِغَيْرِ اللهِ ﷻ؟

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى عَدَمِ انْعِقَادِ الْيَمِينِ بِغَيْرِ اللهِ؛ **قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** "وَأَمَّا الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ؛ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَشَايِخِ، وَالْمُلُوكِ، وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، غَيْرُ مُنْعَقِدٍ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ فَمَنْ حَلَفَ بِشَيْخِهِ، أَوْ بِتُرْبَتِهِ، أَوْ بِحَيَاتِهِ، أَوْ بِحَقِّهِ عَلَى اللهِ، أَوْ بِالْمُلُوكِ، أَوْ بِنِعْمَةِ السُّلْطَانِ، أَوْ بِالسَّيْفِ، أَوْ بِالْكَعْبَةِ، أَوْ بِأَبِيهِ، أَوْ تُرْبَةِ أَبِيهِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، كَانَ مَنْهِيًّا عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ"[6].

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ مُطْلَقًا لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ سَوَاءً كَانَ الْمَحْلُوفُ بِهِ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ لِمَعْنًى غَيْرِ الْعِبَادَةِ، كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، وَالْمُلُوكِ، وَالْآبَاءِ،

---

(١) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٦١٠٨)(٨/٢٧).

(٢) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٣٨٣٦)(٥/٤٢).

(٣) صحيح، أخرجه: أحمد/ مسنده (١٥٩٠)(٣/١٥٠).

(٤) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٣).

(٥) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢١٧).

(٤) ابن تيمية/مجموع الفتاوى(١١/٥٠٦).

وَالْكَعْبَةِ، أَوْ كَانَ لَا يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ كَالْآحَادِ، أَوْ يَسْتَحِقُّ التَّحْقِيرَ وَالْإِذْلَالَ كَالشَّيَاطِينِ، وَالْأَصْنَامِ، وَسَائِرِ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ[1].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: "لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا"[2].

فِي الْأَثَرِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(أَحَبُّ إِلَيَّ)** هَذَا مِنْ بَابِ التَّفْضِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ الْجَانِبَيْنِ، وَهَذَا نَادِرٌ فِي الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ التَّفْضِيلَ فِي الْأَصْلِ يَكُونُ الْمَعْنَى فِيهِ ثَابِتًا فِي الْمُفَضَّلِ وَفِي الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ، وَأَحْيَانًا فِي الْمُفَضَّلِ دُونَ الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ، وَأَحْيَانًا لَا يُوجَدُ فِي الْجَانِبَيْنِ؛ فَابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ لَا يُحِبُّ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، وَلَكِنَّ الْحَلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِهِ صَادِقًا، فَالْحَلِفُ كَاذِباً بِاللَّهِ مُحَرَّمٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

١. أَنَّهُ كَذِبٌ، وَالْكَذِبُ مُحَرَّمٌ لِذَاتِهِ.

٢. وَأَنَّهُ قُرِنَ بِالْيَمِينِ، وَالْيَمِينُ تَعْظِيمٌ للهِ ﷻ، فَإِذَا كَانَ عَلَى كَذِبٍ صَارَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ تَنَقُّصٍ للهِ ﷻ؛ حَيْثُ جَعَلَ اسْمَهُ مُؤَكِّدًا لِأَمْرٍ كَذِبٍ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْحَلِفُ بِاللَّهِ كَاذِباً عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ الَّتِي تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ ثُمَّ فِي النَّارِ.

وَأَمَّا الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ مُحَرَّمٌ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الشِّرْكُ، لَكِنَّ سَيِّئَةَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ سَيِّئَةِ الْكَذِبِ، وَأَعْظَمُ مِنْ سَيِّئَةِ الْحَلِفِ بِاللَّهِ كَاذِبًا، وَأَعْظَمُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْحَلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يُغْفَرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [النِّساءُ:٤٨]، وَمَا أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ إِلَّا لِإِبْطَالِ الشِّرْكِ، فَهُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لُقْمَانُ:١٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: **(أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)**[3].

---

(١) ابن حجر/ فتح الباري (١١/ ٥٣٤).

(٢) صحيح، أخرجه: عبد الرزاق/مصنفه(١٥٩٢٩)(٨/٤٦٩).

(٣) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٤٤٧٧) (٦/ ١٨).

وَالشِّرْكُ مُتَضَمِّنٌ لِلْكَذِبِ، فَإِنَّ الَّذِي جَعَلَ غَيْرَ اللهِ شَرِيكًا للهِ كَاذِبٌ، بَلْ مِنْ أَكْذَبِ الْكَاذِبِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا شَرِيكَ لَهُ[1].

الثَّانِيَةُ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا أَعْظَمُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ[2]، **قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** لِأَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ وَالْحَلِفَ بِاَللَّهِ تَوْحِيدٌ. وَتَوْحِيدٌ مَعَهُ كَذِبٌ خَيْرٌ مِنْ شِرْكٍ مَعَهُ صِدْقٌ[3].

الثَّالِثَةُ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَبَيَانُهُ: أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَصْغَرُ، وَالْحَلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا يَمِينٌ غَمُوسٌ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَهِيَ أَهْوَنُ مِنْ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ اعْتِدَاءٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى.

الرَّابِعَةُ: وَفِيهِ شَاهِدٌ لِلْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ وَهِيَ: ارْتِكَابُ أَقَلِّ الشَّرَّيْنِ ضَرَرًا إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا[4].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)**. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[5].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ)** فِيهِ حَذْفٌ، تَقْدِيرُهُ: فَهُوَ كَائِنٌ أَوْ كَانَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ لِلْجَمْعِ وَالِاشْتِرَاكِ[6].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)** أَيْ: ثُمَّ بَعْدَ مَشِيئَةِ اللهِ شَاءَ فُلَانٌ؛ لِأَنَّ ثُمَّ لِلتَّرَاخِي[7].

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢١٧).

(٢) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٥).

(٣) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى (١/ ٨١).

(٤) سليمان آل الشيخ/تيسير العزيز الحميد(ص٥١٥).

(٥) صحيح، اخرجه: أبو داود/سننه(٤٩٨٠)(٥/١٦٣).

(٦) القاري/مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٨).

(٧) القاري/مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٨).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْوَاوُ) حَرْفُ الْجَمْعِ وَالتَّشْرِيكِ، وَ(ثُمَّ) حَرْفُ النَّسَقِ بِشَرْطِ التَّرَاخِي، فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْأَدَبِ فِي تَقْدِيمِ مَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ[1].

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمَّا كَانَ الْوَاوُ حَرْفَ الْجَمْعِ وَالتَّشْرِيكِ مَنَعَ مِنْ عَطْفِ إِحْدَى الْمَشِيئَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى، وَأَمَرَ بِتَقْدِيمِ مَشِيئَةِ اللهِ وَتَأْخِيرِ مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ بِحَرْفِ ثُمَّ الَّذِي هُوَ لِلتَّرَاخِي[2].

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ) هَاهُنَا تَحْتَمِلُ التَّرَاخِي فِي الزَّمَانِ، وَفِي الرُّتْبَةِ، فَإِنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ، وَمَشِيئَةَ غَيْرِهِ حَادِثَةٌ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الْإِنْسَانُ:٣٠]، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَشِيئَةُ الْعَبْدِ لَمْ يَقَعْ أَكْثَرُهَا، فَأَيْنَ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى؟[3].

الثَّالِثَةُ: قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ رَخَّصَ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ، وَلَمْ يُرَخِّصْ فِي اسْمِهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

قُلْتُ: فِيهِ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: قَالَهُ دَفْعًا لِمَظِنَّةِ التُّهْمَةِ فِي قَوْلِهِمْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ تَعْظِيمًا لَهُ وَرِيَاءً لِسُمْعَتِهِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّهُ رَأْسُ الْمُوَحِّدِينَ، وَمَشِيئَتُهُ مَغْمُورَةٌ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُضْمَحِلَّةٌ فِيهَا[4].

وَتَعَقَّبَهُ الْقَارِيُّ قَائِلًا: أَقُولُ: أَصْلُ السُّؤَالِ مَدْفُوعٌ؛ لِأَنَّهُ ﷺ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ فُلَانٍ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَجَوَابُهُ الْأَوَّلُ خَطَأٌ فَاحِشٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، لَكَانَ شِرْكًا جَلِيًّا لَا مَظِنَّةً لِلتُّهْمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَجَوَابُهُ الثَّانِي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ صَحِيحٌ، لَكِنْ لَا يُفِيدُ جَوَازَ الْإِتْيَانِ بِالْوَاوِ، مَعَ أَنَّ مَشِيئَةَ غَيْرِهِ ﷺ أَيْضًا مُضْمَحِلَّةٌ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى سُبْحَانَهُ، وَأَيْضًا مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ وَلَكِنْ قُولُوا

---

(١) الخطابي/معالم السنن (٤/ ١٣١).

(٢) البغوي/شرح السنة (١٢/٣٦٠).

(٣) الطيبي/شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٩٥).

(٤) الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٩٥).

مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ لِمُجَرَّدِ الرُّخْصَةِ، وَلَوْ قَالَ هُنَا قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، لَكَانَ أَمْرَ وُجُوبٍ أَوْ نَدْبٍ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ...[1].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)** فِيهِ إِثْبَاتٌ لِمَشِيئَةِ العَبْدِ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الجَبْرِيَّةِ حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ الْعَبْدَ لَا مَشِيئَةَ لَهُ وَلَا اخْتِيَارَ[2].

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ سَدَّ عَلَى النَّاسِ بَابًا مُحَرَّمًا أَنْ يَفْتَحَ لَهُمُ الْبَابَ الْمُبَاحَ؛ لِقَوْلِهِ: **(وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)** وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا**﴾ [الْبَقَرَةُ:١٠٤] ، لَمَّا نَهَاهُمْ عَنْ قَوْلِ رَاعِنَا؛ قَالَ: ﴿**وَقُولُوا انْظُرْنَا**﴾ وَنَظِيرُهُ مَا كَانَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا جِيءَ لَهُ بِتَمْرٍ جَيِّدٍ وَأَخْبَرَهُ الْآتِي بِهِ أَنَّهُ أَخَذَ الصَّاعَ بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثَةِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَا تَفْعَلْ، بِعْ الجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا)**[3] أَيْ: تَمْرًا جَيِّدًا. فَأَرْشَدَهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُبَاحِ حِينَ نَهَاهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُحَرَّمِ.

وَفِي هَذَا فَائِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ:

الْأُولَى: بَيَانُ كَمَالِ الشَّرِيعَةِ وَشُمُولِهَا، حَيْثُ لَمْ تَسُدَّ عَلَى النَّاسِ بَابًا؛ إِلَّا فَتَحَتْ لَهُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

وَالثَّانِيَةُ: التَّسْهِيلُ عَلَى النَّاسِ، وَرَفْعُ الْحَرَجِ عَنْهُمْ[4].

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ. وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ"[5].

فِي الْأَثَرِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ)** هَذَا مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِ بِحَرْفِ الْوَاوِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ وَالْجَمْعَ، وَلَهُ أَنْ يَقُولَ: **(أَعُوذُ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ)**؛ لِأَنَّ "ثُمَّ" تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ

---

(١) القاري/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٠٩).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢١٩).

(٣) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٢٢٠١) (٣/ ٧٨).

(٤) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢١٩).

(٥) أخرجه: عبد الرزاق/مصنفه(١٩٨١١)(١١/٢٧).

وَالتَّرَاخِي[1].

الثَّانِيَةُ: فَإِنْ قِيلَ: سَبَقَ أَنَّ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةَ بِغَيْرِ اللهِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ مُحَرَّمًا.

أُجِيبَ: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ الْمُحَرَّمَةَ أَنْ تَسْتَعِيذَ بِالْمَخْلُوقِ فِي أَمْرٍ غَيْرِ مَقْدُورٍ لَهُ، كَمَنْ يَعُوذُ بِمَيِّتٍ مِنْ حَيٍّ، أَوْ يَعُوذُ بِصَغِيرٍ فِي الْمَهْدِ مِنْ سَبُعٍ أَوْ عَدُوٍّ ذِي شَوْكَةٍ.

أَمَّا إِنِ اسْتَعَاذَ بِمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُجِيرَكَ أَوْ يُعِينَكَ فَجَائِزٌ، كَمَنْ يَسْتَعِيذُ بِأَبٍ مِنْ شَرِّ ابْنِهِ، أَوْ بِزَوْجٍ مِنْ شَرِّ زَوْجِهِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ)**[2][3].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ بِأَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا؛ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ.

الْخَامِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ (الْوَاوِ) وَبَيْنَ (ثُمَّ) فِي اللَّفْظِ.

---

(١) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٦)، ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٢١).

(٢) أخرجه: مسلم/صحيحه (٢٨٨٦) (٤/ ٢٢١١).

(٣) انظر: ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٢١).

الْبَابُ (٤٢)

مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ

أَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ تَعْظِيمُ اللهِ، وَمِنْ تَعْظِيمِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ تُحِبَّهُ فَوْقَ حُبِّ مَنْ سِوَاهُ، وَأَنْ تَخْشَاهُ فَوْقَ خَشْيَةِ مَنْ سِوَاهُ، وَتَرْجُوهُ وَتَتَوَلَّاهُ، وَتَنْقَادَ لِأَمْرِهِ، وَتَطْلُبَ رِضَاهُ، وَتَحْفَظَ حُدُودَهُ، وَتُعَظِّمَ شَعَائِرَهُ، وَتُؤَدِّيَ فَرَائِضَهُ، وَتَجْتَنِبَ مَحَارِمَهُ، وَتَرْضَى بِقَدَرِهِ، وَتُحْصِيَ أَسْمَاءَهُ.

وَمِنْ تَعْظِيمِ اللهِ: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَكَ بِهِ، وَإِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَكَ بِهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ)**[١]، وَسَيَأْتِي بِشَأْنِهِ فِي بَابٍ لَاحِقٍ مَزِيدُ بَيَانٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

وَمِنْ تَعْظِيمِهِ: أَنْ تَبَرَّ الْقَسَمَ بِهِ؛ لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **(أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَذَكَرَ مِنْهَا: وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ...)**[٢]، مَالَمْ يَكُنْ إِثْمًا، أَوْ يَكُونُ غَيْرُهُ أَبَرَّ للهِ بِهِ، فَعَنْ تَمِيمِ بنِ طَرَفَةَ، قَالَ: جَاءَ سَائِلٌ إِلَى عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ نَفَقَةً فِي ثَمَنِ خَادِمٍ - أَوْ فِي بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ - فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ إِلَّا دِرْعِي، وَمِغْفَرِي، فَأَكْتُبُ إِلَى أَهْلِي أَنْ يُعْطُوكَهَا، قَالَ: فَلَمْ يَرْضَ، فَغَضِبَ عَدِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكَ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ رَضِيَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهَا، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى)** مَا حَنَّثْتُ يَمِينِي[٣].

وَمِنْ تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَى: الْقَنَاعَةُ بِالْحَلِفِ وَالرِّضَى بِهِ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنِ اسْتُرْضِيَ بِهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَقَدْ تَهَاوَنَ فِيمَا أُمِرَ بِتَعْظِيمِهِ.

مُنَاسَبَةُ هَذَا الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

إِنَّ التَّوْحِيدَ قَائِمٌ عَلَى إِجْلَالِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَمِنْ تَعْظِيمِهِ حِفْظُ حُدُودِهِ، وَتَعْظِيمُ شَعَائِرِهِ، وَإِحْصَاءُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّوَسُّلُ وَالْحَلِفُ بِهَا، فَمَنْ تَهَاوَنَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ أُخِذَ مِنْ

---

(١) صحيح، أخرجه: أبو داود/ سننه (١٦٧٢) (٢/ ١٢٨).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه(١٢٣٩)(٢/ ٧١)، مسلم/صحيحه(٢٠٦٦)(٣/١٦٣٥).

(٣) أخرجه: مسلم/صحيحه(١٦٥١)(٣/ ١٢٧٢).

تَوْحِيدِهِ بِقَدْرِهِ، فَإِنْ تَهَاوَنَ بِمَا يُوجِبُ الْكُفْرَ، كَجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْفَرَائِضِ؛ فَسَدَ تَوْحِيدُهُ، وَإِنْ تَهَاوَنَ بِمَا يُوجِبُ الْفِسْقَ، كَمَنْ لَمْ يَرْضَ إِذَا حُلِفَ لَهُ؛ فَقَدْ ذَهَبَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ.

ثُمَّ أَوْرَدَ الْمُصَنِّفُ فِي الْبَابِ حَدِيثاً:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ؛ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ)** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ[1].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)** فِيهِ النَّهْيُ عَنْ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ، وَلَا يَخْتَصُّ النَّهْيُ بِذَلِكَ، بَلْ يَتَعَدَّى إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: **(أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ)**[2]، أَيْ: فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَيُؤَكِّدُهُ قَوْلُهُ: **(فَلْيَصْمُتْ)** أَيْ: عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ)**[3]، فَقَدْ نَهَى عَنْ الْحَلِفِ بِالسِّوَى جَمِيعاً، وَاسْتَثْنَى مِنَ النَّهْيِ الْحَلِفَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ.

وَإِنَّمَا خَصَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْآبَاءَ بِالذِّكْرِ لِأَمْرَيْنِ:

(أَحَدُهُمَا): وُرُودُهُ عَلَى سَبَبٍ، وَهُوَ سَمَاعُهُ ﷺ عُمَرَ رضي الله عنه يَحْلِفُ بِأَبِيهِ.

(ثَانِيهِمَا): خُرُوجُهُ مَخْرَجَ الْغَالِبِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقَعُ مِنْهُمْ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ إِلَّا بِالْآبَاءِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ ﷺ: **(لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)**[4]، وَقَدْ بَيَّنَ حُكْمَ غَيْرِهِ فَقَالَ: **(أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ)**[5][6].

---

(١) حسن، أخرجه: ابن ماجه/سننه(٢١٠١)(١/٦٧٩).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه (٦١٠٨)(٨/ ٢٧).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه (٣٨٣٦)(٥/ ٤٢).

(٤) أخرجه: البخاري/صحيحه (٣٨٣٦)(٥/ ٤٢).

(٥) أخرجه: البخاري/صحيحه (٣٨٣٦)(٥/ ٤٢).

(٦) العراقي/طرح التثريب(٧/ ١٤٢).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْمُهَلَّبُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا وَآلِهَتِهَا، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَنْسَخَ مِنْ قُلُوبِهَا وَأَلْسِنَتِهَا ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَيَبْقَى ذِكْرُهُ تَعَالَى، لِأَنَّهُ الْحَقُّ الْمَعْبُودُ، فَالسُّنَّةُ الْيَمِينُ بِاللَّهِ، وَالْحَلِفُ بِالْمَخْلُوقَاتِ فِي حُكْمِ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ، لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ[1].

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْحَلِفُ بِالْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا فِي حُكْمِ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ لَا يَجُوزُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ[2].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ)** أَيْ: يَنْبَغِي لِلْحَالِفِ أَنْ يَحْلِفَ بِاللَّه صَادِقًا؛ إِذْ لَوْ حَلَفَ كَاذِبًا لَكَانَ يَمِينًا غَمُوسًا، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: **(الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ)** قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **(ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ)** قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **(اليَمِينُ الغَمُوسُ)** قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: **(الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ)**[3].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **(الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ)**[4].

الثَّالِثَةُ: هَلْ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ الْمَحْلُوفُ عَلَيْهِ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ أَوْ يَكْفِي الظَّنُّ؟

الْجَوَابُ: يَكْفِي الظَّنُّ؛ فَلَهُ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى مَا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ؛ كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا"؛ فَأَقَرَّهُ النَّبِيُّ ﷺ[5].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ)** أَيْ: وُجُوبًا؛ تَعْظِيماً للهِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِ شَرْعِهِ، أَوْ قَضَاءِ الْمُحَكَّمِ الْمُجْتَهِدِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: **(وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ)**[6].

---

(١) ابن بطال/ شرحه على البخاري (٦/ ٩٦).

(٢) ابن عبد البر/ التمهيد(١٤/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه(٦٩٢٠)(٩/ ١٤)، مسلم/صحيحه(١٣٨)(١/ ١٢٢).

(٤) أخرجه: مسلم/ صحيحه (١٠٦)(١/ ١٠٢).

(٥) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٢٥).

(٦) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥١٧).

قَالَ الدِّهْلَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حُلِفَ هُنَا بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ، وَهَذَا الْحُكْمُ لِلْمُسْتَحْلِفِ، كَمَا أَنَّ الْحُكْمَ السَّابِقَ لِلْحَالِفِ، فَالْغَرَضُ أَنَّ الْحَالِفَ إِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ يَجِبُ عَلَى الْمُسْتَحْلِفِ تَصْدِيقُهُ، وَلَا يَسْتَحْلِفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، كَالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ، وَبِغَيْرِ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى كَمَا هُوَ شَائِعٌ فِي الْجُهَلَاءِ وَالسُّفَهَاءِ بِأَنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى فُجَاءَةً، وَلَا يَحْلِفُونَ بِمُعْتَقَدِهِمْ مِنْ مَشَائِخِهِمْ وَمَعْبُودِيهِمْ أَصْلاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةُ:٣١]، فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْحَالِفَ إِذَا بَلَغَ فِسْقُهُ بِحَيْثُ اسْتَعْظَمَ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى عَلَى ذَاتِ اللهِ، فَلَيْسَ هُوَ مَحَلاًّ لِلصِّدْقِ؛ لِأَنَّ فِسْقَهُ بَلَغَ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ، وَالْمُسْتَحْلِفُ لَا يَسْتَحْلِفُهُ بِغَيْرِهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا عِبْرَةَ بِحَلِفِهِ أَصْلاً؛ فَإِنَّ الْفَاجِرَ لَا يَتَحَاشَى عَنْ الْحَلِفِ كَاذِبًا بِفُجُورِهِ، فَلَا فَائِدَةَ فِي حَلِفِهِ[١].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: (وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ) أَيْ: لَيْسَ مِنْ دِينِ اللهِ بِشَيْءٍ[٢].

قَالَ السِّنْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ) أَيْ: مِنْ قُرْبِهِ فِي شَيْءٍ...[٣].

وَقَالَ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ بِطَاعَتِهِ اتِّصَالٌ، وَلَا حَظٌّ فِي قُرْبِهِ، وَلَا فِي مَحَبَّتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ[٤].

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ إِذَا حُلِفَ لَهُ؛ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَهَذَا تَبَرُّؤٌ مِنْهُ؛ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَدَمَ الرِّضَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ مُلَاحَظَةِ مَا سَبَقَ، وَقَدْ أَشَرْنَا أَنَّ فِي حَدِيثِ الْقَسَامَةِ دَلِيلاً عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَالِفُ غَيْرَ ثِقَةٍ؛ فَلَكَ أَنْ تَرْفُضَ الرِّضَا بِهِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ ثِقَةٍ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا حَلَفَ لَكَ، وَقَالَ: وَاللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ الْحَقِيبَةَ مِنْ خَشَبٍ، وَهِيَ مِنْ جِلْدٍ؛ فَيَجُوزُ أَنْ لَا تَرْضَى بِهِ؛ لِأَنَّكَ قَاطِعٌ بِكَذِبِهِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يُخَالِفُ الْحِسَّ وَالْوَاقِعَ، بَلْ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسْتَحْسِنُهُ الْعَقْلُ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالصِّحَّةِ وَالْحُسْنِ، وَإِنْ كَانَ الْعَقْلُ لَا يُدْرِكُ أَحْيَانًا مَدَى حُسْنِ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ، وَلَكِنْ لِيُعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ الشَّرْعَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا هُوَ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

---

(١) الدهلوي/ إنجاح الحاجة (ص١٥٢) مطبوع مع حاشية السيوطي.

(٢) المجددي/ شرح سنن ابن ماجه (ص١٥٢).

(٣) السندي/ حاشيته على سنن ابن ماجه (١/ ٦٤٦).

(٤) الصنعاني/ التنوير(١٠/ ١٠٩).

[الْمَائِدَةُ:٥٠]، فَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ حُسْنُ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ؛ فَاتَّهِمْ نَفْسَكَ بِالْقُصُورِ أَوْ بِالتَّقْصِيرِ، أَمَّا أَنْ تَتَّهِمَ الشَّرْعَ؛ فَهَذَا لَا يُمْكِنُ، وَمَا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ فَهُوَ حَقٌّ وَهُوَ أَحْسَنُ الْأَحْكَامِ[1].

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(مَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ)** **قَالَ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ:** وَهَذَا عَامٌّ فِي الدَّعَاوَى وَغَيْرِهَا، مَا لَمْ يُفْضِ إِلَى إِلْغَاءِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ، كَمَنْ تَشْهَدُ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ الشَّرْعِيَّةُ، فَيَحْلِفُ عَلَى تَكْذِيبِهَا فَلَا يُقْبَلُ حَلِفُهُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي)**[2].

فَقَوْلُهُ: **(آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي)** فِيهِ تَأْوِيلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خَبَرٌ جَازِمٌ عَمَّا فَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ السَّرِقَةِ؛ لِكَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَآهُ أَخَذَ مَالًا مِنْ حِرْزٍ فِي خُفْيَةٍ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: كَلَّا نَفْيٌ لِذَلِكَ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِالْيَمِينِ، وَقَوْلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنَيَّ؛ أَيْ: صَدَّقْتُ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ مَا ظَهَرَ لِي مِنْ كَوْنِ الْأَخْذِ الْمَذْكُورِ سَرِقَةً؛ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ أَخَذَ مَا لَهُ فِيهِ حَقٌّ، أَوْ مَا أَذِنَ لَهُ صَاحِبُهُ فِي أَخْذِهِ أَوْ أَخَذَهُ لِيُقَلِّبَهُ وَيَنْظُرَ فِيهِ وَلَمْ يَقْصِدْ الْغَصْبَ وَالِاسْتِيلَاءَ[3]؛ أفاده القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثَّانِي: مَا قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا كَانَ اللهُ ﷻ فِي قَلْبِ الْمَسِيحِ ﵇ أَجَلَّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَحْلِفَ بِهِ أَحَدٌ كَاذِبًا، فَلَمَّا حَلَفَ لَهُ السَّارِقُ دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ تُهْمَتِهِ وَتُهْمَةِ بَصَرِهِ، فَرَدَّ التُّهْمَةَ إِلَى بَصَرِهِ؛ لَمَّا اجْتَهَدَ لَهُ فِي الْيَمِينِ بِاللَّهِ، كَمَا ظَنَّ آدَمُ ﵇ صِدْقَ إِبْلِيسَ لَمَّا حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ ﷻ، وَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَحَداً يَحْلِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى كَاذِبًا[4]؛ وذلك قوله تعالى عن إبليس: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢١].

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ حَتَّى خَدَعَهُمَا، وَقَدْ يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ، فَقَالَ: إِنِّي

---

(١) ابن عثيمين/القول المفيد(٢/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه(٣٤٤٤)(٤/١٦٧).

(٣) أبو العباس القرطبي/المفهم(١٩/٩٣).

(٤) ابن القيم/ إغاثة اللهفان(١/١١٥).

خُلِقْتُ قَبْلَكُمَا وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا فَاتَّبِعَانِي أُرْشِدْكُمَا، وَإِبْلِيسُ أَوَّلُ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا[1].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: مَنْ خَادَعَنَا بِاللَّهِ خَدَعَنَا[2].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ.

الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى.

الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

---

(١) البغوي/تفسيره(٣/ ٢١٩).

(٢) الطبري/تفسيره(١٠/ ١١٠).

الْبَابُ (٤٣)

قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

لَقَدْ زَاغَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الْهُدَى لَمَّا جَعَلُوا للهِ نِدّاً فِي الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْعُبُودِيَّةِ وَالِاتِّبَاعِ، فَاتَّخَذُوا للهِ شَرِيكاً يُحِبُّونَهُ وَيُقَدِّسُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ كَمَا يُحِبُّونَ اللهَ وَيَعْبُدُونَهُ وَيُعَظِّمُونَ أَمْرَهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ التَّسْوِيَةُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فِي الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ بِحَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا مُسَاوِيَةٌ للهِ سُبْحَانَهُ فِي أَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَسْوِيَةً مِنْهُمْ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهَا فِي الْمَحَبَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فَقَطْ مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِالْفَرْقِ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهَا، فَتَصْحِيحُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ تَصْحِيحُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَحَقِيقٌ لِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ سَعَادَتَهَا وَنَجَاتَهَا أَنْ يَتَيَقَّظَ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عِلْماً وَعَمَلاً وَحَالاً وَتَكُونَ أَهَمَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهُ، وَأَجَلَّ عُلُومِهِ وَأَعْمَالِهِ. فَإِنَّ الشَّأْنَ كُلَّهُ فِيهَا وَالْمَدَارَ عَلَيْهَا وَالسُّؤَالَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْهَا[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ التَّسْوِيَةُ إِنَّمَا كَانَتْ فِي الْحُبِّ وَالتَّأْلِيهِ وَاتِّبَاعِ مَا شَرَعُوا، لَا فِي الْخَلْقِ وَالْقُدْرَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ[2].

وَأَنَّى لِلْعَبْدِ أَنْ يُكَافِأَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْعَبْدُ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً.

وَاللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، قَدِيرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، مُتَفَرِّدٌ فِي الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، فَمَنْ سَوَّاهُ بِخَلْقِهِ فَقَدْ أَغْرَقَ فِي الضَّلَالَةِ، وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ:١]، فَقَدْ خَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ لِتَفَرُّدِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هَذِهِ دَلَائِلُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَسَعَةِ عِلْمِهِ، وَعُمُومِ حِكْمَتِهِ، وَانْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ.

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ﴾ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةَ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالشِّرْكِ وَالْمَعْصِيَةِ ﴿وَالنُّورَ﴾

---

(١) ابن القيم/ طريق الهجرتين(ص٢٩٦).

(٢)ابن القيم/التفسير القيم(ص٤١٦).

نُورَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالطَّاعَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أَيْ: يَعْدِلُونَ بِهِ سِوَاهُ، يُسَوُّنَهُمْ بِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَلَوْلَا اللهُ وَأَنْتَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَبِكَ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ، وَأَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ وَبِكَ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَاوُا اللهَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَمَالِ، إِذْ هُمُ الْفُقَرَاءُ الْعَاجِزُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ(١).

فَاسْتَحَقَّ هَؤُلَاءِ مِنَّ اللهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَقَدْ جَاءَ خَبَرُ عَذَابِهِمْ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ، فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ، قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ، فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشُّعَرَاءُ:٩١-١٠٤].

مُنَاسَبَةُ الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

إِنَّ (الْوَاوَ) فِي قَوْلِهِ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ) تُؤْذِنُ بِالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ مَشِيئَةِ اللهِ وَمَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَالْمُسَاوَاةُ بَيْنَ الْمَشِيئَتَيْنِ شِرْكٌ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا نِدَّ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَمَشِيئَةُ اللهِ فَوْقَ كُلِّ مَشِيئَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التَّكْوِيرُ:٢٩].

عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ شِرْكًا أَكْبَرَ، كَمَا لَوِ اعْتَقَدَ قَائِلُهُ أَنَّ الْمَعْطُوفَ مُسَاوٍ للهِ، أَوْ يَكُونَ شِرْكًا أَصْغَرَ، كَمَا لَوْ كَانَتْ الْمُسَاوَاةُ فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ دُونَ الْمُعْتَقَدِ، فَتَكُونُ -وَالْحَالَةُ هَذِهِ- وَسِيلَةً لِلشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، وَقَدْ أَفَادَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ مَا كَانَ وَسِيلَةً لِلشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، فَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ.

وَقَدْ بَدَأَ الْمُصَنِّفُ الْبَابَ بِقَوْلِهِ:

عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، (**فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ:**

---

(١) انظر: السعدي/تفسيره(ص٢٥٠).

مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ[1].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ)** (تُشْرِكُونَ): أَيْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ[2]؛ لِأَنَّكُمْ تَقْرِنُونَ بَيْنَ مَشِيئَةِ الْخَالِقِ وَمَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ بِعِبَارَةٍ تُؤْذِنُ بِالتَّسْوِيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»[3].

وَقَدْ عُدَّ ذَلِكَ شِرْكًا بِالنَّصِّ وَالْإِقْرَارِ، أَمَّا الْإِقْرَارُ: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَرَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى تَسْمِيَةِ هَذَا اللَّفْظِ تَنْدِيدًا أَوْ شِرْكًا.

وَأَمَّا النَّصُّ: فَقَدْ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَلَفُوا أَنْ يَحْلِفُوا بِاللَّهِ، وَالْأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ، فَأَرْشَدَ ذَلِكَ إِلَى مُرَاعَاةِ التَّعْبِيرِ فِي اللَّفْظِ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنِ الشِّرْكِ[4].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ)** أَيْ: تَقُولُونَ فِي حَلِفِكُمْ: وَالْكَعْبَةِ، فَالْوَاوُ وَاوُ الْقَسَمِ.

وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْحَلِفِ بِالْكَعْبَةِ[5]، وَأَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ لِقَوْلِهِ فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ: **(إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ)**.

وَمِنْ أَغْرَاضِ الْقَسَمِ تَعْظِيمُ الْمُقْسَمِ بِهِ؛ فَإِنْ كَانَ الْحَلِفُ بِالْكَعْبَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى الْوَفَاءِ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ كَحَلِفِهِ بِاللَّهِ أَوْ أَشَدَّ؛ فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ فَهُوَ مِنَ الْإِشْرَاكِ فِي اللَّفْظِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ تَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهُ[6].

وَإِذَا كَانَ الْحَلِفُ بِالْكَعْبَةِ شِرْكًا وَمَنْهِيًّا عَنْهُ؛ فَكَيْفَ بِالحَلِفِ بِغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ دُونَهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ شَرَفاً وَمَكَانَةً؟[7].

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)** أَيْ: لِيَكُونَ

---

(١) صحيح، أخرجه: النسائي/سننه(٣٧٧٣)(٦/٧).

(٢) الشوكاني/ نيل الأوطار (٨/ ٢٦٢).

(٣) الصنهاجي/ مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١٠٩).

(٤) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٩).

(٥) الشوكاني/ نيل الأوطار (٨/ ٢٦٢).

(٦)محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبى(٣٠/ ٣٠٦).

(٧) الفوزان/ إعانة المستفيد(٢/ ١٦٧).

الْقَسَمُ بِاللَّهِ، لَا بِمَخْلُوقٍ سِوَاهُ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: (**وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ**) لِأَنَّ "ثُمَّ" لِلتَّرَاخِي، فَتَكُونُ مَشِيئَةُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ[1]، وَإِنْ كَانَ الْأَوْلَى قَوْلَ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ[2].

الْخَامِسَةُ: أَفَادَ الْحَدِيثُ النَّهْيَّ عَنِ الْقَرْنِ بَيْنَ مَشِيئَةِ الْخَالِقِ وَمَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ بِالْوَاوِ وَجَوَازَ الْقَرْنِ بَيْنَهُمَا بِـ(ثُمَّ)[3].

السَّادِسَةُ: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ، وَقَوْلَ الْقَائِلِ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ) تَنْدِيدٌ وَشِرْكٌ فِي الشَّرَائِعِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّهَا جَاءَتْ بِالتَّوْحِيدِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الْأَنْبِيَاءُ:٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النَّحْلُ:٣٦].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُمْ: (**مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ**) دَلِيلٌ عَلَى مَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَأَنَّهَا مُقَيَّدَةٌ وَمُتَأَخِّرَةٌ، بِخِلَافِ مَشِيئَةِ الرَّبِّ تَعَالَى فَإِنَّهَا مُطْلَقَةٌ وَسَابِقَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الْإِنْسَانُ:٣٠][4].

الثَّامِنَةُ: مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَبْدَ مَأْمُورٌ بِقَبُولِ الْحَقِّ أَيْنَمَا وَجَدَهُ؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ مَتَى وَجَدَهَا كَانَ أَحَقَّ بِهَا، وَلَا يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ الْعَدَاوَةُ الشَّخْصِيَّةُ، أَوِ الدِّينِيَّةُ، أَوْ غَيْرُهَا مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ كَيْفَمَا كَانَ، فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْيَهُودِيُّ، وَقَالَ حَقًّا، أَقَرَّهُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِهِ[5].

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. **فَقَالَ: (أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا! مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**[6].

---

(١) محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبي(٣٠/ ٣٠٦).

(٢) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥١٩).

(٣) الصنهاجي/ مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١١٠).

(٤) الصنهاجي/ مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١١٠).

(٥) محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٠/ ٣٠٦).

(٦) صحيح، أخرجه: النسائي/سننه(١٠٧٩٥)(٩/٣٦٢).

هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى، وَلَفْظُهُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلًا! قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)(1).

وَفِيهِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: (أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟) وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: (أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلًا؟) النِّدُّ وَالْعِدْلُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ: الْمُكَافِئُ وَالْمُسَاوِي، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ، وَقَدْ ضُمِّنَ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، فَإِنَّ مَنْ جَعَلَ للهِ نِدًّا؛ فَقَدْ أَتَى شَيْئًا عَجَباً.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: (مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) **قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:** هَذَا مَعَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التَّكْوِيرُ:٢٨]، فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ، وَأَنَا فِي حَسْبِ اللَّهِ وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْكَ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِكَ، وَاللَّهُ لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ.

أَوْ يَقُولُ: وَاللَّهِ، وَحَيَاةِ فُلَانٍ، أَوْ يَقُولُ نَذْرًا لِلَّهِ وَلِفُلَانٍ، وَأَنَا تَائِبٌ لِلَّهِ وَلِفُلَانٍ، أَوْ أَرْجُو اللَّهَ وَفُلَانًا، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَوَازِنْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. ثُمَّ انْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْحَشُ، يَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ قَائِلَهَا أَوْلَى بِجَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَائِلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَهُ نِدًّا لِلَّهِ بِهَا، فَهَذَا قَدْ جَعَلَ مَنْ لَا يُدَانِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - بَلْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ - نِدًّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالسُّجُودُ، وَالْعِبَادَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالتَّقْوَى، وَالْخَشْيَةُ، وَالْحَسْبُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالنَّذْرُ، وَالْحَلِفُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَحَلْقُ الرَّأْسِ خُضُوعًا وَتَعَبُّدًا، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَالدُّعَاءُ، كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ، لَا يَصْلُحُ وَلَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ(2).

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: (قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) أَرْشَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَا يَقْطَعُ عَنْهُ الشِّرْكَ؛ بَلْ يَقْطَعُ عَنْهُ كُلَّ ذَرِيعَةٍ إِلَيْهِ وَإِنْ بَعُدَتْ.

---

(1) صحيح، أخرجه: النسائي/ سننه الكبرى(١٠٧٥٩)(٩/٣٦٢).

(2) ابن القيم/ الداء والدواء (ص١٣٥).

الرَّابِعَةُ: أَنَّ تَعْظِيمَ النَّبِيِّ ﷺ بِلَفْظٍ يَقْتَضِي مُسَاوَاتَهُ للهِ، كَقَوْلِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ قَوْلِهِ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَهُوَ شِرْكٌ.

ثُمَّ يُنْظَرُ: فَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَهُمَا كَانَ شِرْكًا أَكْبَرَ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ شِرْكًا أَصْغَرَ.

الْخَامِسَةُ: وُجُوبُ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ لَحْظَةَ حُصُولِهِ مَا وَسِعَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِالْمُنْكَرِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: **(أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا!)**، مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ فَعَلَ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى هَذَا إِذَا انْحَنَى لَكَ شَخْصٌ عِنْدَ السَّلَامِ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ الْإِنْكَارُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ﷻ؛ أَنْ تَذْكُرَ مَا يُبَاحُ إِذَا ذَكَرْتَ مَا يَحْرُمُ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَمَّا مَنَعَ الْقَائِلَ مِنْ قَوْلِهِ: "مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ" أَرْشَدَهُ إِلَى الْجَائِزِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: **(بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**[1].

وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ - أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا - قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ. قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ. قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: **(هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟)** قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**[2].

هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَرْوِهِ ابْنُ مَاجَهْ بِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ الطُّفَيْلِ، إِنَّمَا رَوَاهُ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَلَفْظُهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) انظر الفوائد (٣-٦): ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٣٠-٢٣١).

(٢) صحيح، أخرجه: ابن ماجه/سننه(٢١١٨)(١/ ٦٨٤).

فَقَالَ: (أَمَا وَاللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُمْ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ)[1]، لَكِنْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِنَحْوٍ مِمَّا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ[2].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: (فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ[3])، أَيْ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْمَسَبَّةِ للهِ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: (قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ) دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى الِاعْتِرَافِ بِالْخَطَأِ، وَقَبُولِ النَّقْدِ فِيهِ، وَسُرْعَةِ الْفَيْئَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ النَّاقِدُ كَافِرًا؛ لِأَنَّ الْحَقَّ أَصِيلٌ لَا يَجُوزُ التَّسْوِيفُ فِي قَبُولِهِ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: (ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ) دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ وَعَدَمِ احْتِجَابِهِ عَنِ النَّاسِ كَالْمُلُوكِ، فَكُلُّ مَنْ أَرَادَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: (فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) فِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بَلِ اسْتِحْبَابُهُ عَلَى التَّأْكِيدِ فِي بَدْءِ الْوَعْظِ، وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الْخُطْبَةِ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ[4].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: (وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا) وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ:

---

(١) صحيح، أخرجه: ابن ماجه/سننه(٢١١٨)(١/٦٨٥).

(٢) صحيح، أخرجه: احمد/مسنده(٢٠٦٩٤)(٣٤/٢٩٦).

(٣) تكتب (عزيز ابن الله) تعالى الله عما يقولون، وكذلك: (عيسى ابن الله) سبحانه؛ وذلك أن همزة (ابن) تحذف إذا وقعت بين علمين متلازمين ثانيهما أب للأول، ولم يفصل بينهما فاصل، ولم ينون الأول منهما نحو: عمر بن الخطاب ﷺ.

قال الأشموني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ جائز، ومثله ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾، وقيل: كاف؛ لتناهي مقول الفريقين، ورسموا «ابن» بألف في الموضعين؛ لأنَّ ألف «ابن» إنَّما تحذف إذا وقع (ابن) صفة بين علمين، ونسب لأبيه، فلو نسب لجده، كقولك: محمد بن هشام الزهري –لم تحذف الألف؛ لأنَّ هشامًا جده، أو نسب إلى أمه –لم تحذف أيضًا، كعيسى ابن مريم، أو نسب إلى غير أبيه –لم تحذف أيضًا، كالمقداد ابن الأسود؛ فأبوه الحقيقي عمرو، وتبناه الأسود، فهو كزيد ابن الأمير، أو زيد ابن أخينا. انظر: الأشموني/منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (١/ ٣٠٤).

(٤) انظر: الفوائد (١-٣): سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٢٥).

(وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا)[١] وَهَذَا الْحَيَاءُ الَّذِي مَنَعَهُ لَيْسَ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِنْكَارِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، وَلَكِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ أَنْ يُنْكِرَ شَيْئًا قَدْ دَرَجَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَأَلِفَهُ النَّاسُ قَبلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْإِنْكَارِ، مِثْلَ الْخَمْرِ بَقِيَ النَّاسُ يَشْرَبُونَهَا حَتَّى حُرِّمَتْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَالرَّسُولُ ﷺ لَمَّا لَمْ يُؤْمَرْ بِالنَّهْيِ عَنْهَا سَكَتَ، وَلَمَّا حَصَلَ التَّنْبِيهُ عَلَى ذَلِكَ بِإِنْكَارِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ رَأَى ﷺ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِنْكَارِهَا؛ لِدُخُولِ اللَّوْمِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالنُّطْقِ بِهَا[٢].

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ: **(أَمَا وَاللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُمْ)** إِنْ مُخَفَّفَةٌ؛ أَيْ: مَا عَرَفْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَكُمْ وَمَا تَفَكَّرْتُ فِي كَلَامِكُمْ حَتَّى أَعْرِفَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَصْدُرُ عَنْكُمْ، وَلَوْ عَرَفْتُ لَنَهَيْتُكُمْ عَنْهَا، وَبِالْجُمْلَةِ فَالنَّهْيُ لَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى مُجَرَّدِ الرُّؤْيَا، بَلْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّهُ عَلِمَ قُبْحَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ لِأَنَّهَا تُوهِمُ الْمُسَاوَاةَ[٣].

قَالَ الصِّنْهَاجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَنَفْيُ مَعْرِفَتِهِ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهٍ يُفِيدُ أَنَّهَا شَيْءٌ مَا كَانَ لِيَخْطُرَ فِي بَالِهِ لِمُنَافَاتِهِ لِإِيمَانِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ، وَعَدَمِ مُنَاسَبَتِهَا لِحَالِهِمْ[٤].

قَالَ: وَالْمَعْنَى: كَانَ بَعْضٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَقُولُونَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهَا نَبِيَّهُ لِيَنْهَاهُمْ عَنْهَا، وَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهَا أَنْ أَطْلَعَهُ عَلَيْهَا بِأَنْ أَرَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ رُؤْيَا فِيهَا تَعْبِيرٌ لَهُمْ بِالشِّرْكِ الَّذِي هُوَ أَبْغَضُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِمْ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ فِي الزَّجْرِ، وَأَعْظَمَ فِي التَّوْبِيخِ، فَذُكِرَتِ الرُّؤْيَا لِلنَّبِيِّ ﷺ لِيعُبِّرَهَا، وكَانُوا يَقُصُّونَ عَلَيْهِ رُؤَاهُمْ، فَنَفَى عِلْمَهُ بِصُدُورِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ إِنْكَارَهُ وَتَعَجُّبَهُ مِنْ صُدُورِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ الشِّرْكِيَّةِ الَّتِي مَا كَانَ لِيُظَنَّ صُدُورَهَا مِنْهُمْ، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ مِنَ اللَّوْمِ وَالتَّعْنِيفِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّوْضِيحِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ، أَوْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ مَا شَاءَ مُحَمَّدٌ[٥].

---

(١) صحيح، أخرجه: أحمد/ مسنده (٢٠٦٩٤)(٣٤/٢٩٦).

(٢) ابن عثيمين/القول المفيد(٢/ ٢٣٤).

(٣) السندي/حاشيته على سنن ابن ماجه(١/٦٥١).

(٤) الصنهاجي/مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١٠٩).

(٥) الصنهاجي/مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١٠٩).

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا)** دَلِيلٌ أَنَّ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا مَنَعَهُ شَيْءٌ مِنْ إِنْكَارِهِ.

قَالَ صَالِحُ آلُ الشَّيْخِ حَفِظَهُ اللهُ: أَمَّا شِرْكُ الْأَلْفَاظِ فَقَدْ يَكُونُ الْفِقْهُ وَمَصْلَحَةُ الدَّعْوَةِ إِعَلَانَ بَعْضِ الْأَحْكَامِ، وَإِسْرَارَ بَعْضِهَا، وَتَقْدِيمَ الْأَهَمِّ عَلَى الْمُهِمِّ، أَمَّا الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ فَلَا مَصْلَحَةَ تَبْقَى مَعَ وُجُودِهِ[1].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)** أَمْرٌ عَلَى الِاسْتِحْبَابِ لَا عَلَى الْوُجُوبِ؛ وَذَلِكَ لِلْقَرِينَةِ الصَّارِفَةِ لَهُ عَنِ الْإِلْزَامِ، وَهِيَ قَوْلُهُ ﷺ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: **(لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)**[2]، فَكَانَ قَوْلُهُ: (قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) عَلَى الْكَمَالِ، وَقَوْلُهُ: (مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ) عَلَى الْجَوَازِ.

الثَّامِنَةُ: أَفَادَ الْحَدِيثُ أَنَّ الْقَرْنَ بَيْنَ مَشِيئَةِ الْخَالِقِ وَمَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ شِرْكٌ، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ قَدْ أَشْرَكْتَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قُصَّتْ عَلَيْهِ ﷺ الرُّؤْيَا، وَفِيهَا قَوْلُ الْيَهُودِيِّ: "لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ" أَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ وَلَمْ يُنْكِرْهُ[3].

التَّاسِعَةُ: أَفَادَ الْحَدِيثُ أَنَّ كَلِمَةَ الشِّرْكِ لَا يَجُوزُ أَنْ تُقَالَ، وَلَوْ كَانَ قَائِلُهَا لَا يَعْتَقِدُ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، كَمَا هُوَ حَالُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ لَا يُشَكُّ فِي سَلَامَةِ قَصْدِهِمْ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ[4].

الْعَاشِرَةُ: مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَثْبُتُ للهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَيَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِحُدُوثِهِ وَافْتِقَارِهِ، مِنْ تِلْكُمُ الصِّفَاتِ: الْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ، وَالْفَضْلُ، وَالْوَاجِبُ عِنْدَ التَّعْبِيرِ الْحَذَرُ مِنَ الْعِبَارَةِ الَّتِي تُؤْذِنُ بِالْمُسَاوَاةِ، فَتَقُولُ فِي الْمَشِيئَةِ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ، أَوْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ، وَتَقُولُ فِي الْعَطَاءِ: هَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ ثُمَّ مِنْ فَضْلِكَ. مَعَ التَّنْبِيهِ أَنَّ ثَمَّةَ مَعَانٍ فِي الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ لَا دَخْلَ لِلْمَخْلُوقِ فِيهِ، لِخُرُوجِهِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَقْدُورَةِ لَهُ، فَلَا يُجْمَعُ بَيْنَ

---

(١) صالح آل الشيخ/ التمهيد(ص٤٦٦).

(٢) صحيح، أخرجه: أبو داود/ سننه(٤٩٨٠)(٤/ ٢٩٥).

(٣) الصنهاجي/ مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١١٠).

(٤) انظر: الصنهاجي/ مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١١٠).

الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ لَا بِالْوَاوِ وَلَا بِثُمَّ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ فِي غَيْثٍ نَزَلَ –مَثَلًا– هَذَا مِنَ اللهِ وَمِنْ فُلَانٍ، وَلَا ثُمَّ مِنْ فُلَانٍ؛ لِأَنَّهُ لَا دَخْلَ لِلْمَخْلُوقِ فِي ذَلِكَ[1].

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: وَفِيهِ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ قَدْ تَكُونَ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ[2] إِذَا الْتَقَتْ مَعَ النَّصِّ أَوْ الْإِجْمَاعِ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ؛ فَلَا عِبْرَةَ بِهَا، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ رُؤْيَا صَالِحَةً[3].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْيَهُودَ عَلَى ضَلَالِهِمْ يَفْهَمُونَ الشِّرْكَ، وَبَعْضُ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَفْهَمُونَ الشِّرْكَ، وَلِذَلِكَ يَرَوْنَ جَوَازَ عِبَادَةِ الْأَضْرِحَةِ وَالْقُبُورِ، وَلَا يَسْتَنْكِرُونَهَا، وَيَقُولُونَ: هَذَا مِنَ التَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ، وَلَيْسَ شِرْكًا، أَوْ هَذَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ. وَيُحَبِّذُونَ هَذَا الشَّيْءَ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَيْسَ بِشِرْكٍ، مَعَ أَنَّهُ شِرْكٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ هَذَا الْيَهُودِيُّ شِرْكٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَبَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يُنْكِرُونَ الشِّرْكَ الْمُخْرِجَ مِنَ الْمِلَّةِ الَّذِي يَعُجُّ الْآنَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، فَفِيهِ أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ أَفْهَمُ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ[4].

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: يَجُوزُ عَطْفُ الرَّسُولِ عَلَى اللهِ بِالْوَاوِ فِي الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؛ **قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾** [النِّسَاءُ: ٦٩]: جَوَازُ عَطْفِ الرَّسُولِ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَاوِ فِي الطَّاعَةِ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ أَمْرَ الرَّسُولِ مِنْ أَمْرِ اللهِ؛ لِقَوْلِهِ: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** وَلِهَذَا نَقُولُ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ أَنْ يَعْطِفَ الْإِنْسَانُ الرَّسُولَ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ شَرْعَ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ شَرْعُ اللهِ، انْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْآيَاتِ: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** ، **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** [النِّسَاءُ: ١٤]، **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾** [التَّوْبَةُ:٥٩]، وَهَذَا إِتْيَانٌ شَرْعِيٌّ، أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْكَوْنِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ يُشَارِكُ اللهَ تَعَالَى فِي

---

(١) الصنهاجي/ مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص١١١).

(٢) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٢٦).

(٣) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٣٨).

(٤) الفوزان/ إعانة المستفيد(٢/ ١٦٩).

رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَذْكُوراً بِحَرْفِ الْعَطْفِ الدَّالِّ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ رَجُلٌ لِلرَّسُولِ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: **(أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**[1].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوىً.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ ﷺ: **(أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟)** فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ[2].

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ لِقَوْلِهِ: **(يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا)**.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَباً لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ.

---

(١) ابن عثيمين/تفسير سورة النساء(٢/٤٩٩).

(٢)ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من وجودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

الْبَابُ (٤٤)

مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

مِنْ مُقْتَضَى التَّوْحِيدِ: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُرَاقِبًا لِمُعْتَقَدِ قَلْبِهِ، وَقَوْلِ لِسَانِهِ، فَلَا يُقِيمُ السَّبَبَ مَقَامَ الْمُسَبِّبِ، وَلَا يُنْزِلُ الظَّرْفَ مَنْزِلَةَ خَالِقِهِ، وَلَا يَشْتِمُ الْأَسْبَابَ وَالظُّرُوفَ إِذَا حَصَلَ عِنْدَهَا الضُّرُّ، فَلَا يَسُبُّ الْجُوعَ وَلَا الظَّمَأَ، وَلَا يَلْعَنُ الْفَقْرَ وَالْمَرَضَ، وَلَا يَنْتَقِصُ الزَّوْجَةَ إِذَا وَضَعَتْ مَا يَكْرَهُ مِنْ أُنْثَى أَوْ ذَكَرٍ، وَلَا يَسُبُّ السَّاعَةَ أَوِ الْيَوْمَ أَوِ الدَّهْرَ إِذَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ مَا يَكْرَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَيْسَتْ فَاعِلَةً بِنَفْسِهَا، إِنَّمَا الْفَاعِلُ هُوَ اللهُ، فَإِذَا اعْتَقَدَ الْعَبْدُ أَنَّهَا فَاعِلَةٌ بِنَفْسِهَا؛ فَقَدْ أَشْرَكَ شِرْكًا أَكْبَرَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِلَّا كَانَ سُوءَ أَدَبٍ مَعَ اللهِ يَتَنَافَى مَعَ كَمَالِ التَّوْحِيدِ دُونَ أَصْلِهِ.

قَوْلُهُ: **(مَنْ سَبَّ)** السَّبُّ: الْقَطْعُ وَالشَّتْمُ، وَالتَّقْبِيحُ، وَالذَّمُّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ[١].

وَقَوْلُهُ: **(الدَّهْرَ)** هُوَ الْأَبَدُ الْمَمْدُودُ، وَرَجُلٌ دَهْرِيٌّ قَدِيمٌ، وَالدَّهْرِيُّ الَّذِي يَقُولُ بِبَقَاءِ الدَّهْرِ وَلَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ.. وَالدَّهْرُ النَّازِلَةُ، دَهَرَهُمْ أَمْرٌ، أَيْ: نَزَلَ بِهِمْ مَكْرُوهٌ[٢].

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الدَّهْرُ الزَّمَانُ.. وَيُجْمَعُ عَلَى دُهُورٍ. وَيُقَالُ: الدَّهْرُ: الْأَبَدُ[٣].

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الدَّهْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ يَقَع عَلَى بَعْضِ الدَّهْرِ الْأَطْوَلِ، وَيَقَعُ عَلَى مُدَّةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ من الْعَرَبِ يَقُول: أَقَمْنَا على مَاءِ كَذَا وَكَذَا دَهْراً، وَدَارُنَا الَّتِي حَلَلْنَا بهَا دَهْراً، وَإِذا كَانَ هَذَا هَكَذَا جَازَ أَن يُقَال: الزَّمَانُ وَالدَّهْرُ وَاحِدٌ فِي مَعْنًى دُونَ مَعْنًى[٤].

وَقَالَ الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الدَّهْرُ: اسْمٌ لِمُدَّةِ الْعَالَمِ مِنْ مَبْدَءِ وُجُودِهِ إِلَى انْقِضَائِهِ، يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ كُلِّ مُدَّةٍ كَثِيرَةٍ، بِخِلَافِ الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ يَقَعُ عَلَى الْمُدَّةِ الْقَلِيلَةِ وَالْكَثِيرَةِ[٥].

---

(١) انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة(٣/٦٣).

(٢) الفراهيدي/العين (٤/٢٣).

(٣) الجوهري/ الصحاح (٢/٦٦١).

(٤) الأزهري/ تهذيب اللغة (٦/ ١١٠).

(٥)الأصفهاني/ المفردات(ص٣١٩).

وَقَوْلُهُ: (**فَقَدْ آذَى اللَّهَ**) **قَالَ ابْنُ فَارِسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:** (الْأَذَيَ) الشَّيْءُ تَتَكَرَّهُهُ وَلَا تَقِدِرُّ عَلَيْهِ[1].

وَقَالَ الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَذَى: مَا يَصِلُ إِلَى الْحَيَوَانِ مِنَ الضَّرَرِ، إِمَّا فِي نَفْسِهِ أَوْ جِسْمِهِ أَوْ تَبِعَاتِهِ، دُنْيَوِيًّا كَانَ أَوْ أُخْرَوِيًّا[2].

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَفْظُ الْأَذَى فِي اللُّغَةِ هُوَ لِمَا خفَّ أَمْرُهُ وَضَعُفَ أَثَرُهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَكْرُوهِ[3].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَذَى اسْمٌ لِقَلِيلِ الشَّرِّ وَخَفِيفِ الْمَكْرُوهِ بِخِلَافِ الضَّرَرِ؛ فَلِذَلِكَ أُطْلِقَ عَلَى الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَضُرُّ الْمُؤْذِي فِي الْحَقِيقَةِ[4].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الله ﷻ يُبْغِضُ ذَلِكَ وَيَكْرَهُهُ؛ لِأَنَّهُ تَنَقُّصٌ لله ﷻ، والله ﷻ يَتَأَذَّى بِبَعْضِ أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَأَقْوَالِهِمُ الَّتِي فِيهَا إِسَاءَةٌ فِي حَقِّهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّ الله لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ[5].

وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْأَذِيَّةِ الضَّرَرُ؛ فَالْإِنْسَانُ يَتَأَذَّى بِسَمَاعِ الْقَبِيحِ أَوْ مُشَاهَدَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ، وَيَتَأَذَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ كَالْبَصَلِ وَالثَّوْمِ وَلَا يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ اللهُ الْأَذِيَّةَ فِي القرآن، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾ [الْأَحْزَابُ:٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التَّوْبَةُ:٦١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [الْأَحْزَابُ:٦٩].

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: (**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[6].

---

(١) ابن فارس/ مقاييس اللغة (١/ ٧٨).

(٢) الأصفهاني/ المفردات(ص٧١).

(٣) ابن تيمية/ الصارم المسلول(ص٥٧).

(٤) ابن تيمية/ الصارم المسلول(ص٧٤).

(٥) الفوزان/ إعانة المستفيد(٢/ ١٧٤).

(٦) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٢٢٤٦) (٤/ ١٧٦٢).

وَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٧٦].

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي)[(١)][(٢)].

مُنَاسَبَةُ هَذَا الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

أَنَّ سَبَّ الدَّهْرِ مِنَ الْعَوَائِدِ الْجَاهِلَةِ، وَفِعْلُهَا مُنَافٍ لِكَمَالِ التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ، فَإِنَّ الْجَهَلَةَ إِذَا حَصَلَ لَهُمْ فِي زَمَانٍ مَالَا يَسُرُّ؛ سَبُّوا ذَلِكَ الزَّمَانَ، وَلَعَنُوا تِلْكَ الْحَادِثَةِ، يَتَعَامَوْنَ عَنْ طَيْشِ عُقُولِهِمْ، وَحُمْقِ أَنْفُسِهِمْ؛ أَنَّ الزَّمَانَ لَا إِرَادَةَ لَهُ وَلَا مَشِيئَةَ؛ بَلْ هُوَ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْحُمْقُ حَاضِرَاً فِي مَجَارِي الْعَادَاتِ؛ نَاسَبَ إِدْرَاجُهُ ضِمْنَ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ.

وَسَبُّ الدَّهْرِ مُحَرَّمٌ، وَهُوَ دَرَجَاتٌ، وَأَعْلَاهَا لَعْنُهُ؛ لِأَنَّ تَوَجُّهَ اللَّعْنِ إِلَى الدَّهْرِ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْمَسَبَّةِ، وَأَقْبَحُهَا، وَلَيْسَ مِنْ مَسَبَّةِ الدَّهْرِ وَصْفُ السِّنِينَ بِالشِّدَّةِ، وَلَا وَصْفُ الْيَوْمِ بِالسَّوَادِ، وَلَا وَصْفُ الْأَشْهُرِ بِالنَّحْسِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُقَيَّدٌ، وَهَذَا جَاءَ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [فُصِّلَتْ:١٦]. فَوَصَفَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْأَيَّامَ بِأَنَّهَا نَحِسَاتٌ، أَيْ: عَلَيْهِمْ؛ لِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ الْحَرَجِ وَالشِّدَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي سُورَةِ الْقَمَرِ: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [الْقَمَرُ:١٩]، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ سَبِّ الدَّهْرِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ أَنَّ النَّحَاسَةَ وَصْفٌ لِلْفِعْلِ الْحَاصِلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَأَمَّا سَبُّ الدَّهْرِ فَلَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ بِنَفْسِهِ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

الثَّانِي: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْفَاعِلُ، وَأَنَّ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَحْصُلُ فِي الدَّهْرِ هِيَ مِنْ فِعْلِ اللهِ، فَيَكْرَهُونَ بَعْضَهَا، فَيَسْتَرِيحُونَ إِلَى سَبِّ الدَّهْرِ، وَالْمَسْبُوبُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ اللهُ الْفَاعِلُ[(٣)].

وَبَدَأَ الْمُصَنِّفُ الْبَابَ مُسْتَدِلّاً بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٢٥٧٧) (٤/ ١٩٩٤).

(٢) انظر: ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٤١).

(٣) صالح آل الشيخ/التمهيد(ص٤٦٨).

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الْجَاثِيَةُ: ٢٤] الْآيَةَ.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ، وَقالُوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا﴾ أَيْ مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وأَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَتَنَاهَى، فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أَيْ يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ[1].

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَقُولُونَ: الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُفْنِينَا الدَّهْرُ وَالزَّمَانُ، ثُمَّ يَسُبُّونَ مَا يُفْنِيهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ بِذَلِكَ الدَّهْرَ وَالزَّمَانَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: أَنَا الَّذِي أُفْنِيكُمْ وَأُهْلِكُكُمْ، لَا الدَّهْرُ وَالزَّمَانُ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِذَلِكَ...عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينَا، فَقَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الْجَاثِيَةُ: ٢٤] قَالَ: «فَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ»، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **(يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)**[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(يَقُولُ اللهُ: اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْنِي، وَيَشْتُمُنِي عَبْدِي، وَهُوَ لَا يَدْرِي، يَقُولُ: وَادَهْرَاهْ، وَادَهْرَاهْ، وَأَنَا الدَّهْرُ)**[3][4].

قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ: قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ)** كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ

---

(١) ابن كثير/ تفسيره (٧/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه: البخاري/ صحيحه(٤٨٢٦)(٦/ ١٣٣)، مسلم/ صحيحه(٢٢٤٦)(٤/ ١٧٦٢).

(٣) حسن، أخرجه: أحمد/ مسنده(٧٩٨٨)(١٣/ ٣٦٨).

(٤) الطبري/ تفسيره(٢١/ ٩٦).

قَالُوا: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَيَنْسِبُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلِهَذَا نُهِيَ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ[1].

وَقَالَ مَكِّيٌّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَقَالَ الدَّهْرِيُّونَ الَّذِينَ يَرْبِطُونَ التَّغَيُّرَاتِ فِي الْكَوْنِ بِمُرُورِ الْأَزْمَانِ، وَتَحَرُّكِ عَنَاصِرِ الْكَوْنِ وَأَجْزَائِهِ: مَا الْحَيَاةُ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، نَمُوتُ وَنَحْيَا فِيهَا، وَمَا يُحْيِينَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا مَرُّ الزَّمَانِ، وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ عِلْمِيٌّ مَهْمَا كَانَ ضَعِيفاً، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحْدَاثَ الْكَوْنِ، وَمِنْهَا الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، مِنْ آثَارِ مُرُورِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ، وَحَرَكَةِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ، مَا هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ظَنّاً تَوَهُّمِيّاً ضَعِيفاً[2].

قُلْتُ: وَقَدْ جَاءَتِ الْآيَاتُ بَعْدَ فِرْيَتِهِمْ تُظْهِرُ ضَعْفَ حُجَّتِهِمْ، وَفَرْطَ جَهَالَتِهِمْ، وَتُجَلِّي حَقِيقَةَ الْأَمْرِ: أَنَّ اللهَ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ**﴾[الْجَاثِيَةُ:٢٥-٢٧].

أَيْ: وَإِذَا تُتْلَى عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ آيَاتُنَا وَاضِحَاتٍ، مُثْبِتَاتٍ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَ إِنْهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ مَقْبُولَةٌ فِي مَقَايِيسِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ إِلَّا أَنْ قَالُوا بِطَرِيقَةٍ دِعَائِيَّةٍ غَوْغَائِيَّةٍ: إِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَأْتُوا بِآبَائِنَا الَّذِينَ مَاتُوا لِيَشْهَدُوا لَنَا بِصِحَّةِ الْبَعْثِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَى وُقُوعِ الْبَعْثِ.

قُلْ -يَا رَسُولَ اللهِ- لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: اللهُ سُبْحَانَهُ يُحْيِيكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ، وَيُتَابِعُ إِحْيَاءَكُمْ إِلَى آجَالِكُمُ الْمُقَدَّرَةِ لِمَوْتِكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ فِيهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ، ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ مَسُوقِينَ مَحْشُورِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا شَكَّ فِي هَذَا الْجَمْعِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا هَذِهِ الْحَقَائِقَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ يُلْجِمُهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَكَثِيرٍ مِنْ رَغَبَاتِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

---

(١) ابن كثير/تفسيره(٧/ ٢٤٨).

(٢) مجد مكي/تفسيره(ص٥٠١).

وَللهِ سُبْحَانَهُ –وَحْدَهُ– مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلْقاً وَمُلْكاً وَتَدْبِيراً، وَيَوْمَ تَقُومُ سَاعَةُ بَعْثِ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، يَوْمَئِذٍ يَظْهَرُ خُسْرَانُ الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ، وَسَلَكُوا سَبِيلَهُ[1].

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيْنَ مُطَابَقَةُ الْآيَةِ لِلتَّرْجَمَةِ إِذَا كَانَتْ خَبَرًا عَنْ الدَّهْرِيَّةِ الْمُشْرِكِينَ؟

قِيلَ: الْمُطَابَقَةُ ظَاهِرَةٌ؛ فَإِنَّهُمْ يَنْسِبُونَ الْإِمَاتَةَ إِلَى الدَّهْرِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ التَّكْذِيبَ وَالْإِنْكَارَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ إِنْكَارَ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ نِسْبَةَ مَا للهِ لِغَيْرِهِ جُرْأَةٌ جَاهِلَةٌ تُؤْذِي اللهَ تَعَالَى[2].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[3].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: (**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ**) حَمَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ هَذَا اللَّفْظَ عَلَى الْمَجَازِ، وَنَفَوْا حُصُولَ الْإِيذَاءِ فِي حَقِّ اللهِ ﷻ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ مَجَازٌ، وَالْبَارِئُ تَعَالَى لَا يَتَأَذَّى مِنْ شَيْءٍ فَيُحْمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ هَذَا عِنْدَكُمْ أَذىً؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحَبَّ آخَرَ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَسُبَّهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ السَّبَّ يُؤْذِيهِ، وَالْمَحَبَّةُ تَمْنَعُ مِنَ الْأَذَى وَمِنْ فِعْلِ مَا يَكْرَهُهُ الْمَحْبُوبُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَفْعَلُ مَا أَنْهَاهُ عَنْهُ وَمَا يُخَالِفُنِي فِيهِ، وَالْمُخَالَفَةُ فِيمَا أَذىً فِيمَا بَيْنَكُمْ فَتَجُوزُ فِيهَا فِي حَقِّ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ[4].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ: يُعَامِلُنِي مُعَامَلَةً تُوجِبُ الْأَذَى فِي حَقِّكُمْ[5].

وَقَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ فِي حَقِّي مَا أَكْرَهُ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ مَا لَا يَلِيقُ بِي، أَوْ مَا يَتَأَذَّى بِهِ مَنْ يَصِحُّ فِي حَقِّهِ التَّأَذِّي؛ وَلِذَا قِيلَ: هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ؛ لِأَنَّ تَأَذِّي اللَّهَ تَعَالَى

---

(١) مجد مكي/ تفسيره (ص٥٠١).

(٢) انظر: سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٢٧).

(٣) أخرجه: البخاري/ صحيحه(٤٨٢٦)(٦/ ١٣٣)، مسلم/ صحيحه(٢٢٤٦)(٤/ ١٧٦٢).

(٤) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٧/ ١٨٤).

(٥) النووي/ شرحه على مسلم (١٥/ ٢).

مُحَالٌ، فَإِمَّا أَنْ يُفَوِّضَ، وَإِمَّا أَنْ يُئَوِّلَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَقَدْ يُطْلَقُ الإِيذَاءُ عَلَى إِيصَالِ الْمَكْرُوهِ لِلْغَيْرِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَإِنْ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِهِ فَإِيذَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فِعْلُ مَا يَكْرَهُهُ، وَكَذَا إِيذَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[الْأَحْزَابُ:٥٧][١].

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: يُخَاطِبُنِي مِنْ الْقَوْلِ بِمَا يَتَأَذَّى بِهِ مَنْ يَصِحُّ فِي حَقِّهِ التَّأَذِّي، لَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَتَأَذَّى؛ لِأَنَّ التَّأَذِّي ضَرَرٌ، وَأَلَمٌ، واللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى مَا جَاءَ مِنْ مُحَارَبَةِ اللهِ وَمُخَادَعَتِهِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا تَوَسُّعَاتٌ يُفْهَمُ مِنْهَا: أَنَّ مَنْ يُعَامِلُ اللهَ تَعَالَى بِتِلْكَ الْمُعَامَلَاتِ تَعَرَّضَ لِعِقَابِ اللهَ تَعَالَى، وَلِمُؤَاخَذَتِهِ الشَّدِيدَةِ. فَلْيَحْذَرْ ذَلِكَ[٢].

قُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَأَنَّ الْأَذَى ثَابِتٌ للهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ مَا لِلْمَخْلُوقَاتِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ أَذَاهُ ﷻ مِنْ جِنْسِ الْأَذَى الْحَاصِلِ لِلْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَنَّ سُخْطَهُ وَغَضَبَهُ وَكَرَاهَتَهُ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَا لِلْمَخْلُوقِينَ[٣].

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ**): أَيْ: يُلْحِقُ بِيَ الْأَذَى؛ فَالْأَذِيَّةُ للهِ ثَابِتَةٌ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا إِثْبَاتُهَا؛ لِأَنَّ اللهَ أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، فَلَسْنَا أَعْلَمَ مِنَ اللهِ بِاللَّهِ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَأَذِيَّةِ الْمَخْلُوقِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشُّورَى:١١]، وَقَدَّمَ النَّفْيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْإِثْبَاتِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَرِدَ الْإِثْبَاتُ عَلَى قَلْبٍ خَالٍ مِنْ تَوَهُّمِ الْمُمَاثَلَةِ، وَيَكُونُ الْإِثْبَاتُ حِينَئِذٍ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَا يُمَاثَلُ فِي صِفَاتِهِ، كَمَا لَا يُمَاثَلُ فِي ذَاتِهِ، وَكُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ؛ فَلَيْسَ فِيهِ احْتِمَالٌ لِلتَّمْثِيلِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ احْتِمَالُ التَّمْثِيلِ جَائِزًا فِي كَلَامِهِ سُبْحَانَهُ، وَكَلَامِ رَسُولِهِ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ لَكَانَ احْتِمَالُ الْكُفْرِ جَائِزًا فِي كَلَامِهِ سُبْحَانَهُ، وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ[٤].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: (**ابْنُ آدَمَ**) يُرَادُ بِابْنِ آدَمَ هُنَا : أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ؛ مِمَّنْ يُطْلِقُ

---

(١) القاري/مرقاة المفاتيح(١/٩٦).

(٢) أبو العباس القرطبي/المفهم(١٨/٤١).

(٣) ابن القيم/الصواعق المرسلة(٤/١٤٥١).

(٤) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٤٤).

هَذَا اللَّفْظَ، أَيْ سَبَّ الدَّهْرِ، وَلَا يَتَحَرَّزُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْغَالِبَ مِنْ أَحْوَالِ بَنِي آدَمَ إِطْلَاقُ نِسْبَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى الدَّهْرِ، فَيَذُمُّونَهُ، ويُسَفِّهُونَهُ إِذَا لَمْ تَحْصُلْ لَهُمْ أَغْرَاضُهُمْ، وَيَمْدَحُونَهُ إِذَا حَصَلَتْ لَهُمْ، وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الشُّعَرَاءِ وَالْفُصَحَاءِ(١).

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(وَأَنَا الدَّهْرُ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ**: مَعْنَاهُ أَنَا صَاحِبُ الدَّهْرِ، وَمُدَبِّرُ الْأُمُورِ الَّتِي تَنْسِبُونَهَا إِلَى الدَّهْرِ، فَإِذَا سَبَّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ فَاعِلُ هَذِهِ الْأُمُورِ عَادَ سَبُّهُ إِلَيَّ؛ لِأَنِّي فَاعِلُهَا، وَإِنَّمَا الدَّهْرُ زَمَانٌ جَعَلْتُهُ ظَرْفًا لِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ إِذَا أَصَابَهُمْ مَكْرُوهٌ أَضَافُوهُ إِلَى الدَّهْرِ، وَقَالُوا: ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾ [الْجَاثِيَةُ:٢٤] وَسَبُّوهُ، فَقَالُوا: بُؤْسًا لِلدَّهْرِ، وَتَبًّا لَهُ إِذَا كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ لِلدَّهْرِ خَالِقًا وَيَرَوْنَهُ أَزَلِيًّا أَبَدِيًّا، فَلِذَلِكَ سُمُّوا بِالدَّهْرِيَّةِ، فَأَعْلَمَ اللهُ ﷻ أَنَّ الدَّهْرَ مُحْدَثٌ يُقَلِّبُهُ بَيْنَ لَيْلٍ وَنَهَارٍ لَا فِعْلَ لَهُ فِي خَيْرٍ وَشَرٍّ، لَكِنَّهُ ظَرْفٌ لِلْحَوَادِثِ الَّتِي اللهُ تَعَالَى يُحْدِثُهَا وَيُنْشِئُهَا(٢).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ نَسْبِ أَقْدَارِ اللَّهِ ﷻ وَأَفْعَالِهِ إِلَى الدَّهْرِ، فَقَالَ: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[الْجَاثِيَةُ:٢٤]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ)** إِذَا أَصَابَتْكُمُ الْمَصَائِبُ، وَلَا تَنْسُبُوهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ الَّذِي أَصَابَكُمْ بِذَلِكَ لَا الدَّهْرُ، فَإِذَا سَبَبْتُمُ الْفَاعِلَ وَقَعَ السَّبُّ بِاللَّهِ ﷻ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ، إِذَا أَصَابَتْهُ نَائِبَةٌ، أَوْ جَائِحَةٌ فِي مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، أَوْ بَدَنٍ، فَسَبَّ فَاعِلَ ذَلِكَ بِهِ -وَهُوَ يَنْوِي الدَّهْرَ- أَنَّ الْمَسْبُوبَ هُوَ اللَّهُ ﷻ.

وَسَأُمَثِّلُ لِهَذَا الْكَلَامِ مِثَالًا أُقَرِّبُ بِهِ عَلَيْكَ مَا تَأَوَّلْتُ، وَإِنْ كَانَ -بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَرِيبًا- كَأَنَّ رَجُلًا يُسَمَّى "زَيْدًا" أَمَرَ عَبْدًا لَهُ يُسَمَّى "فَتْحًا" أَنْ يَقْتُلَ رَجُلًا فَقَتَلَهُ، فَسَبَّ النَّاسُ فَتْحًا، وَلَعَنُوهُ.

فَقَالَ لَهُمْ قَائِلٌ: لَا تَسُبُّوا فَتْحًا، فَإِنَّ زَيْدًا هُوَ فَتْحٌ.

يُرِيدُ أَنَّ زَيْدًا هُوَ الْقَاتِلُ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْقَاتِلَ زَيْدٌ، لَا فَتْحٌ.

---

(١) أبو العباس القرطبي/المفهم(١٨/٤١).

(٢) الخطابي/أعلام الحديث(٣/١٩٠٤).

وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ تَكُونُ فِيهِ الْمَصَايِبُ وَالنَّوَازِلُ، وَهِيَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ﷻ، فَيَسُبُّ النَّاسُ الدَّهْرَ، لِكَوْنِ تِلْكَ الْمَصَايِبِ وَالنَّوَازِلِ فِيهِ، وَلَيْسَ لَهُ صُنْعٌ، فَيَقُولُ قَائِلٌ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ[1].

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمَعْنَى فِيهِ: أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَذُمُّونَ الدَّهْرَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَيُضِيفُونَ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَصْنَعُهُ اللَّهُ بِهِمْ، فَنَهَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ ذَلِكَ، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ)** يَعْنِي لِأَنَّكُمْ إِذَا سَبَبْتُمُوهُ وَذَمَمْتُمُوهُ لِمَا يُصِيبُكُمْ فِيهِ مِنَ الْمِحَنِ وَالْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَقَعَ السَّبُّ وَالذَّمُّ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ الْفَاعِلُ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهَذَا مَا لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ وَالْوُقُوفُ عَلَى مَعْنَاهُ؛ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الدَّهْرِيَّةُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالْإِلْحَادِ، وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ وَصَحَّتِ السُّنَّةُ بِمَا ذَكَرْنَا...[2].

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ظَنَّ بَعْضُ الْجُهَّالِ أَنَّ هَذَا يَقْتَضِي تَعْدِيدَ الدَّهْرِ فِي أَسْمَاءِ الْبَارِئِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، وَلَكِنْ خَرَجَ هَذَا عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي نِسْبَتِهَا الْأَفْعَالَ إِلَى غَيْرِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُتَرَدِّدَةِ، وَالْحَوَادِثِ الْمُتَعَاقِبَةِ، فَإِذَا جَاءَ الْخَلْقُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحِبُّونَ، فَرِحُوا بِذَلِكَ الْمَتَاعِ، وَإِذَا جَاءَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ عَكَفُوا عَلَى الدَّهْرِ يَسُبُّونَهُ وَيَنْسِبُونَهُ إِلَى اللَّوْمِ وَالْإِذَايَةِ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُطَهِّرَ عَقَائِدَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَنْزَعِ الْخَبِيثِ، وَيُعَلِّمَهُمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي يَكْرَهُونَ، وَالْأَفْعَالَ الَّتِي يُحِبُّونَ، لَيْسَتْ مَنْسُوبَةً إِلَى الْأَسْبَابِ، وَلَا مَحْسُوبَةً عَلَى الْحَوَادِثِ، وَإِنَّمَا هِيَ كُلُّهَا مُضَافَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَقْدِيرًا وَخَلْقًا، وَسَبُّ الْحُكْمِ وَالْمَعْلُولِ سَبٌّ لِلْعِلَّةِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ فَعَلَ اللهُ بِفُلَانٍ كَذَا كَذَا وَكَانَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِاللَّوْمِ مَوْجُودًا فِي غَيْرِهِ فَقَدْ دَخَلَ فِي حُكْمِهِ[3].

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا كَانَ اعْتِقَادُ الْجَاهِلِيَّةِ: أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ الْأَفْعَالَ، وَيَذُمُّونَهُ إِذَا لَمْ تَحْصُلْ أَغْرَاضُهُمْ: أَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ، فَإِذَا سَبُّوا الدَّهْرَ مِنْ حَيْثُ: إِنَّهُ الْفَاعِلُ، وَلَا فَاعِلَ إِلَّا اللهُ، فَكَأَنَّهُمْ سَبُّوا اللهَ تَعَالَى، فَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: **(يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ)**؛ أَيْ: أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ مَا يَنْسِبُونَهُ لِلدَّهْرِ، لَا الدَّهْرُ،

---

(١) ابن قتيبة/تأويل مختلف الحديث (ص٣٢٥).

(٢) ابن عبد البر/التمهيد(١٨/ ١٥٤) بتصرف.

(٣) ابن العربي/القبس(ص١١٦٥).

فَإِنَّهُ لَيْلٌ وَنَهَارٌ، وَأَنَا أُقَلِّبُهَا؛ أَيْ: أَتَصَرَّفُ فِيهِمَا بِالْإِطَالَةِ، وَالْإِقْصَارِ، وَالْإِضَاءَةِ، وَالْإِظْلَامِ[1].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ)** قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَهُوَ مَجَازٌ، وَسَبَبُهُ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ شَأْنُهَا أَنْ تَسُبَّ الدَّهْرَ عِنْدَ النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ وَالْمَصَائِبِ النَّازِلَةِ بِهَا مِنْ مَوْتٍ أَوْ هَرَمٍ أَوْ تَلَفِ مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ وَنَحْوُ هَذَا مِنْ أَلْفَاظِ سَبِّ الدَّهْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ)** أَيْ: لَا تَسُبُّوا فَاعِلَ النَّوَازِلِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا سَبَبْتُمْ فَاعِلَهَا وَقَعَ السَّبُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ هُوَ فَاعِلُهَا وَمُنْزِلُهَا، وَأَمَّا الدَّهْرُ الَّذِي هُوَ الزَّمَانُ فَلَا فِعْلَ لَهُ بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْنَى: **(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ)** أَيْ: فَاعِلُ النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ وَخَالِقُ الْكَائِنَاتِ[2].

الرَّابِعَةُ: كَانَ أَبُو بَكْرِ بنِ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَرْوِي هَذَا الحَدِيثَ: **(وَأَنَا الدَّهْرَ)** بِنَصْبِ الدَّهْرِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ: أَيْ أَنَا أُطَوِّلُ الدَّهْرَ بِيَدِي، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ الدَّهْرُ مَضْمُومًا؛ لَصَارَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ بَاطِلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ خِلَافُ أَهْلِ النَّقْلِ، فَإِنَّ الْمُحَدِّثِينَ الْمُحَقِّقِينَ لَمْ يَضْبِطُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا بِضَمِّ الرَّاءِ، وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ دَاوُدَ مِنَ الْحُفَّاظِ وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ النَّقَلَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ وَرَدَ بِأَلْفَاظٍ صِحَاحٍ يَبْطُلُ تَأْوِيلُهُ، فَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)**[3]، وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)**[4].

وَالثَّالِثُ: أَنَّ تَأْوِيلَهُ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ عِلَّةُ النَّهْيِ لَمْ تُذْكَرْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَأَنَا الدَّهْرَ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)** فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَأَنَا أُقَلِّبُهُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ يُقَلِّبُ كُلَّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَتَقْلِيبُهُ لِلْأَشْيَاءِ لَا يَمْنَعُ مِنْ ذَمِّهَا، وَإِنَّمَا يتَوَجَّهُ الْأَذَى فِي قَوْلِهِ: **(يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ)**

---

(١) أبو العباس القرطبي/المفهم(١٨/ ٤٢).

(٢) النووي/ شرحه على مسلم (١٥/ ٣).

(٣) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٢٢٤٦) (٤/ ١٧٦٣).

(٤) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٢٢٤٦) (٤/ ١٧٦٣)

عَلَى مَا أَشَرنَا إِلَيْهِ[1].

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ – أَيْ: عَلَى التَّأْوِيلِ الْمَذْكُورِ– خَوْفُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الدَّهْرَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهَذَا عُدُولٌ عَمَّا صَحَّ إِلَى مَا لَمْ يَصِحَّ مَخَافَةَ مَا لَا يَصِحُّ، فَإِنَّ الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ بِالضَّمِّ، وَلَمْ يَرْوِ الْفَتْحَ مَنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ الضَّمِّ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ التَّوْقِيفِ عَلَيْهَا، أَوِ اسْتِعْمَالِهَا اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالتَّكْرَارِ، فَيُخْبَرُ بِهِ وَعَنْهُ، وَيُنَادَى بِهِ، كَمَا اتَّفَقَ فِي سَائِرِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى كَالْغَفُورِ، وَالشَّكُورِ، وَالْعَلِيمِ، وَالْحَلِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَإِنَّكَ تَجِدُهَا فِي الشَّرِيعَةِ وَفِي لِسَانِ أَهْلِهَا، تَارَةً يُخْبَرُ بِهَا، وَأُخْرَى يُخْبَرُ عَنْهَا، وَأُخْرَى يُدْعَى وَيُنَادَى بِهَا، وَلَمْ يُوجَدْ لِلدَّهْرِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَكُونُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى . ثُمَّ: لَوْ سُلِّمَ: أَنَّ النَّصْبَ يَصِحُّ فِي ذَلِكَ اللَّفْظِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ، فَلَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)**، وَلَمْ يَذْكُرْ: **(أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)** وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ مُطْلَقَةٌ، وَالْأُولَى مُقَيَّدَةٌ؛ لِأَنَّا إِنْ صِرْنَا إِلَى ذَلِكَ لَزِمَ نَصْبُ **(الدَّهْرِ)** بِعَامِلٍ مَحْذُوفٍ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَلَزِمَ حَذْفُ الْخَبَرِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ. وَكُلُّ ذَلِكَ بَاطِلٌ مِنَ اللِّسَانِ قَطْعًا[2].

الْخَامِسَةُ: قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَسْتَرِيحَ الْإِنْسَانُ إِلَى مَا يَجْعَلُهُ مُنْصَرِفًا لِشَكْوَاهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَيَسُبُّ الدَّهْرَ، وَإِنَّمَا تُسَبُّ الْأَقْضِيَةُ وَالْأَقْدَارُ، وَاللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي يَقْضِي وَيُقَدِّرُ، وَلَيْسَ لِلدَّهْرِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا سَبُّ النَّاسِ لِلدَّهْرِ فَيَغْلَطُونَ مِنْ جِهَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُمْ يَنْسِبُونَ فِعْلَ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ.

وَالْأُخْرَى: أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ أَقْضِيَةَ اللهِ، فَيَسْتَرِيحُونَ إِلَى سَبِّ الدَّهْرِ، وَالْمَسْبُوبُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ الْفَاعِلُ -تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا-؛ فَجَاءَ الْحَدِيثُ نَاهِيًا عَنْ أَنْ يُؤْذِيَ الْعَبْدُ رَبَّهُ

---

(١) ابن الجوزي/ كشف المشكل(٣/ ٣٤٧).

(٢) أبو العباس القرطبي/المفهم(١٨/ ٤٢).

بِأَنْ يَسُبَّ أَقْدَارَهُ مُسَمِّيًا لَهَا دَهْرًا، فَيَكُونُ جَانِيًا عَلَى جَلَالِ الرُّبُوبِيَّةِ مِنْ جِهَتَيْنِ[١].

السَّادِسَةُ: فِي الْحَدِيثِ الاسْتِعْدَادُ بِالْمُرَاقَبَةِ للهِ، وَالالْتِجَاءُ إِلَيْهِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَتَفْوِيضِ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ[٢].

السَّابِعَةُ: مَسَبَّةُ الدَّهْرِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَا يَكُونُ كُفْرًا وَشِرْكًا أَكْبَرَ، وَذَلِكَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الْفَاعِلُ، وَهُوَ الَّذِي أَحْدَثَ الْمُصِيبَةَ، فَذَمَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ أَثْبَتَ شَرِيكاً للهِ تَعَالَى.

النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ اللهُ وَلَكِنَّهُ يَنْسِبُ الْأَذَى إِلَى الدَّهْرِ، أَوْ يَنْسِبُ الذَّمَّ إِلَى الدَّهْرِ مِنْ بَابِ التَّسَاهُلِ فِي اللَّفْظِ: فَهَذَا أَيْضاً مُحَرَّمٌ، وَيُعْتَبَرُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ، حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ الْمَعْنَى وَإِنَّمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ، فَيُعْتَبَرُ مِنَ الشِّرْكِ فِي الْأَلْفَاظِ[٣].

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ مَنْ نَسَبَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ أَوْ شَيْئًا مِنْهَا لِلدَّهْرِ حَقِيقَةً، وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ. وَأَمَّا مَنْ جَرَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ عَلَى لِسَانِهِ وَلَا يَعْتَقِدُ صِحَّةَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ، وَلَكِنَّهُ قَدْ تَشَبَّهَ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَبِالْجَاهِلِيَّةِ فِي الْإِطْلَاقِ، وَقَدْ ارْتَكَبَ مَا نَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ؛ فَلْيَتُبْ وَلْيَسْتَغْفِرْ اللَّهَ[٤].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَسَابُّ الدَّهْرِ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا. إِمَّا سَبُّهُ لِلَّهِ، أَوِ الشِّرْكُ بِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ[٥].

الثَّامِنَةُ: قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي هَذَا ثَلَاثُ مَفَاسِدَ عَظِيمَةٌ:

إِحْدَاهَا: سَبُّهُ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَبَّ، فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلْقٌ مُسَخَّرٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ مُذَلَّلٌ لِتَسْخِيرِهِ، فَسَابُّهُ أَوْلَى بِالذَّمِّ وَالسَّبِّ مِنْهُ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ سَبَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلشِّرْكِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَبَّهُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ظَالِمٌ قَدْ

---

(١) ابن هبيرة/الإفصاح(٦/١٠٩).

(٢) الكرماني/الكواكب الدراري(١٨/٨٩).

(٣) الفوزان/إعانة المستفيد(٢/١٧٨).

(٤) القرطبي/المفهم(١٨/٤١).

(٥) ابن القيم/زاد المعاد(٢/٣٢٤).

ضرَّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرَرَ، وَأَعْطَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَطَاءَ، وَرَفَعَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الرِّفْعَةَ، وَحَرَمَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْحِرْمَانَ، وَهُوَ عِنْدَ شَاتِمِيهِ مِنْ أَظْلَمِ الظَّلَمَةِ، وَأَشْعَارُ هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ الْخَوَنَةِ فِي سَبِّهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَكَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ يُصَرِّحُ بِلَعْنِهِ وَتَقْبِيحِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ السَّبَّ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ فِيهَا أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَإِذَا وَقَعَتْ أَهْوَاؤُهُمْ حَمِدُوا الدَّهْرَ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ. وَفِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فَرَبُّ الدَّهْرِ تَعَالَى هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ، الْخَافِضُ الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ، وَالدَّهْرُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، فَمَسَبَّتُهُمْ لِلدَّهْرِ مَسَبَّةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا كَانَتْ مُؤْذِيَةً لِلرَّبِّ تَعَالَى[1].

التَّاسِعَةُ: قَوْلُهُ: (**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**) كَمَا أَشَاءُ بِأَنْ أَنْقُصَ فِيهِمَا أَوْ أَزْيدَ، وَأُقَلِّبُ قُلُوبَ أَهْلِهِمَا كَمَا أُرِيدُ[2]؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٤٠].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ: ﴿**نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ مِنْ فَرَحٍ وَغَمٍّ ،وَصِحَّةٍ وَسَقَمٍ، وَغِنًى وَفَقْرٍ[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا الدَّهْرُ، لِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، أُجَدِّدُهُ وَأُبْلِيهِ، وَأَذْهَبُ بِالْمُلُوكِ وَآتِي بِالْمُلُوكِ**)[4].

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**) أَيْ: ذَوَاتَهُمَا وَمَا يَحْدُثُ فِيهِمَا؛ فَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يُقَلَّبَانِ مِنْ طُولٍ إِلَى قِصَرٍ إِلَى تَسَاوٍ، وَالْحَوَادِثُ تَتَقَلَّبُ فِيهِ فِي السَّاعَةِ، وَفِي الْيَوْمِ، وَفِي الْأُسْبُوعِ، وَفِي الشَّهْرِ، وَفِي السَّنَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آلُ عِمْرَانَ:٢٦][5].

---

(١) ابن القيم/زاد المعاد(٢/٣٢٣-٣٢٤).

(٢) القاري/ مرقاة المفاتيح(١/٩٦).

(٣) القرطبي/تفسيره(٤/ ٢١٨).

(٤) أخرجه: ابن الأعرابي/معجمه(٧٠)(١/٥٧).

(٥) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٤٧).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)[١].

قَوْلُهُ: (فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ) أَيْ: فَإِنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُ الدَّهْرِ وَمَا فِيهِ وَمُصَرِّفُهُ، وَقَدْ ذُكِرَ حُكْمُ سَبِّ الدَّهْرِ مَقْرُوناً بِعِلَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الزَّجْرِ، وَبَيَانِ الْحِكْمَةِ، وَلِأَجْلِ أَنْ تَتَعَدَّى الْعِلَّةُ إِلَى غَيْرِهَا فِيمَا إِذَا كَانَ الْمُعَلَّلُ حُكْماً؛ فَهَذِهِ ثَلَاثُ فَوَائِدَ فِي قَرْنِ الْعِلَّةِ بِالْحُكْمِ[٢].

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: (فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ): يَعْنِي أَنَّ مَا يَجْرِي بِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ بِإِرَادَةِ اللهِ وَتَدْبِيرِهِ، بِعِلْمٍ مِنْهُ تَعَالَى وَحِكْمَةٍ، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ. مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالْوَاجِبُ عِنْدَ ذَلِكَ حَمْدُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٦٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ:٣٥]. وَنِسْبَةُ الْفِعْلِ إِلَى الدَّهْرِ وَمَسَبَّتُهُ كَثِيرَةٌ، كَمَا فِي أَشْعَارِ الْمُوَلَّدِينَ، كَابْنِ الْمُعْتَزِّ وَالْمُتَنَبِّي وَغَيْرِهِمَا. وَلَيْسَ مِنْهُ وَصْفُ السِّنِينَ بِالشِّدَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يُوسُفُ:٤٨] الْآيَةُ[٣].

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ مَنْ يُؤْذِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ، وَعَذَابُهُ أَلِيمٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[الأحزاب: ٥٧].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَى اللَّعْنَةِ: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِتَشْمَلَهُمُ اللَّعْنَةُ فِيهِمَا بِحَيْثُ لَا يَبْقَى وَقْتٌ مِنْ أَوْقَاتِ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ إِلَّا وَاللَّعْنَةُ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِمْ وَمُصَاحِبَةٌ لَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ اللَّعْنِ عَذاباً مُهِيناً يَصِيرُونَ بِهِ فِي الْإِهَانَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، لِمَا يُفِيدُهُ مَعْنَى الْإِعْدَادِ مِنْ كَوْنِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ[٤].

---

(١)أخرجه: مسلم/صحيحه(٢٢٤٦)(٤/١٧٦٣).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٤٧).

(٣)حسن آل الشيخ/فتح المجيد(ص٤٢٥).

(٤) الشوكاني/فتح القدير(٤/ ٣٤٨).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذًى للهِ.

الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: (فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ).

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

الْبَابُ (٤٥)

التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

هَذَا الْبَابُ يَلْتَقِي مَعَ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ الَّذِي تَقَدَّمَ، فِي أَنَّ كُلاً مِنْهُمَا تَعَدٍّ عَلَى أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ لِأَنَّ التَّسَمِّي بِـ (قَاضِي الْقُضَاةِ) وَنَحْوِهِ كَـ (شَاهَانْ شَاهْ، وَمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، وَأَقْوَى الْأَقْوِيَاءِ، وَأَعْلَمِ الْعُلَمَاءِ، وَأَحْكَمِ الْحُكَمَاءِ) سَوَاءٌ سَمَّى بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ سَمَّاهُ بِهَا غَيْرُهُ، وَرَضِيَ بِهَا، لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَى، فَنِسْبَتُهَا لِغَيْرِهِ اعْتِدَاءٌ عَلَيْهِ يَقُودُ إِلَى الْوَعِيدِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّكَبُّرِ وَالتَّعَاظُمِ الَّذِي لَا يُنَاسِبُ الْعَبْدَ؛ فَإِنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى صِفَةِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَاللهُ وَحْدَهُ ذُو الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْغَلَبَةِ وَالْقَهْرِ وَالْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ، تَفَرَّدَ بِأَسْمَاءِ الْحُسْنِ، وَصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ.

فَأَيُّمَا عَبْدٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ وَتَسَمَّى بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ أَوِ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الْكِبْرِ وَالْعَظَمَةِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَخَذَهُ بِعَذَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غَافِرُ:٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الْإِسْرَاءُ:٣٧-٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لُقْمَانُ:١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الْجَاثِيَةُ:٧-٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى، وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى، فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى، فَكَذَّبَ وَعَصَى، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى، فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النَّازِعَاتُ:١٥-٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [الْقَصَصُ:٧٦-٨١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا، ... وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ [الْكَهْفُ:٣٥-٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الْحَشْرُ:٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللهُ عز وجل لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ** - وَرُبَّمَا قَالَ: **أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ** - **وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**)[1].

قَوْلُهُ: (**احْتَجَّتْ**) أَيْ: اخْتَصَمَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِلِسَانِ الْحَالِ أَوْ الْمَقَالِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ لَهُمَا تَمْيِيزاً يُدْرِكَانِ بِهِ فَيَتَحَاجَّانِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا التَّمْيِيزِ دَوَامُهُ فِيهِمَا[2].

وَقَوْلُهُ: (**الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ**) هُمَا سَوَاءٌ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ فَالثَّانِي تَأْكِيدٌ لِلْأَوَّلِ مَعْنًى،

---

(١) أخرجه: مسلم/صحيحه(٢٨٤٦)(٤/٢١٨٦).

(٢) العيني/ عمدة القاري (١٩/ ١٨٧).

وَقِيلَ: الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَعَظِّمُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَالْمُتَجَبِّرُ الْمَمْنُوعُ الَّذِي لَا يُنَالُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا يَكْتَرِثُ بِأَمْرٍ(١).

وَقَوْلُهُ: (**يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ**) قِيلَ: مَعْنَى الضَّعِيفِ هَا هُنَا: الْخَاضِعُ للهِ تَعَالَى بِذُلِّ نَفْسِهِ لَهُ ﷻ ضِدَّ الْمُتَجَبِّرِ وَالْمُتَكَبِّرِ(٢).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمُتَكَبِّرُ: الَّذِي يَحْتَقِرُ النَّاسَ، وَيُعَظِّمُ نَفْسَهُ(٣).

وَقَوْلُهُ: (**أَنْتِ عَذَابِي**) أَيْ: سَبَبُ عُقُوبَتِي، وَمُنْشَأُ سُخْطِي وَغَضَبِي(٤).

وَقَوْلُهُ: (**أَنْتِ رَحْمَتِي**) أَيْ: مَظْهَرُهَا، **قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** لَمْ يَزَلْ بِهَا مَوْصُوفًا: سَمَّى الْجَنَّةَ رَحْمَتَهُ؛ لِأَنَّ بِهَا تَظْهَرُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ: (**أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**) وَإِلَّا فَرَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِهَا مَوْصُوفًا لَيْسَتْ لِلَّهِ صِفَةٌ حَادِثَةٌ وَلَا اسْمٌ حَادِثٌ، فَهُوَ قَدِيمٌ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ﷻ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ(٥).

وَعَنْ مَعْبَدِ بنِ خَالِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بنَ وَهْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟**) قَالُوا: بَلَى، قَالَ ﷺ: (**كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ؛ لَأَبَرَّهُ**) ثُمَّ قَالَ: (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟**) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: (**كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**)(٦).

وَقَوْلُهُ: (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ**) (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ**) لَا يُرَادُ مِنْهُ: أَنَّ كُلاًّ مِنَ الدَّارَيْنِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الصِّنْفَيْنِ، بَلِ الْمُرَادُ: أَنَّ كُلَّ ضَعِيفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَكُلَّ جَوَّاظٍ فِي النَّارِ.

وَقَوْلُهُ: (**ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ**) الضَّعِيفُ: هُوَ الْفَقِيرُ، وَالْمُتَضَعِّفُ: هُوَ الَّذِي يَسْتَضْعِفُهُ النَّاسُ فَيَغْمِطُونَهُ حَقَّهُ وَيَقْهَرُونَهُ عَلَيْهِ، أَوْ هُوَ الْمُتَوَاضِعُ الْمُتَذَلِّلُ(٧).

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَدْ يَكُونُ الضَّعْفُ هُنَا رِقَّةُ الْقُلُوبِ وَلِينُهَا، وَإِجَابَتُهَا

---

(١) العيني/ عمدة القاري (١٩/ ١٨٧).

(٢) المباركفوري/ تحفة الأحوذي (٧/ ٢٣٨).

(٣) ابن الجوزي/ كشف المشكل(٣/ ١٦٤).

(٤) المباركفوري/ تحفة الأحوذي (٧/ ٢٣٨).

(٥) البغوي/شرح السنة(١٥/٢٥٧).

(٦) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٤٩١٨) (٦/ ١٥٩)، مسلم/ صحيحه (٢٨٥٣) (٤/ ٢١٩٠) واللفظ له.

(٧) ابن حجر/ فتح الباري (١١/٥٤٣)؛ و (٨/٦٦٣).

لِلْإِيمَانِ[1].

وَقَوْلُهُ :(**كُلُّ عُتُلٍّ**) الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ، وَقِيلَ: الْجَافِي عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَقِيلَ: الْفَاحِشُ الْإِثْمِ، وَقِيلَ: الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ، وَقِيلَ: السَّمِينُ الْعُنُقِ وَالْبَطْنِ.

وَقَوْلُهُ: (**جَوَّاظٍ**) أَيْ: كَثِيرُ اللَّحْمِ غَلِيظُ الرَّقَبَةِ[2].

قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا مُتَضَعِّفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَبَّارِينَ يَتَضَعَّفُونَهُ فَيَسْتَطِيلُونَ عَلَيْهِ لِضَعْفِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الضَّعْفُ فَقْرًا لِعَدَمِ الْمَالِ، وَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ الرِّجَالِ، وَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ الْقُوَّةِ وَالْأَيْدِ. وَأَمَّا عَلَامَاتُ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ الْعُتُلُّ، وَالْجَوَّاظُ، وَالْمُسْتَكْبِرُ[3].

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: (**الْمُتَكَبِّرُونَ**)[4].

وَقَوْلُهُ: (**الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**) (الثَّرْثَارُ): كَثِيرُ الْكَلَامِ[5]، وَالْمُرَادُ بِهِ: مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ زُوراً وَرِيَاءً وَخُرُوجاً عَنِ الْحَقِّ.

وَ(الْمُتَشَدِّقُ): الْمُتَكَلِّفُ فِي الْكَلَامِ، فَيَلْوِي بِهِ شِدْقَهُ[6]، وَقِيلَ: الْمُسْتَهْزِئُ بِالنَّاسِ الَّذِي يَلْوِي بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ شِدْقَهُ.

وَ(الْمُتَفَيْهِقُ): الَّذِي يَتَوَسَّعُ فِي الْكَلَامِ، يَمْلَأُ فَاهُ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالرُّعُونَةِ[7]، مِنَ (الْفَهَقِ) وَهُوَ

---

(١) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٣٨٣).

(٢) ابن حجر/ فتح الباري (١١/٥٤٣)، (٨/٦٦٣).

(٣) ابن هبيرة/ الإفصاح(٢/ ١٤١-١٤٢).

(٤) صحيح، أخرجه: الترمذي/ سننه (٢٠١٨) (٤/ ٣٧٠).

(٥) ابن فارس/مقاييس اللغة(١/٣٦٨).

(٦) ابن فارس/مقاييس اللغة(٣/٢٥٥).

(٧) انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة(٤/٤٥٦).

الِامْتِلَاءُ، يُقَالُ: فَهِقَ الْحَوْضُ فَهْقًا، وَأَفْهَقْتُهُ، إِذَا مَلَأْتُهُ[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)** قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: **(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)**[2].

قَوْلُهُ: **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ...)** **قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** قَدِ اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ)** فَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ فِيهِ وَجْهَيْنِ: أَحَدَهُمَا، أَنَّ الْمُرَادَ التَّكَبُّرُ عَنِ الْإِيمَانِ، فَصَاحِبُهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَصْلاً إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي: أَنْ لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ كِبْرٌ حَالَ دَخُولِهِ الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الْحِجْرُ:٤٧]، وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ فِيهِمَا بُعْدٌ، فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَرَدَ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ عَنِ الْكِبْرِ الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ عَلَى النَّاسِ وَاحْتِقَارُهُمْ وَدَفْعُ الْحَقِّ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَى هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ الْمُخْرِجَيْنِ لَهُ عَنِ الْمَطْلُوبِ[3]، بَلِ الظَّاهِرُ مَا اخْتَارَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا دُونَ مُجَازَاةٍ إِنْ جَازَاهُ[4]، وَقِيلَ: لَا يَدْخُلُهَا مَعَ الْمُتَّقِينَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ[5].

وَقَوْلُهُ: **(مِثْقَالُ ذَرَّةٍ)** أَيْ: مِقْدَارُ وَزْنِ حَبَّةٍ، وَالْمِثْقَالُ فِي الْأَصْلِ: مِقْدَارٌ مِنَ الْوَزْنِ ، وَهُوَ تَمْثِيلٌ لِلْقِلَّةِ، وَقَوْلُهُ: **(مِنْ كِبْرٍ)** الْكِبْرُ: هُوَ الْحَالَةُ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَكْبَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى رَبِّهِ بِأَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ[6].

وَقَوْلُهُ: **(بَطَرُ الْحَقِّ)** بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ، أَيْ: تَضْيِيعُهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ذَهَبَ دَمُ فُلَانٍ بَطَرًا أَيْ هَدَرًا، يَعْنِي: الْكِبْرُ هُوَ تَضْيِيعُ الْحَقِّ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ وَعَدَمِ

---

(١) البيضاوي/ تحفة الأبرار(٣/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٩١) (١/ ٩٣).

(٣) الخطابي/معالم السنن(٤/١٩٧).

(٤) القاضي عياض/إكمال المعلم(١/٢٤٦).

(٥) النووي/شرحه على مسلم(٢/٩١).

(٦) ابن حجر/فتح الباري(١٠/٤٨٩).

الْتِفَاتِهِ[1].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَطَرُ الْحَقِّ هُوَ دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا[2].

وَقَوْلُهُ: **(وَغَمْطُ النَّاسِ)** أَيْ: اِسْتِحْقَارُهُمْ وَتَعْيِيبُهُمْ[3].

وَقِيلَ: الْغَمْطُ الِاسْتِهَانَةُ وَالِاسْتِحْقَارُ وَهُوَ كَالْغَمْصِ، وَأَصْلُ الْبَطَرِ شِدَّةُ الْفَرَحِ وَالنَّشَاطِ، وَالْمُرَادُ هُنَا قِيلَ: سُوءُ اِحْتِمَالِ الْغِنَى، وَقِيلَ: الطُّغْيَانُ عِنْدَ النِّعْمَةِ، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ[4].

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَطَرُ الْحَقِّ: هُوَ أَنْ يَجْعَلَ مَا يَجْعَلُهُ اللَّهُ حَقًّا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ بَاطِلًا، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَتَجَبَّرَ عِنْدَ الْحَقِّ فَلَا يَرَاهُ حَقًّا، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَقْبَلُهُ[5].

وَعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ)**[6].

قَوْلُهُ: **(يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ)** أَيْ: فِي الصِّغَرِ وَالْحَقَارَةِ **(فِي صُوَرِ الرِّجَالِ)** أَيْ: مِنْ جِهَةِ وُجُوهِهِمْ. أَوْ مِنْ حَيْثِيَّةِ هَيْئَتِهِمْ مِنِ اِنْتِصَابِ الْقَامَةِ **(يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ)** أَيْ: يَأْتِيهِمْ **(مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)** أَيْ: مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي غَايَةٍ مِنَ الْمَذَلَّةِ وَالنَّقِيصَةِ يَطَؤهُمْ أَهْلُ الْحَشْرِ بِأَرْجُلِهِمْ مِنْ هَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ. وَفِي النِّهَايَةِ: الذَّرُّ: النَّمْلُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ وَاحِدُهَا ذَرَّةٌ[7]، **(يُسَاقُونَ)** أَيْ: يُسْحَبُونَ وَيُجَرُّونَ **(إِلَى سِجْنٍ)** أَيْ: مَكَانِ حَبْسٍ مُظْلِمٍ مَضِيقٍ مُنْقَطِعٍ فِيهِ عَنْ غَيْرِهِ **(يُسَمَّى)**

---

(١) العظيم آبادي/عون المعبود(١١/١٠٢).

(٢) النووي/شرحه على مسلم(٢/٩٠).

(٣) انظر: القاضي عياض/إكمال المعلم(١/٢٤٧).

(٤) القاري/مرقاة المفاتيح(٨/٣١٩٠).

(٥) ابن الأثير/النهاية(١/١٣٥).

(٦) حسن، أخرجه: الترمذي/ سننه (٢٤٩٢) (٤/ ٦٥٥).

(٧) ابن الأثير/النهاية(٢/١٥٧).

أَيْ: ذَلِكَ السِّجْنُ، **(بُولَسَ)** قَالَ فِي الْقَامُوسِ: بُولَسُ بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ سِجْنُ جَهَنَّمَ[1]، **قَالَ الْقَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وَقَالَ شَارِحٌ: بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا فَوْعَلُ مِنَ الْإِبْلَاسِ بِمَعْنَى الْيَأْسِ سُمِّيَ بِهِ لِيَأْسِ دَاخِلِهِ مِنَ الْخَلَاصِ[2]، **(تَعْلُوهُمْ)** أَيْ: تُحِيطُ بِهِمْ وَتَغْشَاهُمْ كَالْمَاءِ يَعْلُو الْغَرِيقَ **(نَارُ الْأَنْيَارِ)** قَالَ فِي النِّهَايَةِ: لَمْ أَجِدْهُ مَشْرُوحًا وَلَكِنْ هَكَذَا يُرْوَى، فَإِنْ صَحَّتْ الرِّوَايَةُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ نَارُ النِّيرَانِ ، فَجَمَعَ النَّارَ عَلَى أَنْيَارٍ وَأَصْلُهَا أَنْوَارٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْوَاوِ كَمَا جَاءَ فِي رِيحٍ وَعِيدٍ أَرْيَاحٌ وَأَعْيَادٌ وَهُمَا مِنَ الْوَاوِ انْتَهَى. قِيلَ: إِنَّمَا جُمِعَ نَارٌ عَلَى أَنْيَارٍ وَهُوَ وَاوِيٌّ لِئَلَّا يَشْتَبِهَ بِجَمْعِ النُّورِ[3]. قَالَ الْقَاضِي: وَإِضَافَةُ النَّارِ إِلَيْهَا لِلْمُبَالَغَةِ كَأَنَّ هَذِهِ النَّارَ لِفَرْطِ إِحْرَاقِهَا وَشِدَّةِ حَرِّهَا تَفْعَلُ بِسَائِرِ النِّيرَانِ مَا تَفْعَلُ النَّارُ بِغَيْرِهَا، **(مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ)** بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْهُمْ مِنْ الصَّدِيدِ وَالْقُبْحِ وَالدَّمِ، **(طِينَةِ الْخَبَالِ)** بِالْجَرِّ بَدَلٌ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، وَالْخَبَالُ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْفَسَادُ وَيَكُونُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَبْدَانِ وَالْعُقُولِ[4].

قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلُهُ: **(طِينَةِ الْخَبَالِ)** بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ: اسْمُ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْهُمْ مِنَ الصَّدِيدِ وَالْقَيْحِ وَالدَّمِ[5].

وَقَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلُهُ: **(مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ)** أَيْ: صَدِيدِهِمُ الْمُنْتِنِ الْمُحْمَّى غَايَةِ الْحَرَارَةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِحَمِيمٍ **(طِينَةِ الْخَبَالِ)** تَفْسِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ، وَهُوَ بِفَتْحِ الْخَاءِ بِمَعْنَى الْفَسَادِ[6].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: **(الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ)**[7].

قَوْلُهُ: **(الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي)** **قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ

---

(١) الفيروزآبادي/القاموس المحيط(١/٥٣٤).

(٢) القاري/مرقاة المفاتيح(٨/ ٣١٩٣).

(٣) انظر: ابن الأثير/النهاية(٥/١٢٦)، أبو البقاء/إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث(ص١٢٣).

(٤) القاري/مرقاة المفاتيح(٨/٣١٩٢).

(٥) ابن الملك/ شرح المصابيح (٥/ ٣٥٣).

(٦) القاري/ مرقاة المفاتيح(٨/ ٣١٩٣).

(٧) صحيح، أخرجه: ابن ماجه/سننه(٤١٧٤)(٢/ ١٣٩٧).

الْكِبْرِيَاءَ وَالْعَظَمَةَ صِفَتَانِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاخْتَصَّ بِهِمَا لَا يَشْرُكُهُ أَحَدٌ فِيهِمَا، وَلَا يَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَتَعَاطَاهُمَا؛ لِأَنَّ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ التَّوَاضُعُ وَالتَّذَلُّلُ. وَضَرَبَ الرِّدَاءَ وَالْإِزَارِ مَثَلًا فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَمَا لَا يُشْرَكُ الْإِنْسَانُ فِي رِدَائِهِ وَإِزَارِهِ فَكَذَلِكَ لَا يَشْرُكُنِي فِي الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ مَخْلُوقٌ.

وَقَوْلُهُ: **(فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا)**: أَيْ: مِنْ الْوَصْفَيْنِ. وَمَعْنَى نَازَعَنِي: تَخَلَّقَ بِذَلِكَ فَيَصِيرُ فِي مَعْنَى الْمُشَارِكِ.

وَقَوْلُهُ: **(أَلْقَيْتُهُ)**: أَيْ رَمَيْتُهُ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ بِهِ(١).

مُنَاسَبَةُ الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

أَنَّ مَنْ تَسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ؛ فَقَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ شَرِيكًا مَعَ اللهِ فِيمَا لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ قَاضِيَ الْقُضَاةِ، أَوْ حَاكِمَ الْحُكَّامِ، أَوْ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، إِلَّا اللهُ ﷻ؛ فَهُوَ الْقَاضِي فَوْقَ كُلِّ قَاضٍ، وَهُوَ الْحَكَمُ فَوْقَ كُلِّ حَاكِمٍ، وَالْمَالِكُ الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[آلُ عِمْرَانَ:٢٦].

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَحْتَ هَذَا الْبَابِ حَدِيثاً:

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ)**(٣).

قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: **(أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ)**(٥).

قَوْلُهُ: "أَخْنَعَ" يَعْنِي: أَوْضَعَ.

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

---

(١) العظيم آبادي/ عون المعبود(٩/ ١٢٢).

(٢) انظر: ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٤٩).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه(٦٢٠٦)(٨/٤٥)، مسلم/صحيحه(٢١٤٣)(٣/١٦٨٨).

(٤) التخريج السابق.

(٥) أخرجه: مسلم/صحيحه(٢١٤٣)(٣/١٦٨٨).

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(إِنَّ أَخْنَعَ)** مَعْنَاهُ: أَوْضَعُ وَأَذَلُّ، وَالْخُنُوعُ الذِّلَّةُ وَالِاسْتِكَانَةُ[1].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ: أَذَلُّ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ، قَالَ صَاحِبُ الْأَفْعَالِ: يُقَالُ: خَنَعَ الرَّجُلُ إِذَا ذَلَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ. فَعَاتَبَ اللهُ مَنْ طَلَبَ الرِّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ صِفَاتِ رَبِّهِ بِالذُّلِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: **(يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)**[2][3].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَشَدُّ الْأَسْمَاءِ ذُلًّا وَأَوْضَعُهَا (الْخَانِعُ): أَيْ: الذَّلِيلُ الْخَاضِعُ، وَقَدْ رُوِيَ: (أَخْنَعَ)، وَمَعْنَاهُ: أَقْتَلَ الْأَسْمَاءِ وَأَهْلَكَهَا. وَالْخَنَعُ: هُوَ الْقَتْلُ الشَّدِيدُ[4].

وَقِيلَ: (أَخْنَعَ) بِمَعْنَى: أَفْجَرَ، يُقَالُ: خَنَعَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ وَخَنَعَتْ إِلَيْهِ: إِذَا أَتَاهَا إِلَى الْفُجُورِ، وَهَذَا بِمَعْنَى (أَخْبَثَ) الْوَارِدِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى، أَيْ: أَكْذَبُ الْأَسْمَاءِ، وَقِيلَ: أَقْبَحُ وَأَفْجَرُ[5].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ)** الْمُرَادُ صَاحِبُ الِاسْمِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ: **(أَغْيَظُ رَجُلٍ)**[6].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ تَجَوُّزٌ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَنَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى أَصْحَابِهَا وَالْمُسَمَّيْنَ بِهَا عِنْدَ اللهِ بِقَدْرِ مَا قَصَدُوا مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ[7].

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَابُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ لِيُطَابِقَ الْخَبَرُ الْمُبْتَدَأَ وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَدَّرَ مُضَافٌ فِي الْخَبَرِ أَيْ: اسْمَ رَجُلٍ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يُرَادَ بِالِاسْمِ الْمُسَمَّى مَجَازًا، أَيْ: أَخْنَعُ الرِّجَالِ رَجُلٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الْأَعْلَى:١] وَفِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ أَنَّهُ إِذَا قُدِّسَ اسْمُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ، فَكَأَنَّ

---

(١) انظر: ابن فارس/ مقاييس اللغة(٢/ ٢٢٣).

(٢) حسن، أخرجه: الترمذي/ سننه (٢٤٩٢)(٤/ ٦٥٥).

(٣) ابن بطال/ شرحه على البخاري (٩/ ٣٥٤).

(٤) ابن هبيرة/ الإفصاح(٦/ ٣١٣).

(٥) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٧/ ١٨).

(٦) النووي/ شرحه على مسلم (١٤/ ١٢١).

(٧) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٧/ ١٨).

ذَاتَهُ بالتَّقْدِيسِ أَوْلَى.

وَهَذَا إِذَا كَانَ الِاسْمُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ بِالْهَوَانِ وَالصَّغَارِ، فَكَيْفَ بِالْمُسَمَّى، وَإِذَا كَانَ حُكْمُ الْمُسَمَّى ذَلِكَ فَكَيْفَ بِالْمُسَمِّي، هَذَا إِذَا رَضِيَ الْمُسَمَّى بِذَلِكَ الِاسْمِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُبْدِلْهُ.

وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَوْلَى؛ لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِرِوَايَةِ مُسْلِمٍ: **(أَغْيَظُ رَجُلٍ)**[1].

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ)** أَيْ: هُوَ الَّذِي سَمَّى نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ مِنْ أَنْ يُسَمِّيَهُ غَيْرُهُ بِذَلِكَ وَيَرْضَى هُوَ بِتِلْكَ التَّسْمِيَةِ، وَإِنْ كَانَ مَذْمُومًا أَيْضًا بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، أَمَّا لَوْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِهِ وَلَا يَرْضَى بِهَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: (مَلِكَ) بِكَسْرِ اللَّامِ وَالْأَمْلَاكِ جَمْعُهُ قَالَ فِي الصِّحَاحِ: هُوَ مَلِيكٌ وَمَلْكٌ وَمَلِكٌ مِثْلَ فَخْذٍ وَفَخِذٍ، كَأَنَّ الْمَلْكَ مُخَفَّفٌ مِنْ مَلِكٍ، وَالْمَلِكُ مَقْصُورٌ مِنْ مَالِكٍ أَوْ مَلِيكٍ، وَالْجَمْعُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْلَاكُ، وَالِاسْمُ الْمُلْكُ وَالْمَوْضِعُ مَمْلَكَةٌ[2].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا كَانَ مَلِكُ الْأَمْلَاكِ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ وَأَكْرَهَ إِلَيْهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ صِفَةُ اللهِ، وَلَا تَلِيقُ بِمَخْلُوقٍ صِفَاتُهُ وَلَا أَسْمَاؤُهُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَسَمَّى أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَ لَا يُوصَفُونَ إِلَّا بِالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْعُبُودِيَّةِ[3].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ ﷻ)** وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: **(لَا مَلِكَ)** والْمَالِكُ مَنْ لَهُ الْمِلْكُ بِكَسْرِهَا، وَالْمَلِكُ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ بِضَمِّ الْمِيمِ، وَالْمَلِكُ أَمْدَحُ، وَالْمَالِكُ أَخَصُّ وَكِلَاهُمَا وَاجِبٌ لِلَّهِ تَعَالَى[4].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَالْمَالِكِ أَنَّ الْمَالِكَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِفِعْلِهِ، وَالْمَلِكَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى مَالِكُ الْمُلْكِ فَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ[5].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: **(لَا مَلِكَ)** اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ تَعْلِيلِ تَحْرِيمِ التَّسْمِيَةِ، فَنَفَى جِنْسَ الْمُلَّاكِ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَالِكَ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ إِلَّا هُوَ، وَمَالِكِيَّةُ الْغَيْرِ عَارِيَةٌ لَهُ مُسْتَرَدَّةٌ إِلَى مَالِكِ الْمُلُوكِ،

---

(١) الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٨٥).

(٢) العراقي/ طرح التثريب(٨/ ١٥٠).

(٣) ابن بطال/ شرحه على البخاري (٩/ ٣٥٣).

(٤) العراقي/ طرح التثريب(٨/ ١٥٠).

(٥) ابن القيم/ بدائع الفوائد (٤/ ١٦٥).

فَمَنْ تَسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ، نَازَعَ اللهَ فِي رِدَاءِ كِبْرِيَائِهِ، وَاسْتَنْكَفَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ، فَيَكُونُ لَهُ الْخِزْيُ وَالنَّكَالُ وَالْإِلْقَاءُ فِي النَّارِ.

وَتَحْرِيرُهُ: أَنَّ صِفَةَ الْمَالِكِيَّةِ مُخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَجَاوَزُ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْمَمْلُوكِيَّةُ صِفَةُ الْعَبْدِ لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا. وَلِذَلِكَ كَانَ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَنَحْوُهُمَا؛ لِأَنَّ مَنْ تَسَمَّى بِهَا يَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ نِسْبَةٌ إِلَّا الْعُبُودِيَّةَ. وَمَا حَقَّقَ أَحَدٌ هَذِهِ النِّسْبَةِ حَقَّ تَحْقِيقِهِ إِلَّا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَلِذَلِكَ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مَقَامِ الْقُرْبِ وبِسَاطِ الْأُنْسِ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الْإِسْرَاءُ:١]، وَرَفَعَ رُوحُ اللهِ عِيسَى ﷺ عَنْ نَفْسِهِ التُّهْمَةَ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مَرْيَمُ:٣٠]، وَنُهِيَ أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ لِمَمْلُوكِهِ: عَبْدِي؛ لِأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ غَايَةُ التَّذَلُّلِ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا مَنْ لَهُ غَايَةُ الْعِزَّةِ وَالْكِبْرِيَاءِ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الْجَاثِيَةُ:٣٧][١].

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** **قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** أَغْيَظُ هُنَا مَصْرُوفٌ عَنْ ظَاهِرِهِ، واللهُ ﷻ لا يُوصَفُ بِالْغَيْظِ فَيُتَأَوَّلُ هُنَا الْغَيْظُ عَلَى الْغَضَبِ[٢].

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْغَيْظُ الْمُضَافُ إِلَى اللهِ تَعَالَى هُوَ: عِبَارَةٌ عَنْ غَضَبِهِ، وَغَضَبُ اللهِ تَعَالَى عِبَارَةٌ عَنْ عُقُوبَتِهِ الْمُنْزَلَةِ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا[٣].

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا مَجَازُ الْكَلَامِ الْمَعْدُولِ عَنْ ظَاهِرِهِ، فَإِنَّ الْغَيْظَ صِفَةٌ تَعْتَرِي الْمَخْلُوقَ عِنْدَ احْتِدَادِهِ، فَيَتَحَرَّكُ لَهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عُقُوبَتِهِ لِلْمُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ، أَيْ: أَنَّهُ أَشَدُّ أَصْحَابِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عُقُوبَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى[٤].

وَقَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَغْيَظُ رَجُلٍ): اسْمُ تَفْضِيلٍ بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ أَيْ: أَكْثَرُ مَنْ يُغْضَبُ عَلَيْهِ وَيُعَاقَبُ، فَإِنَّ الْغَيْظَ غَضَبُ الْعَاجِزِ عَنِ الِانْتِقَامِ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ، فَيَكُونُ

---

(١) الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٨٧).

(٢) النووي/ شرحه على مسلم (١٤/ ١٢١).

(٣) القرطبي/ المفهم(١٧/ ١٢٥).

(٤) ابن الأثير/النهاية(٣/٤٠٢).

كِنَايَةً عَنْ شِدَّةِ كَرَاهَةِ هَذَا الِاسْمِ أَوْ مَجَازًا عَنْ عُقُوبَتِهِ لِلتَّسَمِّي بِالِاسْمِ الْآتِي، وَأُضِيفَ إِلَى مُفْرِدٍ بِمَعْنَى الْجَمْعِ أَيْ: أَشَدُّ أَصْحَابِ الْأَسْمَاءِ الْكَرِيهَةِ عُقُوبَةً[1].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»)** (شَاهْ) بِالْفَارِسِيَّةِ الْمَلِكُ وَ (شَاهَانْ) الْأَمْلَاكُ، وَمَعْنَاهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ، لَكِنَّ فِي قَاعِدَةِ الْعَجَمِ تَقْدِيمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُضَافِ نَحْوُ مَعْنَى رَامِي الْحِجَارَةِ[2].

قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَا كَانَ أَغْنَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْعَجَمِيَّةِ، وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِاشْتِهَارِ هَذَا اللَّفْظِ بَيْنَ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَقَدْ حُكِيَ عَنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بنِ بُوَيْهِ أَنَّهُ سَمَّى نَفْسَهُ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ وَقَالَ فِي شِعْرٍ لَهُ: مَلِكُ الْأَمْلَاكِ غَلَّابُ الْقَدَرِ.

فَكَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ يُنَادِي: مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ[3].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ تَعَجَّبَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ مِنْ تَفْسِيرِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ اللَّفْظَةَ الْعَرَبِيَّةَ بِاللَّفْظَةِ الْعَجَمِيَّةِ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ آخَرُونَ وَهُوَ غَفْلَةٌ مِنْهُمْ عَنْ مُرَادِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ شَاهَانْ شَاهْ كَانَ قَدْ كَثُرَ التَّسْمِيَةُ بِهِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، فَنَبَّهَ سُفْيَانُ عَلَى أَنَّ الِاسْمَ الَّذِي وَرَدَ الْخَبَرُ بِذَمِّهِ لَا يَنْحَصِرُ فِي مَلِكِ الْأَمْلَاكِ، بَلْ كُلُّ مَا أَدَّى مَعْنَاهُ بِأَيِّ لِسَانٍ كَانَ فَهُوَ مُرَادٌ بِالذَّمِّ[4].

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: **(يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** لَابُدَّ فِيهِ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى الْمَجَازِ؛ لِأَنَّ التَّقْيِيدَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَ أَنَّ حُكْمَهُ فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ؛ لِلْإِشْعَارِ بِتَرَتُّبِ مَا هُوَ مُسَبَّبٌ عَنْهُ مِنْ إِنْزَالِ الْهَوَانِ وَحُلُولِ الْعَذَابِ[5].

قُلْتُ: وَالْحَقُّ عِنْدِي إِثْبَاتُ الْغَيْظِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، فَيَكُونُ غَيْظًا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ وَكَمَالِهِ، وَبِهِ قَالَ جُلَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ، **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** فِيهِ إِثْبَاتُ الْغَيْظِ للهِ ﷻ، فَهِيَ صِفَةٌ تَلِيقُ بِاللَّهِ ﷻ، كَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ[6].

---

(١) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٢٩٩٨).

(٢) الكرماني/ الكواكب الدراري(٢٢/ ٥٤).

(٣) العراقي/ طرح التثريب (٨/ ١٥١).

(٤) ابن حجر/ فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

(٥) الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٨٥).

(٦) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٥٤).

التَّاسِعَةُ: قَوْلُهُ: (**وَأَخْبَثُهُ**) الْأَخْبَثُ: مِنَ الْخُبْثِ، وَهُوَ: الِاسْتِرْذَالُ ، وَالْخِسَّةِ ، وَالرَّدَاءَةِ . أَيْ: أَرْدَؤُهُ وَأَرْذَلُهُ، يَعْنِي: صَاحِبَهُ[١].

الْعَاشِرَةُ: حَاصِلُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ قَدْ انْتَهَى مِنَ الْكِبْرِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ قَدْ تَعَاطَى مَا هُوَ خَاصٌّ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ؛ إِذْ لَا يَصْدُقُ هَذَا الِاسْمُ بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَعُوقِبَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْإِذْلَالِ وَالْإِخْسَاسِ وَ الِاسْتِرْذَالِ بِمَا لَمْ يُعَاقَبْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ الْمَخْلُوقِينَ[٢].

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ تَحْرِيمُ التَّسَمِّي بِهَذَا الِاسْمِ سَوَاءً كَانَ بِالْعَرَبِيَّةِ أَوْ بِالْعَجَمِيَّةِ؛ لِتَرْتِيبِ هَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَيْهِ وَدَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُسَمَّى بِهِ أَشَدُّ مِنْ غَضَبِهِ عَلَى غَيْرِهِ.

وَيَلْحَقُ بِهِ التَّسَمِّي بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، كَالرَّحْمَنِ، وَالْقُدُّوسِ، وَالْمُهَيْمِنِ، وَخَالِقِ الْخَلْقِ، وَنَحْوِهَا[٣].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْحَدِيثِ تَحْرِيمَ أَنْ يُقَالَ لِلْإِنْسَانِ أَقْضَى الْقُضَاةِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ[٤].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿**وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾ [هُودُ:٤٥] أَيْ: أَعْلَمُ الْحُكَّامِ وَأَعْدَلُهُمْ؛ إِذْ لَا فَضْلَ لِحَاكِمٍ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعِلْمِ، وَرُبَّ عَرِيقٍ فِي الْجَهْلِ مِنْ مُتَقَلِّدِي زَمَانِنَا قَدْ لُقِّبَ أَقْضَى الْقُضَاةِ، وَمَعْنَاهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ فَاعْتَبِرْ وَاسْتَعْبِرْ[٥].

وَقَالَ الْعَلَمُ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّوَابُ مَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنْ مَنْعِ الِاتِّصَافِ بِأَقْضَى الْقُضَاةِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَقَوْلُ ابْنِ الْمُنِيرِ: إِنَّ عَلِيًّا ﷺ قِيلَ فِي حَقِّهِ: أَقْضَى الْقُضَاةِ لَيْسَ بِمَجِيدٍ فَإِنَّ التَّفْضِيلَ فِي حَقِّ عَلِيٍّ وَقَعَ عَلَى قَوْمٍ مُخَاطَبِينَ بِالْكَافِ وَالْمِيمِ فِي قَوْلِهِ ﷺ:

---

(١) انظر: الأزهري/تهذيب اللغة(٧/١٤٦)، أبو العباس القرطبي/ المفهم(١٧/ ١٢٥)، ابن قرقول/ مطالع الأنوار(٢/ ٤٠٧).

(٢) أبو العباس القرطبي/ المفهم(١٧/ ١٢٦).

(٣) العراقي/ طرح التثريب(٨/ ١٥١).

(٤) العراقي/ طرح التثريب(٨/ ١٥١).

(٥) الزمخشري/تفسيره (٢/٣٩٩).

(أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ)[1] وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِذَلِكَ مِمَّنْ لَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى[2].

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ بنِ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَلْتَحِقُ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ قَاضِي الْقُضَاةِ وَإِنْ كَانَ اشْتُهِرَ فِي بِلَادِ الشَّرْقِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ إِطْلَاقُ ذَلِكَ عَلَى كَبِيرِ الْقُضَاةِ، وَقَدْ سَلِمَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ مِنْ ذَلِكَ فَاسْمُ كَبِيرِ الْقُضَاةِ عِنْدَهُمْ قَاضِي الْجَمَاعَةِ[3].

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِهَذَا الِاسْمِ لِوُرُودِ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَيَلْتَحِقُ بِهِ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُ خَالِقِ الْخَلْقِ وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَسُلْطَانِ السَّلَاطِينِ وَأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ وَقِيلَ يَلْتَحِقُ بِهِ أَيْضًا مَنْ تَسَمَّى بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ كَالرَّحْمَنِ وَالْقُدُّوسِ وَالْجَبَّارِ[4].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَمَّا كَانَ الْمُلْكُ الْحَقُّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا مَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ كَانَ أَخْنَعَ اسْمٍ، وَأَوْضَعَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَغْضَبَهُ لَهُ اسْمُ "شَاهَانْ شَاهْ" أَيْ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَسُلْطَانُ السَّلَاطِينِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ فَتَسْمِيَةُ غَيْرِهِ بِهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْبَاطِلَ.

وَقَدْ أَلْحَقَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا "قَاضِي الْقُضَاةِ"، وَقَالَ: لَيْسَ قَاضِي الْقُضَاةِ إِلَّا مَنْ يَقْضِي الْحَقَّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ الَّذِي إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ. وَيَلِي هَذَا الِاسْمَ فِي الْكَرَاهَةِ وَالْقُبْحِ وَالْكَذِبِ سَيِّدُ النَّاسِ، وَسَيِّدُ الْكُلِّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً كَمَا قَالَ: **(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ)**[5] فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ قَطُّ أَنْ يَقُولَ عَنْ غَيْرِهِ: إِنَّهُ سَيِّدُ النَّاسِ، وَسَيِّدُ الْكُلِّ، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ[6].

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي الْحَدِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ الْأَدَبِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الزَّجْرَ عَنْ مَلِكِ الْأَمْلَاكِ وَالْوَعِيدَ عَلَيْهِ يَقْتَضِي الْمَنْعَ مِنْهُ مُطْلَقًا سَوَاءٌ أَرَادَ مَنْ تَسَمَّى بِذَلِكَ أَنَّهُ

---

(١) صحيح، أخرجه: ابن ماجه/سننه (١٤٥)(١/٥٥).

(٢) العراقي/ طرح التثريب(٨/ ١٥٢).

(٣) ابن حجر/ فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

(٤) ابن حجر/فتح الباري(١٠/ ٥٩٠).

(٥) صحيح، أخرجه: الترمذي/سننه(٣١٤٨)(٥/٣٠٨)، وأصله عند مسلم.

(٦) ابن القيم/ زاد المعاد(٢/ ٣١١).

مَلِكٌ عَلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ أَمْ عَلَى بَعْضِهَا، سَوَاءٌ كَانَ مُحِقًّا فِي ذَلِكَ أَمْ مُبْطِلًا مَعَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ قَصَدَ ذَلِكَ وَكَانَ فِيهِ صَادِقًا وَمَنْ قَصَدَهُ وَكَانَ فِيهِ كَاذِبًا[1].

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَتَسَمَّى أَوْ يُسَمِّيَ غَيْرَهُ بِأَسْمَاءِ التَّوَاضُعِ، حَذَرًا مِنَ التَّكَبُّرِ وَالتَّعَاظُمِ، وَأَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ وَأَحَبُّهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى أَسْمَاءُ الْعُبُودِيَّةِ: عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَنَحْوُهُمَا، فَإِنَّهَا تُؤْذِنُ بِالْخُضُوعِ، وَالذُّلِّ، وَالتَّوَاضُعِ للهِ الْمُتَّصِفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: إِذَا تَسَمَّى الْمُسْلِمُ بِأَسْمَاءِ التَّعَاظُمِ، أَوْ سُمِّيَ بِهَا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ ذَلِكَ وَيُبَدِّلَهُ بِأَسْمَاءِ التَّوَاضُعِ؛ تَأَسِّيًا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)**[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ)**[3].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)**[4].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **(أَجَعَلْتَنِي للهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**[5].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.

---

(١) ابن حجر/ فتح الباري (١٠/ ٥٩١).

(٢) أخرجه: مسلم/صحيحه(٢٣٦٩)(٤/ ١٨٣٩).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه(٣٤٤٥)(٤/ ١٦٧).

(٤) حسن، ذكره الهيثمي/مجمع الزوائد(١٧٢٧٦)(١٠/ ١٥٩).

(٥) صحيح لغيره، أخرجه: أحمد/مسنده(١٨٣٩)(٣/ ٣٣٩).

الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِأَجْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الْبَابُ (٤٦)

احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

هَذَا الْبَابُ فِيهِ تَوْجِيهُ أَدَبٍ قَيِّمٍ تَجِبُ مُرَاعَاتُهُ فِي عَقَائِدِ الْقُلُوبِ وَأَقْوَالِ الْأَلْسُنِ؛ حِرَاسَةً لِلتَّوْحِيدِ مِنْ خَطَرِ الشِّرْكِ؛ فَإِنَّ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ رُتْبَتَهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْدُو كَوْنَهُ عَبْداً نَاقِصاً فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ كَامِلُ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، فَيَدِينُ للهِ بِالِانْقِيَادِ لِشَرْعِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ عَلَى مَا جَاءَتْ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ دُونَ أَنْ يَدَّعِيَ مِنْهَا شَيْئاً لِنَفْسِهِ، وَلَقَدْ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُزَكِّي الْمُؤْمِنِينَ بِنُورِ التَّوْحِيدِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَوْضَارِ الشِّرْكِ الَّتِي مِنْهَا: التَّسَمِّي بِأَسْمَاءِ اللهِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا سُبْحَانَهُ، وَادِّعَاءُ الِاتِّصَافِ بِصِفَاتِهِ الَّتِي حَذَّرَ عِبَادَهُ مِنْهَا، فَجَاءَ هَذَا الْبَابُ بِسَبِيلِ التَّوْجِيهِ إِلَى صِيَانَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَدَمِ التَّسَمِّي أَوِ التَّكَنِّي بِأَسْمَاءَ وَصِفَاتٍ خَاصَّةٍ بِاللَّهِ لَا تَجُوزُ لِغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ: **(بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ)** أَيْ: إِكْرَامُهَا وَإِجْلَالُهَا، وَعَدَمُ إِهَانَتِهَا، أَوِ اسْتِعْمَالِهَا فِي شَيْءٍ يُمْتَهَنُ.

وَاحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَتَعْظِيمُهَا يَقْتَضِي أَنْ لَا يُسَمَّى أَحَدٌ بِهَا، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مَا لَا يَصِحُّ إِلَّا للهِ؛ فَهَذَا لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَإِنْ سُمِّيَ وَجَبَ تَغْيِيرُهُ؛ مِثْلُ: اللهِ، الرَّحْمَنِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الثَّانِي: مَا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللهِ؛ مِثْلُ: الرَّحِيمِ، وَالسَّمِيعِ، وَالْبَصِيرِ، فَإِنْ لُوحِظَتِ الصِّفَةُ؛ مُنِعَ مِنَ التَّسَمِّي بِهِ، وَإِنْ لَمْ تُلَاحَظِ الصِّفَةُ؛ جَازَ التَّسَمِّي بِهِ عَلَى أَنَّهُ عَلَمٌ مَحْضٌ[1].

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مِنَ الْأَدَبِ أَلَّا يُسَمَّى أَحَدٌ بِشَيْءٍ يَخْتَصُّ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهِ؛ وَلِذَلِكَ أَوْرَدَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا الْبَابَ إِثْرَ الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَجْلِ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، فَتَسْمِيَةُ "مَلِكِ الْأَمْلَاكِ" مُشَابِهَةٌ لِتَكَنِّيهِ "أَبِي الْحَكَمِ" مِنْ جِهَةِ أَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا اشْتِرَاكًا فِي التَّسْمِيَةِ، لَكِنْ فِيهِمَا اخْتِلَافٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّ "أَبَا الْحَكَمِ" رَاجِعٌ إِلَى شَيْءٍ يَفْعَلُهُ هُوَ، وَهُوَ أَنَّهُ يَحْكُمُ فَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ، وَذَاكَ " مَلِكُ الْأَمْلَاكِ " ادِّعَاءٌ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ[2].

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٦٠).

(٢) صالح آل الشيخ/ التمهيد(ص٤٧٨).

ثُمَّ أَوْرَدَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْتَ هَذَا الْبَابِ حَدِيثاً يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ أَصْلاً لَهُ:

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)** فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟)** قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: **(فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)** قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: **(فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(١).

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ)** الْكُنْيَةُ: اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى الشَّخْصِ لِلتَّعْظِيمِ؛ نَحْوُ أَبِي حَفْصٍ وَأَبِي الْحَسَنِ أَوْ هِيَ عَلَامَةٌ عَلَيْهِ، وَالْجَمْعُ كُنًى بِالضَّمِّ فِي الْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ، وَالْكَسْرُ فِيهِمَا لُغَةٌ، مِثْلُ: بُرْمَةٍ وَبُرَمٍ وَسِدْرَةٍ وَسِدَرٍ، وَكَنَّيْتُهُ أَبَا مُحَمَّدٍ وَبِأَبِي مُحَمَّدٍ(٢).

وَ "يُكْنَى" بِالتَّخْفِيفِ هِيَ الْفَصِيحَةُ، أَمَّا يُكَنَّى بِالتَّشْدِيدِ فَهِيَ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ.

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكُنْيَةُ قَدْ تَكُونُ بِالْأَوْصَافِ، كَأَبِي الْفَضَائِلِ، وَأَبِي الْمَعَالِي، وَأَبِي الْحَكَمِ، وَأَبِي الْخَيْرِ، وَقَدْ تَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَوْلَادِ، كَأَبِي سَلَمَةَ، وَأَبِي شُرَيْحٍ، وَإِلَى مَا يُلَابِسُهُ كَأَبِي هُرَيْرَةَ؛ فَإِنَّهُ ﷺ رَآهُ وَمَعَهُ هِرَّةٌ فَكَنَّاهُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ تَكُونُ لِلْعَلَمِيَّةِ الصِّرْفَةِ كَأَبِي بَكْرٍ وَأَبِي عَمْرٍو(٣).

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ)** أَيْ: الْحَاكِمُ الَّذِي إِذَا حَكَمَ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَا تَلِيقُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى(٤).

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَرَّفَ الْخَبَرَ وَأَتَى بِضَمِيرِ الْفَصْلِ فَدَلَّ عَلَى الْحَصْرِ، وَأَنَّ هَذَا الْوَصْفَ مُخْتَصٌّ بِهِ لَا يَتَجَاوَزُ إِلَى غَيْرِهِ(٥).

وَقَدْ وَرَدَ الْحَكَمُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى مَقْرُونًا بِالْعَدْلِ، فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَحْسَنَ اقْتِرَانَ هَذَيْنِ

---

(١) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(٤٩٥٥)(٥/١٥١).

(٢) الفيومي/المصباح المنير(٢/ ٥٤٢).

(٣) الطيبي/شرح المشكاة (١٠/٣٠٩١).

(٤) الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٩١).

(٥) الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٩١).

الِاسْمَيْنِ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)** أَيْ: مِنْهُ يُبْتَدَأُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿**لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[الْقَصَصُ:٨٨] ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا يَخْلُو حُكْمُهُ عَنْ حِكْمَتِهِ.

وَإِطْلَاقُ أَبِي الْحَكَمِ عَلَى غَيْرِهِ يُوهِمُ الِاشْتِرَاكَ فِي وَصْفِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ، وَإِنْ لَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ أَبُو الْحَكَمِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِيهَامِ الْوَالِدِيَّةِ وَالْوَلَدِيَّةِ، وَقَدْ غَيَّرَ ﷺ اسْمَ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ الْمُكْنَى بِأَبِي الْحَكَمِ بِأَبِي جَهْلٍ. وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ[1]: الْحَكَمُ هُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي إِذَا حَكَمَ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَا تَلِيقُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحَكَمُ[2].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ)** أَيْ: أَنَا لَمْ أُكَنِّ نَفْسِي بِهَذِهِ الْكُنْيَةِ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَحْكُمُ بَيْنَ قَوْمِي فَكَنَّوْنِي بِهَا؛ لِمُرَاعَاتِي الْجَانِبَيْنِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، وَحُصُولِ الصُّلْحِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ[3].

وَفِيهِ: بَيَانُ جَوَازِ تَحْكِيمِ الْخَصْمَيْنِ مَنْ يَحْكُمُ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ إِذَا حَكَمَ الرَّجُلُ الْمُحَكَّمُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ؛ نَفَذَ حُكْمُهُ عَلَيْهِمَا؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَا أَحْسَنَ هَذَا)**[4].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: **(مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟)** أَيِ: الَّذِي ذَكَرْتَهُ مِنَ الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، أَوْ مِنْ وَجْهِ التَّكْنِيَةِ وَهُوَ الْأَوْلَى، وَأَتَى بِصِيغَةِ التَّعَجُّبِ مُبَالَغَةً فِي حُسْنِهِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْإِيهَامِ مَا سَبَقَ فِي الْكَلَامِ أَرَادَ تَحْوِيلَ كُنْيَتِهِ إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ فِي الْمَرَامِ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ **(فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟)**، وَأَغْرَبَ الْمُظْهِرُ فِي قَوْلِهِ: مَا لِلتَّعَجُّبِ، يَعْنِي: الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ حَسَنٌ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْكُنْيَةَ غَيْرُ حَسَنَةٍ، وَتَبِعَهُ الطِّيبِيُّ فَقَالَ: وَلَمَّا لَمْ يُطَابِقْ جَوَابَ أَبِي شُرَيْحٍ قَالَ لَهُ ﷺ عَلَى أَلْطَفِ وَجْهٍ وَأَرْشَقِهِ رَدًّا عَلَيْهِ ذَلِكَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا، لَكِنْ أَيْنَ ذَلِكَ مِنْ هَذَا؟ فَاعْدِلْ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ يَلِيقُ بِحَالِكَ مِنَ التَّكَنِّي بِالْأَبْنَاءِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الرُّجُوعِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَلْيَقُ بِحَالِهِ[5].

---

(١) البغوي/شرح السنة(١٢/٣٤٣).

(٢) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٣).

(٣) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٣).

(٤)محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبى(٣٩/ ٢٤٣).

(٥) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٣)، الطيبي/ شرح المشكاة (١٠/ ٣٠٩١).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِشَارَةُ تَعُودُ إِلَى إِصْلَاحِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ لَا إِلَى تَسْمِيَتِهِ بِهَذَا الِاسْمِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَيَّرَهُ[1].

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ)** ظَاهِرُ التَّرْتِيبِ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدَّمَ الْأَكْبَرَ فَالْأَكْبَرَ، لَكِنَّ الْوَاوَ لِدَلَالَتِهِ عَلَى مُطْلَقِ الْجَمْعِ كَانَ غَيْرَ صَرِيحٍ فِي الْمُدَّعَى[2].

قَالَ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ دَلَالَةٌ: أَنَّ الْوَاوَ لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ، وَإِنَّمَا تَقْتَضِي مُطْلَقَ الْجَمْعِ، فَلِذَا سَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْأَكْبَرِ، إِذْ لَوْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَى التَّرْتِيبِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى سُؤَالٍ عَنْ أَكْبَرِهِمْ[3].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)** قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: **(فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)** فِيهِ: أَنَّ الْأَوْلَى أَنْ يُكْنَى الرَّجُلُ بِأَكْبَرِ بَنِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ فَبِأَكْبَرِ بَنَاتِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ بِأَكْبَرِ بَنِيهَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا ابْنٌ فَبِأَكْبَرِ بَنَاتِهَا[4].

الثَّامِنَةُ: قَولُهُ: **(فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)** أَيْ: رِعَايَةً لِلْأَكْبَرِ سِنًّا، فَصَارَ بِبَرَكَتِهِ ﷺ أَكْبَرَ رُتْبَةً، وَأَكْثَرَ فَضْلًا، فَإِنَّهُ مِنْ أَجِلَّةِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ﷺ وَكَانَ مُفْتِيًا فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ، وَيَرُدُّ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَقَدْ وَلَّاهُ عَلِيٌّ ﷺ قَاضِيًا، وَخَالَفَهُ فِي قَبُولِ شَهَادَةِ الْحَسَنِ لَهُ وَالْقَضِيَّةُ مَشْهُورَةٌ. قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: وَأَمَّا التَّابِعِيُّ: فَإِنْ ظَهَرَتْ فَتْوَاهُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ كَشُرَيْحٍ كَانَ مِثْلَهُمْ عِنْدَ الْبَعْضِ، وَلَعَلَّهُ عُدَّ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ الْمُصَنِّفِ لِهَذَا الْمَعْنَى، أَوْ لِكَوْنِهِ مِنَ الْمُخَضْرَمِينَ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الِاسْتِيعَابِ[5]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ[6].

التَّاسِعَةُ: فِي الْحَدِيثِ كَرَاهَةُ التَّكَنِّي بِأَبِي الْحَكَمِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِيهَامِ التَّشْرِيكِ مَعَ اللهِ ﷻ فِي صِفَتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ[7].

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٦٢).

(٢) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٤).

(٣) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٣٥).

(٤) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٤).

(٥) ابن عبد البر/الاستيعاب(٢/٧٠١).

(٦) القاري/ مرقاة المفاتيح(٧/ ٣٠٠٤).

(٧)محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبي(٣٩/ ٢٤٤).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَغَيَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْحَكَمَ هُوَ اللهُ، فَإِذَا قِيلَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ! كَأَنَّهُ قِيلَ: يَا أَبَا اللهِ!

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الِاسْمَ، الَّذِي جُعِلَ كُنْيَةً لِهَذَا الرَّجُلِ، لُوحِظَ فِيهِ مَعْنَى الصِّفَةِ وَهِيَ الْحَكَمُ؛ فَصَارَ بِذَلِكَ مُطَابِقًا لِاسْمِ اللهِ، وَلَيْسَ لِمُجَرَّدِ الْعَلَمِيَّةِ الْمَحْضَةِ، بَلْ لِلْعَلَمِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْمَعْنَى، وَبِهَذَا يَكُونُ مُشَارِكًا للهِ ﷻ فِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا كَنَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْنَى بِهِ[1].

الْعَاشِرَةُ: وَفِيهِ تَغْيِيرُ الْكُنْيَةِ، وَالِاسْمِ، وَلَوْ بَعْدَ الشُّهْرَةِ بِهِمَا[2]، إِذَا قَامَ الدَّاعِي لِذَلِكَ، وَلِذَا أَوْرَدَ هَذَا الْحَدِيثَ أَبُو دَاوُدَ تَحْتَ تَرْجَمَةِ "بَابٌ فِي تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْقَبِيحِ"[3].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَبْدِيلُ النَّبِيِّ ﷺ اسْمَ عَاصِيَةَ بِجَمِيلَةَ، وَالْعَاصِي بنِ الْأَسْوَدِ بِمُطِيعٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ سُنَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَدَى بِهِ فِيهَا؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ قَبِيحَ الْأَسْمَاءِ، وَلَا يَتَطَيَّرُ بِهِ، وَيُحِبُّ حَسَنَ الْأَسْمَاءِ، وَيَتَفَاءَلُ بِهِ، وَفِي كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ: **(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ)**[4].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: **(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ)**[5].

وَأَمَّا تَغْيِيرُهُ بَرَّةَ فَلِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ؛ إِذْ كَانَتْ الْمُسَمَّاةُ بِهَذَا الِاسْمِ زَوْجَتَهُ، وَهِيَ الَّتِي سَمَّاهَا جُوَيْرِيَّةَ.

وَالثَّانِي: لِمَا فِيهِ مِنْ تَزْكِيَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، فَهُوَ مُخَالِفٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النَّجْمُ:٣٢]. وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى فِي الْمَنْعِ مَا قَدْ كَثُرَ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ مِنْ نَعْتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالنُّعُوتِ الَّتِي تَقْتَضِي التَّزْكِيَةَ، كَزَكِيِّ الدِّينِ، وَمُحْيِي الدِّينِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٦٣).

(٢) الصنعاني/ التحبير(١/ ٤٠٠).

(٣)محمد بن آدم الأثيوبي/ ذخيرة العقبي(٣٩/ ٢٤٤)، وانظر: سنن أبي داود(٤/ ٢٨٨).

(٤) صحيح، أخرجه: أبو داود/ سننه (٣٩٢٠)(٤/ ١٩).

(٥) صحيح، أخرجه: الترمذي/ سننه (١٦١٦)(٤/ ١٦١).

الْأَسْمَاءِ الْجَارِيَةِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ؛ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الْمَدْحُ، وَالتَّزْكِيَةُ، لَكِنْ لَمَّا كَثُرَتْ قَبَائِحُ الْمُسَمَّيْنَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ظَهَرَ تَخَلُّفُ هَذِهِ النُّعُوتِ عَنْ أَصْلِهَا، فَصَارَتْ لَا تُفِيدُ شَيْئًا مِنْ أَصْلِ مَوْضُوعَاتِهَا، بَلْ رُبَّمَا يَسْبِقُ مِنْهَا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، أَوْ فِي بَعْضِ الْأَشْخَاصِ نَقِيضُ مَوْضُوعِهَا، فَيَصِيرُ الْحَالُ فِيهَا كَالْحَالِ فِي تَسْمِيَةِ الْعَرَبِ: الْمَهْلَكَةَ بِالْمَفَازَةِ، وَالْحَقِيرَ بِالْجَلِيلِ، تَجَمُّلاً بِإِطْلَاقِ الاسْمِ مَعَ الْقَطْعِ بِاسْتِقْبَاحِ الْمُسَمَّى.

وَمِنَ الْأَسْمَاءِ مَا غَيَّرَهُ الشَّرْعُ مَعَ حُسْنِ مَعْنَاهُ وَصِدْقِهِ عَلَى مُسَمَّاهُ. لَكِنْ مَنَعَهُ الشَّرْعُ؛ حِمَايَةً وَاحْتِرَامًا لِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ﷻ عَنْ أَنْ يَتَسَمَّى أَحَدٌ بِهَا.

قَالَ: وَقَدْ غَيَّرَ اسْمَ: حَكِيمٍ، وَعَزِيزٍ؛ لِمَا فِيهِمَا مِنَ التَّشْبِيهِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى[١].

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ وَالنُّصْحِ، إِذَا أَغْلَقُوا بَابًا مُحَرَّمًا؛ أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ الْمُبَاحَ[٢]، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَعَ الرَّجُلَ مِنَ التَّكَنِّي بِأَبِي الْحَكَمِ، وَكَنَّاهُ بِأَكْبَرِ أَوْلَادِهِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّسَمِّي بِأَسْمَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: مَمْنُوعٌ، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْ يُحَلَّى بِـ (أَلْ) فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا لَوْ سَمَّيْتَ أَحَدًا بِالْعَزِيزِ، أَوِ الْحَكِيمِ، أَوِ الْقَدِيرِ، أَوِ الْعَلِيمِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ وَسَبَبُ الْمَنْعِ: أَنَّ دُخُولَ (أَلْ) عَلَى الِاسْمِ يُؤْذِنُ بِتَمَامِ الصِّفَةِ وَالْمَعْنَى الَّذِي وُضِعَ لَهُ الِاسْمُ، وَتَمَامُ الصِّفَاتِ وَالْمَعَانِي حَقُّ اللهِ دُونَ الْعَبْدِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اسْمُ اللهِ غَيْرُ مُحَلًّى بِـ (أَلْ)، وَسُمِّيَ بِهِ الْعَبْدُ؛ لِاتِّصَافِهِ بِمَعْنَى ذَلِكَ الِاسْمِ وَصِفَتِهِ، لَا لِمُجَرَّدِ الْعَلَمِيَّةِ؛ كَانَ مَمْنُوعًا؛ وَلِهَذَا غَيَّرَ النَّبِيُّ ﷺ كُنْيَةَ أَبِي الْحَكَمِ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ يَحْتَكِمُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)**، ثُمَّ كَنَّاهُ بِأَكْبَرِ وَلَدِهِ، وَعَلَيْهِ: فَمَتَى سُمِّيَ الْعَبْدُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى؛ لِمُنَاسَبَةٍ اتَّصَفَ الْعَبْدُ بِمَعْنَى الِاسْمِ وَصِفَتِهِ؛ كَانَ مَمْنُوعًا؛ سَدًّا لِذَرِيعَةِ الْمُوَافَقَةِ لِأَسْمَاءِ اللهِ، فَإِنَّ دَلَائِلَ أَسْمَائِهِ مَعْنًى وَصِفَةً مُطَابِقَةٌ لِصِفَاتِ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَمْ يُقْصَدْ مِنَ التَّسْمِيَةِ صِفَةُ الْمُسَمَّى.

---

(١) أبو العباس القرطبي/المفهم(١٧/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٦٤).

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اسْمُ اللهِ غَيْرَ مُحَلًّى بِـ (أَلْ) وَلَمْ يُقْصَدْ مِنَ التَّسْمِيَةِ صِفَةُ الْمُسَمَّى، وَلَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ الْعَظَمَةِ، كَجَبَّارٍ، وَقَهَّارٍ، وَكَبِيرٍ، وَمُتَعَالٍ، وَنَحْوِهَا؛ سَدًّا لِذَرِيعَةِ التَّأَثُّرِ بِصِفَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَإِذَا رُوعِيَتْ هَذِهِ الضَّوَابِطُ؛ جَازَتِ التَّسْمِيَةُ، كَاسْمِ حَكِيمٍ، وَحَلِيمٍ، وَلَطِيفٍ[1].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: احْتِرَامُ صِفَاتِ الله وَأَسْمَائِهِ وَلَوْ بِكَلَامٍ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

---

(١) انظر: ابن عثيمين/فتاوى العقيدة(ص٣٧-٣٨).

الْبَابُ (٤٧)

مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ

تَعْظِيمُ اللهِ أَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَجَلُّ الْقُرُبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[الجِنُّ: ٣]، أَيْ: تَعَالَى جَلَالُ رَبِّنَا وَعَظُمَ قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يَتَّخِذَ زَوْجَةً أَوْ وَلَداً.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[نُوحُ:١٣-٢٠]، أَيْ: مَا شَأْنُكُمْ -يَا قَوْمُ- لَا تَخَافُونَ عَظَمَةَ اللهِ حَيْثُ تَعْصَوْنَهُ دُونَ مُبَالَاةٍ؟! وَقَدْ خَلَقَكُمْ طَوْراً بَعْدَ طَوْرٍ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَقَةٍ فَمُضْغَةٍ.

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، سَمَاءٍ فَوْقَ سَمَاءٍ؟! وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْهُنَّ نُوراً لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَتَغَذَّوْنَ بِمَا تُنْبِتُهُ لَكُمْ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا بَعْدَ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ لِلْبَعْثِ مِنْهَا إِخْرَاجاً.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَبْسُوطَةً مُهَيَّأَةً لِلسُّكْنَى؛ رَجَاءَ أَنْ تَسْلُكُوا مِنْهَا طُرُقاً وَاسِعَةً لِتَبْلُغُوا مَعَاشَكُمْ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا عَنَاءٍ[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزُّمَرُ:٦٧].

أَيْ: وَمَا عَظَّمُوا اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَمْ تَصِلْ تَصَوُّرَاتُهُمْ إِلَى إِدْرَاكِ مِقْدَارِهِ الْمُطَابِقِ لِلْوَاقِعِ، بَلْ كُلُّ إِدْرَاكَاتِهِمْ نَاقِصَاتٌ عَمَّا هُوَ لَهُ مِنْ مِقْدَارٍ، وَانْحَطَّ الْمُشْرِكُونَ انْحِطَاطاً فَاحِشاً حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ، وَدَعَوْا الرَّسُولَ ﷺ إِلَى الشِّرْكِ، وَمِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ: أَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعاً فِي قَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَضْمُومَاتٌ، أَوْ مَلْفُوفَاتٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِيَمِينِهِ، تَنَزَّهَ وَتَعَاظَمَ اللهُ تَعَالَى عُلُوّاً لَا حَدَّ لَهُ، عَمَّا يَفْتَرِي الْمُشْرِكُونَ مِنْ شُرَكَاءَ للهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ أُلُوهِيَّتِهِ،

---

(١) جماعة من العلماء/ المختصر في التفسير(ص٥٧١).

فَيَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِهِ[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ؛ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَرُ:٦٧][2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحَشْرُ:٢١].

أَيْ: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ جَعَلْنَا فِيهِ تَمْيِيزاً وَعَقْلاً كَمَا جَعَلْنَا فِيكُمْ، لَرَأَيْتَهُ أَيُّهَا الرَّائِي الْمُتَفَكِّرُ عَلَى قُوَّتِهِ وَشِدَّةِ صَلَابَتِهِ وَضَخَامَتِهِ، ذَلِيلاً خَاضِعاً مُتَشَقِّقاً مُتَكَسِّراً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، لِمَا لَهُ مِنْ قُوَّةِ تَأْثِيرٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ نُورٌ مِنْ نُورِ اللهِ، وَنُورُ اللهِ إِذَا تَوَجَّهَ لِشَيْءٍ مَا فِي الْوُجُودِ سَوَاءً كَانَ حَيّاً أَوْ جَمَاداً، خَشَعَتْ وَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ الْخَشْيَةُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ يُصَاحِبُهُ بِتِلَاوَتِهِ نُورُ الْقُرْآنِ الرَّبَانِيُّ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ نُورَ الْقُرْآنِ يَتَفَجَّرُ عَلَى مِقْدَارِ التَّالِي لِآيَاتِهِ، وَمِقْدَارِ قُوَّةِ اتِّصَالِهِ بِخَالِقِهِ.

وَحِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ كَافِرٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، لَا يَتَفَجَّرُ مِنْ نُورِ الْقُرْآنِ لَدَيْهِ شَيْءٌ، وَيَكُونُ عَدِيمَ الْأَثَرِ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ؛ رَغْبَةَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا وَيُدْرِكُوا دَلَالَاتِ هَذَا الْمَثَلِ، وَيَسْتَخْدِمُوا مَا وَهَبَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ قُدُرَاتِ التَّفَكُّرِ عَلَى عَظَمَةِ هَذَا الْقُرْآنِ وَخَصَائِصِهِ، وَيَقْرَؤُوهُ بِخُشُوعٍ وَتَدَبُّرٍ، وَيَصِلُوا قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْكَلَامِ الرَّبَانِيِّ، حَتَّى تَهْتَزَّ قُلُوبُهُمْ، وَتَقْشَعِرَّ جُلُودُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ[3].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي

---

(١) مجد مكي/تفسيره (ص٤٦٥).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه(٤٨١١)(٦/ ١٢٦)، مسلم/صحيحه (٢٧٨٦)(٤/٢١٤٨).

(٣) مجد مكي/تفسيره (ص٥٤٨).

وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأَعْرَاف:١٤٣].

أَيْ: وَحِينَ جَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَجْلِ مُقَابَلَتِنَا فِي مِيقَاتِنَا الْمَكَانِيِّ وَالزَّمَانِيِّ الَّذِي وَقَّتْنَا وَكَلَّمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْتَحْلَى كَلَامَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَاشْتَاقَ لِرُؤْيَتِهِ، قَالَ: رَبِّ اجْعَلْنِي مُتَمَكِّنَاً مِنْ رُؤْيَتِكَ، وَارْفَعْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ذَاتِكَ الْعَلِيَّةِ الْحِجَابَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يَرَانِي فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، وَلَمْ يُفَتِّتْهُ التَّجَلِّي، فَسَوْفَ تَرَانِي إِذَا تَجَلَّيْتُ لَكَ، فَحِينَ ظَهَرَ نُورُ رَبِّهِ لِلْجَبَلِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ، جَعَلَهُ مَدْقُوقَاً مُفَتَّتَاً مُسْتَوِيَاً بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مَغْشِيَّاً عَلَيْهِ؛ لِعِظَمِ مَا رَأَى مِنَ النُّورِ الرَّبَّانِيِّ، فَحِينَ أَفَاقَ مُوسَى مِنْ غَشْيَتِهِ قَالَ يُخَاطِبُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَنْزِيهَاً لَكَ -يَا رَبِّ- مِنَ النَّقَائِصِ كُلِّهَا، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ عَنْ جُرْأَتِي طَلَبَ رُؤْيَتِكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ قَوْمِي، وَلَوْ لَمْ أَشْهَدْ ذَاتَكَ بِعَيْنِي[١].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»**[٢].

وَأُسُّ التَّعْظِيمِ وَأَصْلُهُ تَوْحِيدُ اللهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكِتَابِهِ، وَتِلَاوَةُ آيَاتِهِ، وَتَدَبُّرُ فَوَائِدِهِ: حِكَمِهِ، وَقَصَصِهِ، وَأَمْثَالِهِ، وَالْعَمَلُ بِأَحْكَامِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَاتِّبَاعُهُ، وَالتَّأَسِّي بِأَخْلَاقِهِ، وَمِنْ تَعْظِيمِ اللهِ حُبُّ أَوْلِيَائِهِ، وَبُغْضُ أَعْدَائِهِ.

وَأَقْبَحُ الذَّنْبِ التَّهَاوُنُ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْقُعُودُ عَنِ الْفَرَائِضِ، وَالِانْشِغَالُ عَنِ الشَّعَائِرِ، وَالْجُرْأَةُ عَلَى الْمَحَارِمِ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِكَلَامِ اللهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ

---

(١) مجد مكي/تفسيره (ص١٦٧).

(٢) أخرجه: مسلم/صحيحه (١٧٩)(١/ ١٦٢).

تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النِّسَاءُ:١١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لُقْمَانُ:١٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: (**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**). قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**). قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**)[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ**)[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ**)[3].

وَالْإِلْحَادُ: الظُّلْمُ وَالْمَيْلُ عَنْ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ بِارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ[4]، وَهُوَ قَبِيحٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَامْتِرَاسُهُ فِي الْحَرَمِ أَشَدُّ قُبْحَاً.

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ هَذَا أَوْ جُلِّهِ فِي الْأَبْوَابِ السَّابِقَةِ، فَنَاسَبَ أَنْ يُعْرَضَ فِي هَذَا الْبَابِ بَعْضُ الشِّرْكِيَّاتِ الَّتِي تَهَاوَنَ بِهَا النَّاسُ، وَحَسِبُوهَا مِنَ الصَّغَائِرِ وَاللَّمَمِ، وَهِيَ مِنَ الْعَظَائِمِ الْكِبَارِ الَّتِي قَدْ تَأْتِي عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَجْعَلُ مُرْتَكِبَهَا يَسْبَحُ فِي وَحْلِ الْكُفْرَانِ، فَأَعْلَنَ الْمُصَنِّفُ شِعَارَ الْبَابِ بِقَوْلِهِ: (مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ) أَيْ: فَحُكْمُهُ أَنَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ نَقَضُوا الدِّينَ، وَصَارُوا مَعَ الْكَافِرِينَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ فِي حَالِ إِكْرَاهٍ أَوْ صِغَرٍ أَوْ جُنُونٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ

---

(١) أخرجه: البخاري/صحيحه(٤٤٧٧)(٦/ ١٨)، مسلم/صحيحه(٨٦)(١/ ٩٠).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه(٢٧٦٦)(٤/ ١٠)، مسلم/صحيحه (٨٩)(١/ ٩٢).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه(٦٨٢٢)(٩/ ٦).

(٤) انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة(٥/ ٢٣٦).

شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ، لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النَّحْلُ: ١٠٦-١٠٩].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**)[١].

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**)[٢].

مُنَاسَبَةُ الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

مُنَاسَبَةُ هَذَا الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ ظَاهِرَةٌ؛ فَإِنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ أَوْ بِرَسُولِهِ أَوْ بِكِتَابِهِ إِذَا حَصَلَ مِنَ الْبَالِغِ الْعَاقِلِ الْمُخْتَارِ، كَانَ مُنَافِيًا لِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، مُنَاقِضًا لِأَصْلِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ جَاءَ الْإِمَامُ بِجُمْلَةٍ مِنْ أَدِلَّةِ السَّمْعِ تُقَرِّرُ هَذَا الْحُكْمَ، رَجَاءَ أَنْ يَحْذَرَهُ النَّاسُ، وَيَسْلَمَ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى اللهُ لَهُمْ.

وَبَدَأَ الْمُصَنِّفُ الْبَابَ بِدَلِيلٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ:

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ [التَّوْبَةُ:٦٥] الْآيَةَ.

أَيْ: أُقْسِمُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ الْمُنَافِقِينَ عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ فِي دِينِكَ وَشَخْصِكَ وَأَصْحَابِكَ مِنَ النَّقِيصَةِ وَالذَّمِّ؟ لَيَقُولُنَّ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ فِي ذَلِكَ مَازِحِينَ غَيْرَ جَادِّينَ. فَقُلْ يَا رَسُولَ اللهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: كَيْفَ تَهْزَؤُونَ بِفَرَائِضِ اللهِ وَحُدُودِهِ وَأَرْكَانِهِ، وَبِكِتَابِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَنْتُمْ تَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ؟!

قَالَ الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَصْلُ الْخَوْضِ الدُّخُولُ فِي مَائِعٍ مِثْلِ الْمَاءِ وَالطِّينِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى

(١) صحيح، أخرجه: ابن ماجه/سننه(٢٠٤٥)(١/ ٦٥٩).

(٢) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(٤٤٠٣)(٤/ ١٤١).

صَارَ اسْمًا لِكُلِّ دُخُولٍ فِيهِ تَلْوِيثٌ وَإِذَاءٍ[1].

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ مَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرٌ، فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ. فَإِنَّ التَّحْقِيقَ أَخُو الْعِلْمِ وَالْحَقِّ، وَالْهَزْلُ أَخُو الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧][2].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ ﷺ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ-، فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ. فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ. فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ"[3].

هَذَا الْأَثَرُ ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ مَجْمُوعًا مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ مِنْ قَبْلُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ[4] عَلَى نَحْوِ مَا أَوْرَدَهُ الْمُصَنِّفُ.

فَأَمَّا أَثَرُ ابْنِ عُمَرَ فَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[5]، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[6]، وَغَيْرُهُمَا بِنَحْوٍ مِمَّا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ.

---

(١) الألوسي/ تفسيره(٥/ ٣٢٠).

(٢) القرطبي/ تفسيره(٨/ ١٩٧).

(٣) سيذكر تخريجه خلال الشرح.

(٤) ابن تيمية/ الصارم المسلول(ص٣٢).

(٥) الطبري/ تفسيره(١٤/ ٣٣٣).

(٦) ابن أبي حاتم/ تفسيره(٦/ ١٨٢٩).

وَأَمَّا أَثَرُ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ فَهِيَ مَعْرُوفَةٌ لَكِنْ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ[1].

وَفِي الْأَثَرِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ) قَالَ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ:** لَمْ أَقِفْ عَلَى تَسْمِيَةِ الْقَائِلِ؛ لِذَلِكَ أُبْهِمَ اسْمُهُ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا. وَلَكِنْ قَدْ وَرَدَ تَسْمِيَةُ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ نَزَلَتْ فِيهِمْ الْآيَةُ مَعَ اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ فِيمَا قَالُوهُ مِنَ الْكَلَامِ. فَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عِدَّةَ رِوَايَاتٍ، مِنْهَا:

عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾** قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: يُحَدِّثُنَا مُحَمَّدٌ أَنَّ نَاقَةَ فُلَانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا وَمَا يُدْرِيهِ مَا الْغَيْبُ؟[2].

وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ﴾** قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَتِهِ إِلَى تَبُوكَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أُنَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: أَيَرْجُو هَذَا الرَّجُلُ أن يفتح قُصُورَ الشَّامِ وَحُصُونَهَا؟! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: **(احْتَبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبِ)** فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: **(قُلْتُمْ كَذَا، قُلْتُمْ كَذَا)**، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا تَسْمَعُونَ[3].

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ فِيمَنْ تَخَلَّفَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَدَاعَةُ بْنُ ثَابِتٍ أَحْدُ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ فَقِيلَ لَهُ: مَا خَلَّفَكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: الْخَوْضُ وَاللَّعِبُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابه **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿مُجْرِمِينَ﴾**[4].

وَسَمَّى ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ ابْنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْهُمْ: وَدِيعَةَ بنَ ثَابِتٍ وَمَخْشِيُّ بنُ حِمْيَرٍ، وَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَتَحْسَبُونَ أَنَّ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ غَيْرِهِمْ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّكُمْ غَدًا تَفِرُّونَ فِي الْجِبَالِ....

---

(١) الطبري/ تفسيره(١٤/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه: ابن أبي حاتم/ تفسيره (١٠٠٤٨)(٦/ ١٨٣٠).

(٣) أخرجه: ابن أبي حاتم/ تفسيره (١٠٠٤٩)(٦/ ١٨٣٠).

(٤) السيوطي/ الدر المنثور(٤/ ٢٣٢).

فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ كُلَّهُ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ أَخَذُوا فِي الاسْتِهْزَاءِ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَبْعُدُ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ. فَكُلٌّ ذَكَرَ بَعْضَ كَلَامِهِمْ، وَالْآيَةُ تَعُمُّ ذَلِكَ.

وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ ذِكْرُ أَسْمَاءِ الْقَائِلِينَ لِبَعْضِهِمْ ذَلِكَ، مِنْهُمْ: وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقِيلَ وَدَاعَةُ، وَزَيْدُ ابْنُ وَدِيعَةٍ، وَمَخْشِيُّ بْنُ حُمَيِّرٍ الَّذِي تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ إِنَّمَا حَضَرَهُ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ، لَكِنْ رَدَّهُ ابْنُ الْقَيِّمِ بِأَنَّ ابْنَ أُبَيٍّ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَسْمَاءَ الَّذِينَ هَمُّوا بِالْفَتْكِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَعَدَّ جَمَاعَةً، فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ غَيْرُهُمْ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي الْمُسْتَهْزِئِينَ: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التَّوْبَةُ:٦٦]، وَفِي الْآخَرِينَ: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التَّوْبَةُ:٧٤][1].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: (**مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ**) الْقَارِئُ عِنْدَ الْقَوْمِ هُوَ: الْعَالِمُ بِالْقُرْآنِ، الْفَقِيهُ بِأَحْكَامِهِ، وَقَدْ قَصَدَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ مَقُولَتِهِمْ هَذِهِ النَّقِيصَةَ وَالذَّمَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﷺ، وَكَأَنَّهُمْ قَصَدُوا مِنْهَا أَنَّ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ قَدْ قَعَدُوا أَوْ تَقَاصَرُوا عَنْ رُتْبَةِ الْقُرَّاءِ فَضْلًا وَخُلُقًا وَوَرَعًا وَزُهْدًا وَصِدْقًا وَشَجَاعَةً، فَمَا نَرَاهُم يَنْتَمُونَ إِلَى مَنْ نَعْرِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالنُّبَلَاءِ وَالزُّهَّادِ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُمْ: (**مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ...**) فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ نَقِيصَةَ الْعُلَمَاءِ نِفَاقٌ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَحُمَاةُ الدِّينِ، وَعَافِيَةُ الْأُمَّةِ، وَقَدْ أَمَرَ الشَّارِعُ بِتَعْظِيمِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الْحَجُّ:٣٢].

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**)[2].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: (**أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ**) بَيَانٌ بَعْدَ إِجْمَالٍ، أَيْ: سَبَبُ ازْدِرَائِنَا لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ شَهْوَةٍ فِي الْبُطُونِ، وَكَذِبٍ وَافْتِرَاءٍ فِي الْحَدِيثِ، وَحُبِّ

---

(١) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص ٥٣٨-٥٣٩).

(٢) صحيح لغيره، أخرجه: أحمد/ مسنده (٢٢٧٥٥) (٣٧/ ٤١٦).

لِلدُّنْيَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَقَدْ رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، مَا بَالُكُمْ أَجْبَنُ مِنَّا وَأَبْخَلُ إِذَا سُئِلْتُمْ، وَأَعْظَمُ لُقَمًا إِذَا أَكَلْتُمْ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَسَأَلَ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «اللَّهُمَّ غَفْرًا، وَكُلُّ مَا سَمِعْنَا مِنْهُمْ نَأْخُذُهُمْ بِهِ» فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ مَا قَالَ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِثَوْبِهِ وَخَنَقَهُ وَقَادَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِ: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ [التَّوْبَةُ:٦٥][١].

وَحَاشَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ ﷺ مِمَّا قَالُوا؛ فَإِنَّهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ طَعَامًا، وَأَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَأَشَدُّهُمْ بَأْسًا عِنْدَ اللِّقَاءِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا "[٢].

وَكَانَ مُعْظَمَ دَهْرِهِ ﷺ صَائِمًا، فَكَانَ يَصُومُ مِنَ الْمُحَرَّمِ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**)[٣].

وَكَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَعَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرَاكَ تَصُومُ فِي شَهْرٍ مَا لَا أَرَاكَ تَصُومُ فِي شَهْرٍ مَا تَصُومُ فِيهِ قَالَ: (**أَيُّ شَهْرٍ؟**) قُلْتُ: شَعْبَانَ قَالَ: (**شَعْبَانُ بَيْنَ رَجَبٍ وَشَهْرِ رَمَضَانَ يَغْفَلُ النَّاسُ عَنْهُ يُرْفَعُ فِيهِ أَعْمَالُ العِبَادِ فَأُحِبُّ أَنْ لَا يُرْفَعَ عَمَلِي إِلَّا وَأَنَا صَائِمٌ**)[٤].

---

(١) حسن لغيره، أخرجه: أبو نعيم/ حلية الأولياء(١/ ٢١٠).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه(٢٥٦٧)(٣/ ١٥٣)، مسلم/صحيحه (٢٩٧٢)(٤/ ٢٢٨٣).

(٣) أخرجه: مسلم/صحيحه(١١٦٣)(١١٦٣).

(٤) صحيح، أخرجه: البيهقي/شعب الإيمان (٣٥٤٠)(٥/٣٥٢).

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: (كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا)(١).

وَكَانَ يَصُومُ رَمَضَانَ وَسِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ فَذَاكَ صِيَامُ الدَّهْرِ)(٢).

وَكَانَ يَصُومُ التِّسْعَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَعَنْ هُنَيْدَةَ بنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنْ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ)(٣).

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ: صِيَامَ عَاشُورَاءَ، وَالْعَشْرَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ)(٤).

وَكَانَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ)(٥).

وَكَانَ يَصُومُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ)(٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)(٧).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْدَقَ النَّاسِ مُبَرَّءًا عَنْ الْكَذِبِ، لَا يَتَكَلَّمُ عَنْ هَوًى أَوْ أَمْرِ نَفْسٍ بَلْ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النَّجْمُ:٣-٤].

---

(١) أخرجه: مسلم/صحيحه(١١٥٦)(٢/٨١١).

(٢) أخرجه: مسلم/صحيحه(١١٦٤)(٢/٨٢٢).

(٣)صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(٢٠٨١)(٦/٤١٨).

(٤)صحيح، أخرجه: النسائي/ سننه(٢٣٧٣) (٨/١٢٨).

(٥) أخرجه: البخاري/صحيحه(١١٧٨)(٢/٥٨)، مسلم/صحيحه(٧٢١)(١/٤٩٨).

(٦) صحيح، أخرجه: النسائي/سننه(٢٣٦٤)(٤/٢٠٣).

(٧) صحيح، أخرجه: الترمذي/سننه(٧٤٧)(٣/١١٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: **(اكْتُبْ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ)**[(١)].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ: رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)**. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ؟ فَقَالَ: **(إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ)**[(٢)].

وَعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(...فَوَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ لَكُمْ شَجَرَ تِهَامَةَ نَعَمًا قَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ لَمْ تَلْقَوْنِي بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذُوبًا)**[(٣)].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَثْبَتَهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ، **فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ:** "لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ - أَوْ: لَمْ يَكُنْ - أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ"[(٤)].

وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ" قَالَ: فُزِّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، قَالَ: فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ سَبَقَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: **(لَمْ تُرَاعُوا؟)** قَالَ: وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ، عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: **(لَمْ تُرَاعُوا؟)**[(٥)].

وَعَنْ كَثِيرِ بنِ عَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الْحَارِثِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ

---

(١) صحيح، أخرجه: أحمد/مسنده(٦٨٠٢)(١١/ ٤٠٦).

(٢) صحيح بشواهده، أخرجه: أحمد/مسنده(٢٢٢١٤)(٣٦/ ٥٤٧).

(٣)حسن، أخرجه: النسائي/سننه(٣٦٨٨)(٦/ ٢٦٢).

(٤) صحيح، أخرجه: أحمد/مسنده(١٠٤٢)(٢/ ٣٠٧).

(٥) صحيح، أخرجه: أحمد/مسنده(١٣٨٦٥) (٢١/ ٣٤٧).

بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ)**، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَ اللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ)** قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: **(انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ)** قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَ اللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا[1].

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: **(أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ)**[2].

الْخَامِسَةُ: قوله: **(فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ)** دَلِيلٌ عَلَى نُصْرَةِ الْمُسْلِمِ فِي غَيْبَتِهِ، وَالدَّفْعِ عَنْ عِرْضِهِ، يُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(...الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ..)**[3]، وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّيْءِ أَمْرٌ بِضِدِّهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ)**[4].

---

(١) أخرجه: مسلم/ صحيحه (١٧٧٥) (١٣٩٨/٣).

(٢) أخرجه: البخاري/صحيحه(٢٨٦٤)(٤/ ٣٠).

(٣) أخرجه: مسلم/صحيحه(٢٥٦٤)(١٩٨٦/٤).

(٤) حسن، أخرجه: أبو داود/سننه(٤٩١٨)(٤/ ٢٨٠).

قَوْلُهُ: (يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ) أَيْ: يَمْنَعُ تَلَفَهُ وَخُسْرَانَهُ[1]، وَقَالُوا: يَجْمَعُ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ وَيَضُمُّهَا لَهُ[2].

وَقَوْلُهُ: (وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ) أَيْ: يَحْفَظُهُ، وَيَصُونُهُ، وَيَذُبُّ عَنهُ فِي غَيْبَتِهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ[3].

وَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ**)[4].

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: (وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ) دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ وَصْفِ الرَّجُلِ بِالنِّفَاقِ إِذَا قَالَ أَوْ فَعَلَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَقَدْ اتَّهَمَهُ عَوْفٌ ﷺ بِالنِّفَاقِ؛ لِمَا بَدَا مِنْهُ مِنْ بَذَاءٍ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﷺ، وَإِلْحَاقِ النَّقِيصَةِ بِهِمْ، وَهِيَ أَظْهَرُ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ، يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الْمُنَافِقُونَ:٧- ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التَّوْبَةُ:٧٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الْمُمْتَحَنَةُ:٢].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: (لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ) فِيهِ أَنَّ نَقْلَ خَبَرِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ إِلَى الْقَاضِي أَوْ الْإِمَامِ؛ لِيُقِيمَ عَلَيْهِمْ حُكْمَ الشَّرِيعَةِ، لَيْسَ مِنَ الْغِيبَةِ، وَلَا النَّمِيمَةِ، بَلْ هُوَ مِنَ النُّصْحِ للهِ وَرَسُولِهِ[5].

---

(١) العظيم آبادي/عون المعبود(١٣/١٧٨).

(٢) المناوي/التيسير(٢/٤٥١).

(٣) المناوي/التيسير(٢/٤٥١).

(٤) حسن، أخرجه: الطبراني/الأوسط(٨٦٤٢)(٨/ ٢٨٢).

(٥) انظر: سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٤٠).

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: **(فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ)** أَيْ: جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ بِمَا قَالُوهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾** وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى عِلْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَعَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

التَّاسِعَةُ: قَوْلُهُ: **(مُتَعَلِّقاً بِنِسْعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)** النِّسْعَةُ: الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الرَّحْلُ، وَأَصْلُهَا جَدْلُ الشَّيْءِ[1].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُنَافِقَ الَّذِي خَاضَ فِي عِرْضِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﷺ لَمَّا عَلِمَ بِفَضِيحَةِ الْقُرْآنِ لَهُ، وَكَشْفِ وَقَاحَتِهِ، الْتَحَقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ نَاقَتَهُ، فَأَخَذَ (بِالنِّسْعَةِ) أَيْ: بِالْحَبْلِ الَّذِي يُرْبَطُ بِهِ الرَّحْلُ، يَعْرِضُ أَسَفَهُ وَاعْتِذَارَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ كَانَ هَازِئاً وَلَمْ يَكُنْ جَادّاً فِيمَا قَالَ.

الْعَاشِرَةُ: قَوْلُهُ: **(وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ)** النَّكْبُ: الْمَيْلُ؛ يُقَالُ: نَكَبَ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا مَالَ عَنْهُ أَوْ عَدَلَ عَنْهُ[2]، وَالْمَعْنَى فِي الْحَدِيثِ: وَإِنَّ الْحِجَارَةَ لَتَنْخِسُ رِجْلَيْهِ فَتُمِيلُهُمَا؛ لِمَا يَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِحَبْلِ الرَّحْلِ؛ يَرْجُو مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَبُولَ عُذْرِهِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ)** أَيْ: لَا يَزِيدُهُ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ تَوْبِيخٍ؛ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللهِ ﷻ، وَكَفَى بِالْقَوْلِ الَّذِي أَرْشَدَ اللهُ إِلَيْهِ نِكَايَةً وَتَوْبِيخًا[3].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِي الْحَدِيثِ بَيَانٌ أَنَّ لِلشِّدَّةِ دَوَاعِيَ إِذَا قَامَتْ وَانْتَفَتْ مَوَانِعُهَا، تَعَيَّنَتْ -أَيْ الشِّدَّةُ- سَبِيلاً لِلدَّفْعِ وَلَا يَجُوزُ الْعَفْوُ؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ – حِينَئِذٍ- مُدَاهَنَةٌ وَإِثْمٌ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي إِلْحَاحِ الرَّجُلِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْعَفْوِ، وَالْحِجَارَةُ تَنْخِسُ رِجْلَيْهِ فَتُمِيلُهُمَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَاضٍ دُونَ اكْتِرَاثٍ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: **﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾**.

---

(١) انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة (٥/٤١٩)، ابن عثيمين/ القول المفيد (٢/ ٢٧٦)، الفوزان/إعانة المستفيد (٢/١٩٠).

(٢) ابن فارس/مقاييس اللغة(٥/٤٧٤).

(٣) ابن عثيمين/ القول المفيد (٢/ ٢٧٧).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ:

الْعَفْوُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ: هُوَ الَّذِي فِيهِ إِصْلَاحٌ؛ لِأَنَّ اللهَ اشْتَرَطَ ذَلِكَ فِي الْعَفْوِ؛ فَقَالَ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشُّورَى: ٤٠]؛ أَيْ: كَانَ عَفْوُهُ مُشْتَمِلاً عَلَى الْإِصْلَاحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَيْ أَصْلَحَ الْوُدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ قَاصِرٌ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَصْلَحَ فِي عَفْوِهِ؛ أَيْ: كَانَ فِي عَفْوِهِ إِصْلَاحٌ. فَمَنْ كَانَ عَفْوُهُ إِفْسَاداً لَا إِصْلَاحاً؛ فَإِنَّهُ آثِمٌ بِهَذَا الْعَفْوِ، وَوَجْهُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَةِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿عَفَا وَأَصْلَحَ﴾، وَلِأَنَّ الْعَفْوَ إِحْسَانٌ، وَالْفَسَادَ إِسَاءَةٌ، وَدَفْعُ الْإِسَاءَةِ أَوْلَى، بَلِ الْعَفْوُ حِينَئِذٍ مُحَرَّمٌ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ غَلَّظَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ لِكَوْنِهِ ﷺ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلَا يَزِيدُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، مَعَ أَنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكِبُ رِجْلَ الرَّجُلِ، وَلَمْ يَرْحَمْهُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَرُقْ لَهُ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٍ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ شَدِيداً فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، لَيِّناً فِي مَوْضِعِ اللِّينِ، لَكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.. الْأَصْلُ فِي مُعَامَلَتِهِمُ الشِّدَّةُ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٣]، ذَكَرَهَا اللهُ فِي سُورَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ مَا يَكُونُ، لَكِنَّ اسْتِعْمَالَ اللِّينِ أَحْيَاناً لِلدَّعْوَةِ وَالتَّأْلِيفِ قَدْ يَكُونُ مُسْتَحْسَناً[1].

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا أَوْ عَمَلٍ يَعْمَلُ بِهِ، وَأَشَدُّهَا خَطَرًا إِرَادَاتُ الْقُلُوبِ، فَهِيَ كَالْبَحْرِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ[2].

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: الْخَوْفُ مِنَ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَثْبَتَ لِهَؤُلَاءِ إِيمَانًا قَبْلَ أَنْ يَقُولُوا مَا قَالُوهُ، كَمَا **قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** "أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ"[3].

---

(١)ابن عثيمين/القول المفيد(٢/ ٢٧٨).

(٢) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٤٠).

(٣) البخاري/صحيحه (١/ ١٨).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: وَهِيَ الْعَظِيمَةُ: أَنَّ مَنْ هَزِلَ بِهَذَا أَنَّهُ كَافِرٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ، وَبَيْنَ النَّصِيحَةِ للهِ وَلِرَسُولِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ مِنَ الِاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

البَابُ (٤٨)

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُصِّلَتْ:٥٠] الْآيَةَ.

مِنْ مُقْتَضَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِ بِسَائِرِ النِّعَمِ، وَأَنَّهُ مُقَدِّرُهَا خَلْقَاً وَقَدْرَاً، زَمَانَاً وَمَكَانَاً، كَمَّاً وَكَيْفَاً، لَا يُعَجِّلُهَا حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يُؤَخِّرُهَا كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النَّحْلُ:٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سَبَأُ:٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سَبَأُ:٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النَّمْلُ:٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النَّمْلُ:٦٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فَاطِرُ: ٢-٣].

وَمِنْ مُقْتَضَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: التَّصْدِيقُ بِأَنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ، وَلَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ شَيْئَاً، فَإِنْ أَعْطَى فَبِفَضْلِهِ، وَإِنْ مَنَعَ فَبِعَدْلِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ كَمَالِ حَقٍّ، وَعَدْلٍ، وَحِكْمَةٍ، وَمَصْلَحَةٍ.

وَلَقَدْ أَقَامَ اللهُ تَعَالَى وَسَائِلَ وَأَسْبَابَاً لِلزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ:

فَمِنْ أَسْبَابِ الزِّيَادَةِ: تَقْوَى اللهِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَالدُّعَاءُ، وَالزَّكَاةُ وَالصَّدَقَةُ.

وَمِنْ أَسْبَابِ النُّقْصَانِ، وَمَحْقِ الْبَرَكَةِ: مَنْعُ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَأَخْطَرُهَا الشِّرْكُ، وَمِنْ أَفْرَادِهِ: إِسْنَادُ النِّعْمَةِ لِغَيْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَمِنْ مُقْتَضَى التَّوْحِيدِ: التَّصْدِيقُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ

إِلَّا بِهِ؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**[1].

وَمِنْ مُقْتَضَى التَّوْحِيدِ: التَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ وَعَدَمُ التَّأَلِّي عَلَيْهِ، وَعَدَمُ الْحَدِيثِ رَجْمًا بِالْغَيْبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النَّمْلُ:٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا، وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا، وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا**﴾ [الْكَهْفُ:٣٥-٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ [الْمَائِدَةُ:١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الْبَقَرَةُ:١١١].

وَعَنْ جُنْدَبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ: **(أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ**

---

(١) أخرجه: مسلم/صحيحه(٨)(١/ ٣٧).

عَمَلَكَ)[1].

أَمَّا عَنْ تَأْوِيلِ الْآيَةِ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُؤَكِّدُ بِالْقَسَمِ: لَئِنْ جَعَلْنَا الْإِنْسَانَ بِفَضْلٍ مِنَّا يَسْتَمْتِعُ بِآثَارِ رَحْمَتِنَا، فَيُحِسُّ بِلَذَّةِ مَا وَهَبْنَاهُ مِنْ بَعْدِ شِدَّةٍ وَبَلَاءٍ أَنْزَلْنَاهَا بِهِ، لَيَقُولَنَّ: هَذَا الَّذِي أَصَبْتُهُ مِنْ نِعْمَةٍ هُوَ لِي، أَسْتَحِقُّهُ بِعَمَلِي، وَاكْتَسَبْتُهُ بِمَهَارَتِي، وَلَسْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْبَعْثِ، وَأُقْسِمُ لَئِنْ كَانَ خَبَرُ الرُّجُوعِ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ صَحِيحًا، وَتَحَقَّقَ هَذَا الرُّجُوعُ الْمُسْتَبْعَدُ جِدًّا، إِنَّ لِي عِنْدَهُ الْجَنَّةَ، كَمَا أَعْطَانِي فِي الدُّنْيَا سَيُعْطِينِي فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّنِي أَسْتَحِقُّ هَذَا الْإِنْعَامَ وَالْإِكْرَامَ، فَلَنُخْبِرَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِحَقِيقَةِ مَا عَمِلُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُوجِبَةِ لِلْعَذَابِ، وَلَنُذِيقَنَّهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ.

مُنَاسَبَةُ الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

تَضَمَّنَتْ آيَةُ الْبَابِ جَحْدَ الْكَافِرِ نِعْمَةَ اللهِ وَإِنْكَارَ الْبَعْثِ، وَالتَّأَلِّي عَلَيْهِ تَعَالَى، وَكُلُّهَا مُخَالَفَاتٌ تُنَاهِضُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُصِّلَتْ:٥٠] فِيهِ إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَى النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيَقْتَضِي بِاللَّازِمِ عَدَمَ شُكْرِ اللهِ عَلَيْهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فُصِّلَتْ:٥٠] شَكٌّ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فُصِّلَتْ:٥٠] تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ، وَخَوْضٌ فِي الْغَيْبِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَظَائِمِ الَّتِي تُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ، وَالْخُضُوعَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ حَكَمَ اللهُ فِيهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فُصِّلَتْ:٥٠].

وَأَوْرَدَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُصِّلَتْ:٥٠]، بَعْضَ أَقْوَالِ السَّلَفِ:

---

(١) أخرجه: مسلم/صحيحه(٢٦٢١)(٤/ ٢٠٢٣).

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ"[1].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي"[2].

قَوْلُ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ"[3]، أَيْ: أَدْرَكْتُ هَذَا بِكَسْبِي، وَعَلَى عِلْمٍ عِنْدِي، وَأَنَا مُسْتَحِقٌّ لَهُ، مُقَابِلَ عَمَلِي وَاجْتِهَادِي[4].

وَعَمِيَ الْقَائِلُ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى اللهِ شَيْئًا، وَأَنَّهُ لَوْ عَمِلَ عَمَلَ الْمُرْسَلِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ؛ لَمْ يَأْتِ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ مِنْ بُحُورِ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَالْحَقُّ: أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِشَيْءٍ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ أَنْ يَشْكُرَهُ الْعَبْدُ وَيَذْكُرَهُ، وَيَنْسِبَ كُلَّ نِعْمَةٍ إِلَيْهِ[5].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي"، أَيْ: مِنْ كَدِّي وَاجْتِهَادِي، وَحَذْقِي وَذَكَائِي، وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ: يَكُونُ قَائِلُ هَذَا جَاحِدًا لِنِعْمَةِ اللهِ، مُشْرِكًا فِي رُبُوبِيَّتِهِ.

ثُمَّ أَوْرَدَ الْمُصَنِّفُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [الْقَصَصُ: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ"[6].

وَقَالَ آخَرُونَ: "عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ"[7].

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ"[8].

---

(١) أخرجه: الطبري/تفسيره(٤٥٩)(٢٠/٤٥٨).

(٢) ذكره القرطبي/تفسيره(١٦/٣٢١).

(٣) لفظها عند الطبري في تفسيره (٢٠/٤٨٢): بعملي، وأنا محقوق به.

(٤) الطبري/تفسيره (٢٠/٤٨٢).

(٥) انظر: ابن عثيمين/ القول المفيد (٢/ ٢٨٢)، صالح آل الشيخ/ التمهيد(ص٤٨٩).

(٦) أخرجه: عبد الرزاق/تفسيره(٢/١٧٤).

(٧) أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره عن السدي(١٧١٢٥)(٩/٣٠١٢).

(٨) أخرجه: الطبري/تفسيره(٢٠/٢٢١).

هَذَا جُزْءٌ مِنْ قِصَّةِ قَارُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الْقَصَصُ:٧٦-٧٧].

تَأْوِيلُ الْآيَةِ:

أَيْ: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَظَلَمَ قَوْمَهُ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ وَالْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ جَعَلَ نَفْسَهُ خَادِمَاً لِمَصَالِحِ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ، فِي إِذْلَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِعْبَادِهِمْ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُنُوزِ الْأَمْوَالِ شَيْئَاً عَظِيمَاً، اكْتَنَزَهَا فِي مَبَانِي حَصِينَةٍ، ذَاتِ أَبْوَابٍ تُقْفَلُ بِإِحْكَامٍ، فَلَا تُفْتَحُ إِلَّا بِمَفَاتِيحَ خَاصَّةٍ بِهَا، حَتَّى إِنَّ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ لَيَثْقُلُ حَمْلُهَا عَلَى الْجَمَاعَةِ الْأَقْوِيَاءِ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِذَا حَمَلُوهَا مَالَتْ ظُهُورُهُمْ مِنْ ثِقَلِهَا عَجْزَاً عَنِ النُّهُوضِ بِهَا قَائِمِينَ، وَحِينَ اغْتَرَّ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ وَكَفَرَ بِهَا، نَصَحَهُ عُقَلَاءُ قَوْمِهِ مُوَجِّهِينَ لَهُ أَرْبَعَ نَصَائِحَ:

النَّصِيحَةُ الْأُولَى: لَا تَبْطَرْ بِكَثْرَةِ مَالِكَ، وَتَسْتَكْبِرْ وَتَتَعَالَى بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَلَا يَفْتِنْكَ الْفَرَحُ بِهِ عَنْ شُكْرِ اللهِ؛ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْبَطِرِينَ الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَعِقَابِهِ، فَمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ بِإِرَادَتِهِ فِي زُمْرَةِ مَنْ لَا يُحِبُّهُمُ اللهُ، فَقَدْ جَعَلَهَا عُرْضَةً لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ الشَّدِيدِ.

النَّصِيحَةُ الثَّانِيَةُ: وَاطْلُبْ فِي تَصَرُّفِكَ فِيمَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، قَاصِدَاً ثَوَابَ رَبِّكَ الَّذِي لَا يَنْفَدُ فِي الْجَنَّةِ، بِأَنْ تَقُومَ بِشُكْرِ اللهِ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَتُنْفِقُهُ فِي رِضَاهُ، وَلَا تَفْهَمْ أَنَّنَا نَنْصَحُكَ، أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ مَا آتَاكَ اللهُ مُوَجَّهَاً لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، بَلْ نَقُولُ لَكَ أَيْضَاً: لَا تَتْرُكْ حَظَّكَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللهُ لَكَ.

النَّصِيحَةُ الثَّالِثَةُ: وَأَحْسِنْ إِلَى فُقَرَاءِ قَوْمِكَ وَمَسَاكِينِهِمْ وَذَوِي الضَّرُورَاتِ وَالْحَاجَاتِ فِيهِمْ، بِمَالٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِهِ.

النَّصِيحَةُ الرَّابِعَةُ: وَلَا تَطْلُبْ وَسَائِلَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ مِنْ ظُلْمِ الْإِسْرَائِلِيِّينَ وَالْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِذْلَالِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ بِالْإِكْرَاهِ، وَنَشْرِ الْفَاحِشَةِ، وَطَرْحِ الشُّبُهَاتِ، وَتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ عَلَى الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْكَيْدِ، وَإِفْسَادِ الْقِيَمِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْآدَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَعِقَابِهِ، فَمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ بِإِرَادَتِهِ فِي زُمْرَةِ الَّذِينَ لَا يُحِبُّهُمْ، فَقَدْ جَعَلَهَا عُرْضَةً لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ الشَّدِيدِ.

فَرَدَّ قَارُونُ عَلَى النَّاصِحِينَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ: لَمْ أَمْلِكْ مَا مَلَكْتُهُ مِنْ أَمْوَالٍ، وَلَمْ أَصِلْ إِلَى مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَاتِبِ الرِّفْعَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ، بِعَطَاءٍ أَعْطَانِيهِ اللهُ إِحْسَانًا، بَلْ أُوتِيتُهُ بِنَاءً عَلَى عِلْمِي بِأَسْبَابِ اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا، وَأَسْبَابِ اكْتِسَابِ الْمَجْدِ وَمَرَاتِبِ الرِّفْعَةِ وَالْعِزَّةِ!!

أَجَهِلَ هَذَا الْمَغْرُورُ بِذَكَائِهِ وَعِلْمِهِ بِالْأَسْبَابِ، وَلَمْ يَعْتَبِرْ بِمَنْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ قَبْلَهُ مِنْ كُفَّارِ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً، وَأَكْثَرَ جَمْعًا لِلْأَمْوَالِ؟ فَلْيُعِدَّ نَفْسَهُ لِمَصِيرٍ يَكُونُ فِيهِ هَالِكًا مُعَذَّبًا؛ جَزَاءً لَهُ عَلَى جُحُودِهِ وَبَغْيِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ وَعُدْوَانِهِ عَلَى قَوْمِهِ.

وَحِينَ يَقْضِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِإِهْلَاكِ الْمُجْرِمِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يُهْلِكُهُمْ وَيُنْهِي وُجُودَهُمْ فِيهَا، دُونَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ وَيُحَاسِبَهُمْ، إِذِ السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ وَفَصْلُ الْقَضَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ، قَبْلَ تَنْفِيذِ الْجَزَاءِ.

أَمَّا الْإِهْلَاكُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الْغَرَضُ مِنْهُ: إِيقَافُ شُرُورِهِمْ، وَتَطْهِيرُ الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ مِنْ وَبَائِهِمْ[1].

ثُمَّ أَوْرَدَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ تَأْوِيلَاتِ السَّلَفِ لِلْآيَةِ، فَقَالَ:

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ" وَمَعْنَاهُ: إِنَّمَا بَلَغْتُ هَذَا الثَّرَاءَ، وَأَحَطْتُ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمَالِ بِحِذْقِي وَرُسُوخِي وَطُولِ خِبْرَتِي فِي مَيْدَانِ التِّجَارَةِ وَوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ وَنَمَاءِ الْمَالِ، وَحُجِبَ عَنِ الرَّزَّاقِ الْوَهَّابِ الَّذِي قَدَّرَ لَهُ تِلْكَ النِّعْمَةَ وَأَعْطَاهُ ذَلِكَ الثَّرَاءَ.

---

(١) مجد مكي/المعين (ص٣٩٤).

"**وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ**": وَمَنْشَؤُهُ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ، وَالْإِعْجَابُ بِهَا، فَوَرِثَ بِهَا قَنَاعَةً أَنَّهُ أَهْلُ جَدَارَةٍ وَاسْتِحْقَاقٍ بِهَذَا الثَّرَاءِ، وَلَوْلَاهُ لَمَا أَعْطَانِيهِ اللهُ.

"**وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أُوْتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ**" أَيْ: أَدْرَكْتُهُ بِسَبَبِ فَضْلِي وَمَكَانَتِي، وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ بِهَذَا التَّأْوِيلِ قَدْ جَعَلَ الشَّرَفَ وَالْمَنْزِلَةَ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ النِّعْمَةِ وَالثَّرَاءِ، بِلَا حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ مِنَ الشَّرْعِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَعْلَ غَيْرِ السَّبَبِ سَبَباً فِي جَلْبِ النَّفْعِ أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ أَجَادَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ قَالَ: لَوْلَا رِضَا اللَّهِ عَنِّي وَمَعْرِفَتُهُ بِفَضْلِي مَا أَعْطَانِي هَذَا الْمَالَ، وَقَرَأَ: ﴿**أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً**﴾ الآية، وَهَكَذَا يَقُولُ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ إِذَا رَأَى مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ لَوْلَا أَنْ يَسْتَحِقَّ ذَلِكَ لَمَا أُعْطِيَ[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى. فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ. وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوِ الْإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا؛ فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ. فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ**

---

(١) ابن كثير/تفسيره(٦/٢٢٩).

انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ: بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ! فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ: شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ). أَخْرَجَاهُ[1].

فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** بَنُو إِسْرَائِيلَ هُمْ: وَلَدُ يَعْقُوبَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ يَعْقُوبُ يُدْعَى "إِسْرَائِيلَ"، بِمَعْنَى عَبْدِ اللهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ[2].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ)** الْبَرَصُ: دَاءٌ يُصِيبُ الْجِلْدَ، وَهُوَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ الَّتِي يَقِلُّ بُرْؤُهَا[3].

وَالْأَقْرَعُ: الَّذِي ذَهَبَ شَعَرُ رَأْسِهِ بِآفَةٍ وَعِلَّةٍ[4].

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ)** الِابْتِلَاءُ سُنَّةٌ لَا مَنَاصَ مِنْهَا؛ لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ [الْأَنْبِيَاءُ:٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾ [النَّمْلُ:٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ**

---

(١) أخرجه: البخاري/صحيحه(٣٤٦٤)(٤/١٧١)، مسلم/صحيحه(٢٩٦٤)(٤/٢٢٧٥).

(٢) الطبري/تفسيره(١/ ٥٥٣).

(٣) انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة(١/٢١٩).

(٤) انظر: انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة(٥/٧٣)، الكرماني/ الكواكب الدراري(١٤/ ٩٤).

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ:٢- ٣].

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا)** أَيْ: عَلَى صُورَةِ بَشَرٍ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَلْقٌ أَقْدَرَهُمُ اللهُ عَلَى التَّشَكُّلِ، فَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِإِذْنِ اللهِ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ﷺ، فَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: **(مَنْ هَذَا؟)** أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ[١].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: **(وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ)** أَيْ: كَرِهَنِي النَّاسُ، وَاشْمَأَزُّوا مِنْ رُؤْيَتِي لِأَجْلِهِ[٢].

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا)** قَدَّمَ هُنَا ذَهَابَ الْقَذَرِ عَلَى إِعْطَاءِ الْحُسْنِ عَلَى التَّرْتِيبِ فِي الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ إِعْطَاءَ الْحُسْنِ مَسْبُوقٌ بِذَهَابِ الْقَذَرِ، وَقَدَّمَ الْحُسْنَ عَلَى ذَهَابِ الْقَذَرِ؛ لِأَنَّ الْحُسْنَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ وَالْأَهَمُّ بِالطَّلَبِ؛ وَلِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْحُسْنُ ذَهَبَ الْقَذَرُ لَا مَحَالَةَ، بِخِلَافِهِ إِذَا ذَهَبَ الْقَذَرُ فَقَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الْحُسْنُ، فَلِذَا عَقَّبَ الذَّهَابَ بِالْحُسْنِ فِي الثَّانِي[٣].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ)** أَيِ: الَّذِي تَمَنَّى الْإِبِلَ، أُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ أَيْ: أَتَى عَلَى حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، مِنْ يَوْمِ أُرْسِلَ عَلَيْهَا الفَحْلُ وَزَالَ عَنْهَا اسْمُ الْمَخَاضِ، ثُمَّ اتُّسِعَ فِيهِ، فَقِيلَ لِكُلِّ حَامِلٍ: عُشَرَاءُ، وَنُوقٌ عِشَارٌ، وَكَانَتْ أَنْفَسَ أَمْوَالِ الْعَرَبِ لِقُرْبِ وِلَادَتِهَا، وَرَجَاءَ لَبَنِهَا[٤].

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: **(أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ)** لَمْ يَطْلُبْ بَصَرًا حَسَنًا كَمَا طَلَبَهُ

---

(١) أخرجه: البخاري/صحيحه(٣٦٣٤)(٤/ ٢٠٦)، مسلم/صحيحه(٢٤٥١)(٤/١٩٠٦).

(٢) الطيبي/شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٤)، ابن حجر/فتح الباري (٦/ ٥٠٢).

(٣) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٤).

(٤) القاضي عياض/إكمال المعلم(٨/٥١٥)، ابن حجر/فتح الباري(٦/٥٠٢)، الطيبي/شرح المشكاة(٥/١٥٣٤)، ابن الملقن/التوضيح(١٩/ ٦٢٠).

صَاحِبَاهُ، وَإِنَّمَا طَلَبَ بَصَرًا يُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ فَقَطْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قَنَاعَتِهِ بِالْكِفَايَةِ[1].

التَّاسِعَةُ: قَوْلُهُ: **(قَالَ: الْغَنَمُ)** هَذَا يَدُلُّ عَلَى زُهْدِهِ كَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُ سَكِينَةٍ وَتَوَاضُعٍ؛ لِأَنَّ السَّكِينَةَ فِي أَصْحَابِ الْغَنَمِ[2].

الْعَاشِرَةُ: قَوْلُهُ: **(فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا)** أَيْ: وَضَعَتْ وَلَدَهَا، **وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** هِيَ الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُهَا[3].

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هِيَ الَّتِي قَدْ عُرِفَ مِنْهَا كَثْرَةُ الْوَلَدِ[4].

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى قَرِيبَةُ الْوِلَادَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ صَاحِبَيْهِ أُعْطِيَا أُنْثَى حَامِلًا، وَالشَّيْءُ قَدْ يُسَمَّى بِالاسْمِ الْقَرِيبِ؛ فَقَدْ يُعَبَّرُ عَنِ الشَّيْءِ حَاصِلًا وَهُوَ لَمْ يَحْصُلْ، لَكِنَّهُ قَرِيبُ الْحُصُولِ[5].

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا)** هَكَذَا هُوَ الرِّوَايَةُ، وَهِيَ قَلِيلَةُ الِاسْتِعْمَالِ، وَالْمَشْهُورُ نَتَجَ، يُقَالُ: نَتَجْتُ أَنَا النَّاقَةَ وَأَنَا نَاتِجٌ: إِذَا تَوَلَّيْتُ نَتَاجَهَا وَوِلَادَتَهَا، وَنَتَجَ الْقَوْمُ: وَضَعَتْ مَوَاشِيهِمْ، وَأَنْتَجَ الْقَوْمُ: إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ إِبِلٌ حَوَامِلَ، وَأَنْتَجَتِ الْفَرَسُ: إِذَا حَمَلَتْ، وَأَنْتَجَتْ أَيْضاً: وَلَدَتْ، وَنَتَجَتْ فَهِيَ مَنْتُوجَةٌ. وَالنَّاتِجُ يُقَالُ لِلْإِبِلِ، وَالْمُوَلِّدُ يُقَالُ لِغَيْرِهَا، كَالْقَابِلَةِ لِلنِّسَاءِ[6].

وَ**(هَذَانِ)** مَصْرُوفٌ إِلَى الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، وَقَدْ رَاعَى عُرْفَ الِاسْتِعْمَالِ حَيْثُ قَالَ فِيهِمَا: أُنْتِجَ، وَفِي الشَّاةِ: وَلَّدَ[7].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ)** أَيْ: جَاءَ الْمَلَكُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي جَاءَ الْأَبْرَصُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

قَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبْرَصِ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ حَالَهُ

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٨٧).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٨٧).

(٣) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٥١٥).

(٤) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٤).

(٥) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٨٧).

(٦) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٤)، القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٥١٦).

(٧) الكرماني/ الكواكب الدراري(١٤/ ٩٥).

وَيَرْحَمُ عَلَيْهِ بِمَالِهِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِ حَيْثُ جَاءَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي تَسَبَّبَ فِي جَمَالِهِ وَحُصُولِ كَثْرَةِ مَالِهِ[1].

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي)** الْحِبَالُ بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ خَفِيفَةٌ جَمْعُ حَبْلٍ، أَيِ: الْأَسْبَابُ الَّتِي يَقْطَعُهَا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَقِيلَ: الْعَقَبَاتُ، وَقِيلَ: الْحَبْلُ هُوَ الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الرَّمْلِ، وَلِبَعْضِ رُوَاةِ مُسْلِمٍ: (الْحِيَالُ) بِالْمُهْمَلَةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ جَمْعُ حِيلَةٍ؛ أَيْ: لَمْ يَبْقَ لِي حِيلَةٌ، وَلِبَعْضِ رُوَاةِ الْبُخَارِيِّ: (الْجِبَالُ) بِالْجِيمِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ[2].

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحِبَالُ جَمْعُ حَبْلٍ، وَهُوَ الْعَهْدُ، وَالْأَمَانُ، وَالْوَسِيلَةُ، وَكُلُّ مَا يَرْجُو مِنْهُ خَيْرًا وَفَرَجًا، أَوْ يَسْتَدْفِعُ بِهِ ضَرَرًا. وَالْحَبْلُ هُنَا السَّبَبُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: انْقَطَعَتْ بِيَ الْأَسْبَابُ[3].

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ)** الْبَلَاغُ: الْكِفَايَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**﴾ [الْأَنْبِيَاءُ:١٠٦]. وَالْبَاءُ فِي (بِاللَّهِ) مُتَّصِلٌ بِـ (بَلَاغَ) أَيْ لَيْسَ لِي مَا أَبْلُغُ بِهِ غَرَضِي إِلَّا بِاللَّهِ[4].

وَفِيهِ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ مَا لَا يَخْفَى؛ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ وَبِكَ، وَثُمَّ لِتَرَاخِي الرُّتْبَةِ وَالتَّنَزُّلِ فِي الْمَرْتَبَةِ[5].

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَيْسَتْ إِخْبَارًا بَلْ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصَّافَاتُ:٨٩]، وَكَقَوْلِهِمْ: ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾ [ص:٢٣][6].

وَقَالَ ابْنُ التِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَرَادَ أَنَّكَ كُنْتَ كَذَا، وَهَذَا مِنَ الْمَعَارِيضِ الَّتِي فِيهَا مَنْدُوحَةٌ عَنِ

---

(١) القاري/ مرقاة المفاتيح(٤/ ١٣٢٨).

(٢) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٥١٦)، ابن حجر/ فتح الباري (٦/ ٥٠٢).

(٣) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٥).

(٤) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٥).

(٥) القاري/ مرقاة المفاتيح(٤/ ١٣٢٨).

(٦) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٥).

الْكَذِبِ، وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ لِلْمُخَاطَبِ لِيَتَّعِظَ[1].

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ)** الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: (بِالَّذِي) لِلْقَسَمِ وَالِاسْتِعْطَافِ، أَيْ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الَّذِي، أَوْ مُتَوَسِّلاً بِالَّذِي[2].

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي)** مِنَ الْبُلْغَةِ وَهُوَ الْكِفَايَةُ، يُقَالُ: تَبَلَّغَ بِكَذَا، أَيْ: اكْتَفَى بِهِ[3].

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ)** أَيْ: حُقُوقُ الْمَالِ كَثِيرَةٌ عَلَيَّ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَدَائِهَا، أَوْ حُقُوقُ الْمُسْتَحِقِّينَ كَثِيرَةٌ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَكَ الْبَعِيرُ، وَقَدْ أَرَادَ بِهِ دَفْعَهُ، وَهُوَ غَيْرُ صَادِقٍ فِيهِ[4].

وَفِيهِ دَلِيلٌ: عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْإِبِلِ أَهْلُ قَسْوَةٍ وَجَفَاءٍ، لَا كَأَهْلِ الْغَنَمِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، يُؤَيِّدُ هَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَالفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ)**[5].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْفَدَّادُ: ذُو الْمَالِ الْكَثِيرِ.

وَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْفَدَّادُونَ: هُمْ أَهْلُ الْجَبَلِ، أَهْلُ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ[6].

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: **(كَأَنِّي أَعْرِفُكَ!)** (كَأَنَّ) هُنَا لِلتَّحْقِيقِ لَا لِلتَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَى جَامِدٍ فَهِيَ لِلتَّشْبِيهِ، وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى مُشْتَقٍّ؛ فَهِيَ لِلتَّحْقِيقِ أَوْ لِلظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ، وَالْمَعْنَى: أَنِّي أَعْرِفُكَ مَعْرِفَةً تَامَّةً[7].

الْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: **(أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؟)** ذَكَّرَهُ الْمَلَكُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ، وَعَرَّفَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْعَيْبِ السَّابِقِ حَتَّى يَعْرِفَ قَدْرَ النِّعْمَةِ، وَالِاسْتِفْهَامُ

---

(١) ابن الملقن/ التوضيح(١٩/ ٦٢١).

(٢) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٥).

(٣) الكرماني/ الكواكب الدراري(١٤/ ٩٥).

(٤) القاري/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٢٩).

(٥) أخرجه: البخاري/صحيحه(٣٣٠١)(٤/ ١٢٧)، مسلم/صحيحه(٥٢)(١/ ٧٢).

(٦) انظر: ابن عبد البر/الاستذكار(٨/٤٩٩).

(٧) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٩٠).

لِلتَّقْرِيرِ لِدُخُولِهِ عَلَى "لَمْ"؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشَّرْحُ: ١][١].

الْحَادِيَةَ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: (**إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ**) حَالٌ، يُقَالُ: هُوَ كَبِيرُ قَوْمِهِ، أَكْبَرُهُمْ فِي السِّنِّ وَالرِّيَاسَةِ، أَوْ فِي النَّسَبِ، وَوَرِثُوا الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[٢]، أَيْ: كَبِيراً عَنْ كَبِيرٍ فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ[٣].

قَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: كَبِيرًا أَخْذًا عَنْ كَبِيرٍ أَوْ كَبِيرًا بَعْدَ كَبِيرٍ، وَالْمَعْنَى حَالَ كَوْنِي أَكْبَرَ قَوْمِي سِنًّا وَرِيَاسَةً وَنَسَبًا وَأَخْذًا عَنْ آبَائِيَ الَّذِينَ هُمْ كَذَلِكَ حَسَبًا، وَنِعْمَ مَنْ قَالَ مِنْ أَرْبَابِ الْحَالِ:

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرَ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى ... وَلَمْ يَكُ صُعْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا

وَهَذَا مِنْ بَابِ الِاكْتِفَاءِ فِي الْجَوَابِ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ عُرْفًا مِنَ التَّكْذِيبِ فِي شَيْءٍ تَكْذِيبَهُ فِي آخَرَ[٤].

وَقَالَ ابْنُ الْمُلَقِّنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَمَلَهُ بُخْلُهُ عَلَى نِسْيَانِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْكَذِبِ[٥].

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: (**إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ**) هَذَا الشَّرْطُ لَيْسَ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّ الْمَلَكَ لَمْ يَشُكَّ فِي كَذِبِهِ بَلْ هُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَامِلِ إِذَا تَسَوَّفَ فِي عَمَالَتِهِ: إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ فَأَعْطِنِي حَقِّي. فَعَلَى هَذَا تَصْيِيرُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مَقْطُوعٌ حُصُولُهُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: (**وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**)[٦].

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَأْتِي بِـ "إِنْ" الشَّرْطِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الِاحْتِمَالِ مَعَ أَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَاذِبٌ؟

أُجِيبَ: أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنَزُّلِ مَعَ الْخَصْمِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ كُنْتَ كَمَا ذَكَرْتَ عَنْ نَفْسِكَ؛ فَأَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، وَأَنَّكَ لَمْ تَرِثْهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْفَقْرِ، وَلَمْ يَقُلْ: "إِلَى مَا أَقُولُ"؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى ذَلِكَ بِلَا شَكٍّ. وَالتَّنَزُّلُ مَعَ

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٩٠).

(٢) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٥).

(٣) الكرماني/ الكواكب الدراري(١٤/ ٩٦).

(٤) القاري/ مرقاة المفاتيح(٤/ ١٣٢٩).

(٥) ابن الملقن/ التوضيح(١٩/ ٦٢١).

(٦) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٥).

الْخَصْمِ يَرِدُ كَثِيرًا فِي الْأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النَّمْلُ:٥٩]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ، وَأَنَّ اللهَ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ، وَلَكِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ مُحَاجَّةِ الْخَصْمِ؛ لِإِدْحَاضِ حُجَّتِهِ[١].

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: (إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ) فِيهِ جَوَازُ الدُّعَاءِ الْمُعَلَّقِ؛ وَنَظِيرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النُّورُ:٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النُّورُ:٩][٢].

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: (فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ) أَيْ: مِنَ الْبَرَصِ وَالْفَاقَةِ، وأَوْرَدَهُ بِلَفْظِ الْفِعْلِ الْمَاضِي؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ[٣].

الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: (فَوَ اللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ) كَذَا لِأَكْثَرِهِمْ، وَعِنْدَ ابْنِ مَاهَانَ: "أَحْمَدُكَ" بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ، وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَوَابُهُ: "لَا أَجْهَدُكَ" بِالدَّالِ، أَيْ أَمْنَعُكَ، وَهَذَا تَغْيِيرٌ لِلرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ النَّقْلِ وَالْمَعْنَى[٤].

فَأَمَّا "أَحْمَدُكَ" فَمَعْنَاهُ -فِيمَا قِيلَ-: لَا أَحْمَدُكَ الْيَوْمَ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ أَوْ إِبْقَائِهِ؛ لِطِيبِ نَفْسِي بِمَا تَأْخُذُهُ، فَتَكُونُ لَفْظَةُ التَّرْكِ مَحْذُوفَةً؛ كَمَا قَالَ الْمُرَقِّشُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ، أَيْ: لَيْسَ عَلَى فَوْتِ طُوْلِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ[٥].

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَعَلَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ فُلَانٌ يَتَحَمَّدُ عَلَيَّ؛ أَيْ: يَمْتَنُّ، يُقَالُ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَا يَتَحَمَّدْ بِهِ عَلَى النَّاسِ[٦].

وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ: "أَجْهَدُكَ"، أَيْ: لَا أَبْلُغُ مِنْكَ جُهْدَاً أَوْ مَشَقَّةً فِي مَنْعِكَ شَيْئَاً أَخَذْتَهُ للهِ. قَالَ صَاحِبُ الْأَفْعَالِ: جَهَدْتَهُ وَأَجْهَدْتَهُ: بَلَغْتَ مَشَقَّتَهُ. وَقَدْ يَكُونُ هُنَا "أَجْهَدُكَ" أَيْ: أُقَلِّلُ

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٩٠).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٢٩٤).

(٣) ابن حجر/ فتح الباري (٦/ ٥٠٣).

(٤) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٥١٧)، ابن الملقن/ التوضيح(١٩/ ٦٢١).

(٥) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٥١٧)

(٦) الكرماني/ الكواكب الدراري(١٤/ ٩٦).

لَكَ فِيهَا تَأْخُذُهُ. وَالْجُهْدُ مَا يَعِيشُ بِهِ الْمُقِلُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ:٧٩][(١)].

وَقَالَ ابْنُ الْمُلَقِّنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: لَا أَشُقُّ عَلَيْكَ بِالرَّدِّ وَالْمِنَّةِ، يُقَالُ: جَهَدْتَهُ وَأَجْهَدْتَهُ أَيْ: بَلَغْتَ مَشَقَّتَهُ[(٢)].

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ لَا أَسْتَفْرِغُ طَاقَتِي بِمَنْعِ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ، هَذَا عَلَى عَكْسِ مَا قَالَ الْأَبْرَصُ وَالْأَقْرَعُ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، أَيْ: الْمَوَانِعُ فِي الْإِعْطَاءِ كَثِيرَةٌ، فَلَا يَتَأَتَّى لِي أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا[(٣)].

السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: **(فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ)** أَيْ: أَنْتَ وَرَفِيقَاكَ وَالْمَعْنَى: اخْتُبِرْتُمْ، هَلْ تَذْكُرُونَ سُوءَ حَالَتِكُمْ، وَشِدَّةَ خِدْمَتِكُمْ أَوَّلًا، وَتَشْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ آخِرًا؟[(٤)].

السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: قَوْلُهُ: **(فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ)** بِلَفْظِ الْمَجْهُولِ؛ وَكَانَ الْأَعْمَى خَيْرُ الثَّلَاثَةِ؛ **قَالَ الْكِرْمَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** كَانَ مِزَاجُ الْأَعْمَى أَصَحَّ مِنْ مِزَاجِ رَفِيقَيْهِ؛ لِأَنَّ الْبَرَصَ مَرَضٌ يَحْصُلُ مِنْ فَسَادِ الْمِزَاجِ وَخَلَلِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذَلِكَ الْقَرَعُ بِخِلَافِ الْعَمَى؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ بَلْ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَمْرٍ خَارِجٍ؛ فَلِهَذَا حَسُنَتْ طِبَاعُ الْأَعْمَى، وَسَاءَتْ طِبَاعُ الْآخَرَيْنِ[(٥)].

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: وَفِيهِ وَصْفُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا بِالرِّضَا وَالسُّخْطِ، صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِهِ اللَّائِقَةِ بِهِ ﷻ، لَيْسَ كَرِضَى الْمَخْلُوقِ، وَلَا كَسَخَطِ الْمَخْلُوقِ[(٦)].

التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقُصُّ عَلَيْنَا أَنْبَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَجْلِ الِاعْتِبَارِ وَالِاتِّعَاظِ بِمَا جَرَى، وَهُوَ أَحَدُ الْأَدِلَّةِ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا، مَا لَمْ يَرِدْ شَرْعُنَا

---

(١) القاضي عياض/ إكمال المعلم(٨/ ٥١٧).

(٢) ابن الملقن/ التوضيح(١٩/ ٦٢١).

(٣) الطيبي/ شرح المشكاة (٥/ ١٥٣٦).

(٤) القاري/ مرقاة المفاتيح (٤/ ١٣٢٩).

(٥) الكرماني/ الكواكب الدراري(١٤/ ٩٦)، ابن حجر/ فتح الباري (٦/ ٥٠٣).

(٦) الفوزان/ إعانة المستفيد (٢/ ١٩٩).

بِخِلَافِهِ[1].

وَجَمِيعُ الْقَصَصِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ، لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا مُجَرَّدَ الْخَبَرِ، بَلْ يُقْصَدُ مِنْهَا الْعِبْرَةُ وَالْعِظَةُ، مَعْ مَا تُكْسِبُ النَّفْسَ مِنَ الرَّاحَةِ وَالسُّرُورِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يُوسُفُ:١١١][2].

الثَّلَاثُونَ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ؛ لِيَذَّكَّرَ بِكُلٍّ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْبَلَاءِ مِنْ جِنْسِهِ، وَلِيُخَوِّفَ النَّاسِيَ فَضْلَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالْجَاحِدَ نِعْمَتَهُ؛ وَلِيُعْلَمَ أَنَّ الْبَلَاءَ فِي الْغَالِبِ يَكُونُ بِعُرْضَةِ أَنْ يَزُولَ إِلَى خَيْرٍ، وَأَنَّ النِّعْمَةَ فِي الْغَالِبِ تَكُونُ بِعُرْضَةِ أَنْ تَزُولَ إِلَى هَلَاكٍ، إِلَّا الْقَلِيلَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا نَجَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَهَلَكَ اثْنَانِ فِي حَالَةِ الْغِنَى. فَالنِّعْمَةُ مُنْسِيَةٌ مُطْغِيَةٌ، حَتَّى تَعُودَ بِالْمُنْعَمِ عَلَيْهِ كَمَا لَيْسَ الَّذِي كَانَ[3].

الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: وَفِيهِ: أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا لِلْمُبْتَلَى مِنْ زَوَالِ الْبَلَاءِ؛ فَإِنَّ ذَيْنِ لَمَّا اخْتَارُوا السَّلَامَةَ، بِأَنَّ مَا جَرَى لَهُمَا فِي الصِّحَّةِ أَنَّ الْمَرَضَ كَانَ لَهُمَا أَصْلَحَ؛ لِأَنَّ السَّلَامَةَ كَانَتْ سَبَبَ هَلَكَتِهِمَا، فَاسْتُدِلَّ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ مِنَ اللهِ تَعَالَى إِزَالَةَ ضَرَرٍ، فَلَمْ يَجِدْ سُرْعَةَ الْإِجَابَةِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّهِمَ اللهَ فِي أَقْدَارِهِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ نَظَرَ لَهُ وَإِلَيْهِ، وَذَلِكَ الْأَعْمَى؛ فَقَدْ رَدَّ اللهُ بَصَرَهُ وَأَقَرَّ بَصِيرَتَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ[4].

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ ذِكْرِ مَا اتَّفَقَ لِمَنْ مَضَى؛ لِيَتَّعِظَ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غِيبَةً فِيهِمْ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي تَرْكِ تَسْمِيَتِهِمْ، وَلَمْ يُفْصِحْ بِمَا اتَّفَقَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِمْ وَقَعَ كَمَا قَالَ الْمَلَكُ[5].

الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ: وَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى زَوَالِهَا، وَالتَّرْغِيبُ فِي شُكْرِهَا وَالِاعْتِرَافُ بِهَا وَحَمْدُ اللهِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى دَوَامِهَا وَزِيَادَتِهَا، فَالْحَدِيثُ مِصْدَاقُ

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد (٢/ ٢٩٣).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد (٢/ ٢٨٤).

(٣) ابن هبيرة/ الإفصاح(٦/ ٢٦٢).

(٤) ابن هبيرة/ الإفصاح(٦/ ٢٦٣).

(٥) ابن حجر/ فتح الباري (٦/ ٥٠٣).

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيمُ:٧][(١)].

قَالَ سُلَيْمَانُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَفِيهِ مُعْتَبَرٌ، فَإِنَّ الْأَوَّلَيْنِ جَحَدَا نِعْمَةَ اللهِ، فَمَا أَقَرَّا للهِ بِنِعْمَتِهِ، وَلَا نَسَبَا النِّعْمَةَ إِلَى الْمُنْعِمِ بِهَا، وَلَا أَدَّيَا حَقَّ اللهِ، فَحَلَّ عَلَيْهِمَا السَّخَطُ.

وَأَمَّا الْأَعْمَى فَاعْتَرَفَ بِنِعْمَةِ اللهِ، وَنَسَبَهَا إِلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا، وَأَدَّى حَقَّ اللهِ فِيهَا، فَاسْتَحَقَّ الرِّضَى مِنْ اللهِ بِقِيَامِهِ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ لَمَّا أَتَى بِأَرْكَانِ الشُّكْرِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي لَا يَقُومُ الشُّكْرُ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ: الْإِقْرَارُ بِالنِّعْمَةِ، وَنِسْبَتُهَا إِلَى الْمُنْعِمِ، وَبَذْلُهَا فِيمَا يُحِبُّ"[(٢)].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَصْلُ الشُّكْرِ هُوَ الِاعْتِرَافُ بِإِنْعَامِ الْمُنْعِمِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ لَهُ، وَالذُّلِّ، وَالْمَحَبَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ النِّعْمَةَ، بَلْ كَانَ جَاهِلاً بِهَا، لَمْ يَشْكُرْهَا، وَمَنْ عَرَفَهَا وَلَمْ يَعْرِفْ الْمُنْعِمَ بِهَا، لَمْ يَشْكُرْهَا أَيْضًا، وَمَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ وَالْمُنْعِمَ، لَكِنْ جَحَدَهَا كَمَا يَجْحَدُهَا الْمُنْكِرُ لِنِعْمَةِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ بِهَا، فَقَدْ كَفَرَهَا، وَمَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ وَالْمُنْعِمَ بِهَا وَأَقَرَّ بِهَا وَلَمْ يَجْحَدْهَا، وَلَكِنْ لَمْ يَخْضَعْ لَهُ وَلَمْ يُحِبَّهُ وَلَمْ يَرْضَ بِهِ وَعَنْهُ، لَمْ يَشْكُرْهُ أَيْضًا، وَمَنْ عَرَفَهَا وَعَرَفَ الْمُنْعِمَ بِهَا وَأَقَرَّ بِهَا وَخَضَعَ لِلْمُنْعِمِ بِهَا وَأَحَبَّهُ وَرَضِيَ بِهِ وَعَنْهُ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِي مَحَابِّهِ وَطَاعَتِهِ، فَهَذَا هُوَ الشَّاكِرُ لَهَا. فَلَا بُدَّ فِي الشُّكْرِ مِنْ عِلْمِ الْقَلْبِ، وَعَمَلٍ يَتْبَعُ الْعِلْمَ، وَهُوَ الْمَيْلُ إِلَى الْمُنْعِمِ وَمَحَبَّتُهُ وَالْخُضُوعُ لَهُ"[(٣)].

الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ شُكْرَ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ، وَكُفْرَهَا مَعْصِيَةٌ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا غَضِبَ عَلَى الْأَبْرَصِ وَالْأَقْرَعِ وَعَاقَبَهُمَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ[(٤)].

الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ تَذْكِيرِ الْإِنْسَانِ بِحَالَتِهِ السَّيِّئَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِنُصْحِهِ وَدَعْوَتِهِ لِشُكْرِ اللهِ تَعَالَى، أَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِتَعْيِيرِهِ بِمَاضِيهِ أَوْ التَّشْهِيرِ بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ شَرْعًا[(٥)].

السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: فِيهِ فَضْلُ الصَّدَقَةِ، وَأَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ -جَلَّ وَعَلَا-، وَفِيهِ:

---

(١) ابن حجر/ فتح الباري (٦/ ٥٠٣)، حمزة قاسم/ منار القاري(٤/ ٢٢٠).

(٢) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٤٤).

(٣) ابن القيم/ طريق الهجرتين(١/ ٩٥).

(٤) حمزة قاسم/ منار القاري(٤/ ٢٢٠).

(٥) حمزة قاسم/ منار القاري(٤/ ٢٢٠).

إِكْرَامُ الضُّعَفَاءِ وَالْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ، وَتَبْلِيغُهُمْ مَآرِبَهُمْ، وَالْحَذَرُ مِنْ كَسْرِ قُلُوبِهِمْ وَاحْتِقَارِهِمْ، وَفِيهِ الزَّجْرُ عَنِ الْبُخْلِ؛ لِأَنَّهُ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى الْكَذِبِ وَعَلَى جَحْدِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى(١).

السَّابِعَةُ وَالثَّلاثُونَ: أَنَّ نِسْبَةَ النِّعَمِ إِلَى اللهِ ﷻ تَوْحِيدٌ، وَأَنَّ نِسْبَتَهَا إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ، لَكِنْ إِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَهَا فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَهُ سَبَبٌ وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَهَا، وَلَكِنْ نَسَبَهَا إِلَى السَّبَبِ فَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ النِّسْبَةُ إِلَى الْأَسْبَابِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ أَسْبَابًا صَحِيحَةً، وَإِنَّمَا تُضَافُ النِّعَمُ إِلَى اللهِ ﷻ، وَلِهَذَا مَرَّ بِنَا الْحَدِيثُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٢]، أَنَّهُ قَوْلُ الرَّجُلِ: "لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، لَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ" لَوْلَا كَذَا، لَوْلَا كَذَا، فَلَا تَجُوزُ النِّسْبَةُ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَإِنَّمَا تُنْسَبُ النِّعَمُ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ اللهُ ﷻ(٢).

الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ هَذَا الْأَعْمَى بِسَبَبِ إِحْسَانِهِ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْهِ بِسَبَبِ بُخْلِهِمَا بِحُقُوقِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ(٣).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠].

الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [الْقَصَصُ: ٧٨].

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ.

---

(١) ابن الملقن/ التوضيح(١٩/ ٦٢١)، ابن حجر/ فتح الباري (٦/ ٥٠٣).

(٢) الفوزان/ إعانة المستفيد(٢/ ١٩٩).

(٣) الفوزان/ إعانة المستفيد(٢/ ١٩٩).

البَابُ (٤٩)

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠] الْآيَةَ.

مِنْ مُقْتَضَى التَّوْحِيدِ: التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَاهِبُ النِّعَمِ، الْمُتَفَرِّدُ بِهَا فَلَمْ يُشَارِكْهُ فِيهَا أَحَدٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النَّحْلُ:٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَاتُ:٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لُقْمَانُ:٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشُّورَى:٤٩-٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الْإِنْسَانُ:١- ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ:١٢-١٥].

وَحَقُّ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى نَعْمَائِهِ، وَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِهَا، وَيُسَخِّرُوهَا فِي مَرَاضِيهِ، وَلَا يَنْسِبُوهَا إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَشْكُرُوا عَلَيْهَا سِوَاهُ، فَإِنَّ إِسْنَادَهَا لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، فَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ ذُرِّيَّةً: ابْنًا أَوْ بِنْتًا، فَلَا يَحِلُّ أَنْ يُعَبِّدُوهَا لِغَيْرِهِ، يَقُولُونَ: عَبْدُ الْحَارِثِ، وَعَبْدُ الرَّسُولِ، وَعَبْدُ عَمْرٍو، وَعَبْدُ الْكَعْبَةِ وَنَحْوُهَا، فَإِنْ كَانَ التَّعْبِيدُ لِمُجَرَّدِ التَّسْمِيَةِ كَانَ شِرْكًا أَصْغَرَ مُنَافِيًا لِكَمَالِ التَّوْحِيدِ، وَإِنْ كَانَ التَّعْبِيدُ بِقَصْدِ التَّأَلُّهِ وَالْعِبَادَةِ كَانَ شِرْكًا أَكْبَرَ يُنَافِي حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ؛ وَتَحْذِيرًا مِنْ هَذَا أَتَى الْمُصَنِّفُ بِهَذَا الْبَابِ، وَأَشْعَرَهُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠]، وَهُوَ لَمْزٌ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ الذُّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ الْمُبَرَّأَةَ مِنْ عَيْبِ الْخِلْقَةِ، فَكَانَتْ عَلَى تَقْوِيمٍ حَسَنٍ، وَصُورَةٍ جَمِيلَةٍ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَشْكُرُوه وَيُعَبِّدُوا لَهُ أَسْمَاءَهَا عَبَّدُوهَا لِغَيْرِهِ، وَسَمَّوْهَا عَبْدَ الْحَارِثِ، وَعَبْدَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَكَانُوا بِذَلِكَ مُشْرِكِينَ

مُخَالِفِينَ لِكَمَالِ التَّوْحِيدِ.

وَجَاءَتِ السُّنَّةُ مُؤَكِّدَةً هَدْيَ الْقُرْآنِ، مُحَذِّرَةً مِنَ الْجُنُوحِ إِلَى الشِّرْكِ؛ لِيَسْلَمَ التَّوْحِيدُ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اسْقِ رَبَّكَ، أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ فَتَاتِي، وَغُلَامِي»**[1].

وَكَيْ تَتِمَّ الْفَائِدَةُ يَحْسُنُ أَنْ نَضُمَّ إِلَى الْآيَةِ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ، وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الْأَعْرَافُ: ١٨٩ - ١٩٤].

أَيْ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَ مِنْ نَوْعِ هَذِهِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ زَوْجَهَا، تُشَارِكُهُ فِي الْخَصَائِصِ وَالطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ؛ لِيَأْنَسَ بِهَا وَيَأْوِيَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا وَاقَعَهَا وَجَامَعَهَا -وَالْمُرَادُ بِهِ: جِنْسُ الزَّوْجَيْنِ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ- حَمَلَتِ النُّطْفَةَ، وَهِيَ خَفِيفَةٌ عَلَيْهَا، فَاسْتَمَرَّتْ بِذَلِكَ الْحَمْلِ، فَقَامَتْ وَقَعَدَتْ بِهَذَا الْحَمْلِ وَهُوَ يَتَنَامَى شَيْئًا فَشَيْئًا، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى حَالِ الثِّقَلِ، وَكَبُرَ ذَلِكَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَدَنَتْ مُدَّةُ وِلَادَتِهَا، دَعَا الزَّوْجَانِ رَبَّهُمَا مُقْسِمِينَ: نُقْسِمُ يَا رَبَّنَا، لَئِنْ أَعْطَيْتَنَا بَشَرًا سَوِيًّا سَالِمًا مِنَ الْعُيُوبِ؛ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى إِنْعَامِكَ عَلَيْنَا.

فَلَمَّا أَعْطَى اللهُ الزَّوْجَيْنِ مَا طَلَبَاهُ مِنَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ السَّوِيِّ، جَعَلَا للهِ شُرَكَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَلَدِ الَّذِي انْفَرَدَ اللهُ بِخَلْقِهِ، فَاتَّخَذَا أَعْمَالًا شِرْكِيَّةً لِحِمَايَةِ وَلَدِهِمَا، فَتَنَزَّهَ اللهُ وَتَرَفَّعَ وَتَسَامَى عَنْ إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ.

أَيُشْرِكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا، وَهَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلِهَةً

---

(١) صحيح، أخرجه: أحمد/ مسنده(٨١٩٧)(١٣/ ٥١٨).

مَعَ اللهِ يُخْلَقُونَ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ، مَا دَامُوا فِي الْوُجُودِ.

وَلَا تَقْدِرُ الْأَصْنَامُ عَلَى نَصْرِ مَنْ أَطَاعَهَا وَعَبَدَهَا، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَكْرُوهاً. فَإِذَا كَانَتْ لَا تَخْلُقُ شَيْئَاً بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْفَعَ الْمَكْرُوهَ عَمَّنْ يَعْبُدُهَا، وَلَا عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ تُتَّخَذُ مَعَ اللهِ آلِهَةً؟

وَإِنْ تَدْعُوا -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي عَبَدْتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ إِلَى الْقِيَامِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ فِي هُدًى، لَا تَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ دُعَائِكُمْ لِلْأَصْنَامِ أَوْ سُكُوتِكُمْ عَنْهَا، فَإِنَّهَا عَاجِزَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ.

إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَعْتَقِدُونَ فِيهَا النَّفْعَ وَالضُّرَّ، إِنَّمَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ للهِ أَمْثَالُكُمْ، مُسَخَّرَةٌ مُذَلَّلَةٌ لِقُدْرَتِهِ، فَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُعْبَدُوا، وَعِبَادَتُهُمْ ظُلْمٌ لِحَقِّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ جَمِيعاً، فَإِنْ كُنْتُمْ -كَمَا تَزْعُمُونَ- صَادِقِينَ فِي أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْعِبَادَةِ شَيْئَاً، فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ، فَإِنْ اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَحَصَّلُوا مَطْلُوبَكُمْ، وَإِلَّا تَبَيَّنَ أَنَّكُمْ كَاذِبُونَ مُفْتَرُونَ عَلَى اللهِ[١].

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ: كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا: عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"[٢].

فِي الْأَثَرِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ: كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ)**؛ لِأَنَّهُ خَطَأٌ مُرَكَّبٌ مِنْ مُخَالَفَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: الافْتِرَاءُ وَالْكَذِبُ فِي نِسْبَةِ نِعْمَةِ اللهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَبَيَانُهُ: أَنَّ إِضَافَةَ التَّعَبُّدِ لِغَيْرِ اللهِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ اعْتِقَادِ أَنَّ الْمُضَافَ إِلَيْهِ صَاحِبُ قُدْرَةٍ وَنِعْمَةٍ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ عَبَّدُوا لَهُ الْأَبْنَاءَ، وَأَنَّى لِأَحَدٍ دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِقُدْرَةٍ يَنْفَعُ بِهَا أَوْ يَضُرُّ، أَوْ يَخْلُقَ نِعْمَةً، أَوْ يَمْنَحَ عَافِيَةً.

---

(١) مجد مكي/تفسيره(ص١٧٥).

(٢) ابن حزم/مراتب الإجماع(ص١٧٩).

وَالثَّانِيَةُ: الاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ اللهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ الْمُتَفَرِّدُ فِي الْخَلْقِ وَالْمُلْكِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْضَعَ خُضُوعَ عِبَادَةٍ لِغَيْرِهِ، وَلَا أَنْ يَعْبُدَ سِوَاهُ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ)** مِثْلُ: عَبْدِ الرَّسُولِ وَعَبْدِ الْمَسِيحِ، وَعَبْدِ عَلِيٍّ، وَعَبْدِ الْبَدَوِيِّ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَلَا تَحِلُّ التَّسْمِيَةُ بِعَبْدِ عَلِيٍّ وَلَا عَبْدِ الْحُسَيْنِ وَلَا عَبْدِ الْكَعْبَةِ؛ وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ عَنْ هَانِئِ بْنِ شُرَيْحٍ ﷺ قَالَ: وَفَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْمِهِ، فَسَمِعَهُمْ يُسَمُّونَ رَجُلًا عَبْدَ الْحَجَرِ، فَقَالَ لَهُ: **(مَا اسْمُكَ؟)** قَالَ: عَبْدُ الْحَجَرِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ)**[١]"[٢].

الثَّالِثَةُ: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَتَّفِقُونَ عَلَى تَحْرِيمِ الِاسْمِ الْمُعَبَّدِ لِغَيْرِ اللهِ، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ: **(تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ..)**[٣] الْحَدِيثَ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ التَّعْبِيدَ لِلدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، بَلْ أَرَادَ بِهِ وَصْفَ مَنْ يَشْغَلُ قَلْبَهُ وَيُسَخِّرُ جَوَارِحَهُ، وَيَقْضِي وَقْتَهُ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا كَالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ بِعُبُودِيَّتِهِمَا عَنْ عُبُودِيَّةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٤].

وَعَلَيْهِ: فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَشْغَلُ قَلْبَهُ وَجَوَارِحَهُ وَزَمَانَهُ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ وَالثِّيَابِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ صَدَقَ عَلَيْهِ وَصْفُ الْعَبْدِ لِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا أَرْبَابًا سَخَّرَ لَهَا نَفْسَهُ، وَضَيَّعَ بِهَا حَقَّ اللهِ عَلَيْهِ، فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ بِضُرٍّ دَائِمٍ لَا خَلَاصَ مِنْهُ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(حَاشَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)** حَاشَا: كَلِمَةُ اسْتِثْنَاءٍ، بِمَعْنَى: اعْزِلْ فُلَانًا مِنْ وَصْفِ الْقَوْمِ بِالْحَشَا[٥]، أَيْ: يُسْتَثْنَى مِنَ التَّعَبُّدِ لِغَيْرِ اللهِ الْمُجْمَعِ عَلَى تَحْرِيمِهِ اسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَهُوَ

---

(١) حسن، أخرجه: ابن أبي شيبة/مصنفه (٢٥٩٠١)(٥/ ٢٦٢).

(٢) ابن القيم/ تحفة المودود(١/ ١١٣).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه(٢٨٨٧)(٤/ ٣٤).

(٤) ابن القيم/ تحفة المودود (١/ ١١٤) بتصرف.

(٥) انظر: الأزهري/تهذيب اللغة(٥/ ٩١).

مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ بِالتَّحْرِيمِ وَالرَّسُولُ ﷺ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ: **(أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)**(١).

فَلَوْ كَانَ حَرَامَاً لَمَا قَالَهُ، وَلَمَا أَخَّرَ بَيَانَ حظْرِه.

اعْتُرِضَ عَلَيْهِ:

أَنَّ قَوْلَهُ: **(أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)** لَيْسَ مِنْ بَابِ إِنْشَاءِ التَّسْمِيَةِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ بِالِاسْمِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ الْمُسَمَّى، وَعُرِفَ بِهِ دُونَ غَيْرِه، وَالْإِخْبَارُ بِمِثْلِ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ تَعْرِيفِ الْمُسَمَّى لَا يَحْرُمُ. وَلَا وَجهَ لِتَخْصِيصِ أَبِي مُحَمَّدٍ [ابْنِ حَزْمٍ] ذَلِكَ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ خاصَّةً، فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ يُسَمَّونَ بِعَبْدِ شَمْسٍ، وَبَنِي عَبْدِ الدَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ، وَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ. فَبَابُ الْإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنَ الْإِنْشَاءِ، فَيَجُوزُ فِيهِ مَا لَا يَجُوزُ فِي الْإِنْشَاءِ(٢).

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدْ يَقَعُ الْغَلَطُ كَثِيراً فِي بَابِ التَّسْمِيَةِ. وَأَعْرِفُ رَجُلاً مِنَ الْفُقَهَاءِ كَانَ سَمَّى وَلَدَهُ: عَبْدَ الْمُطَّلِبِ. فَهُوَ يُدْعَى بِهِ إِلَى الْيَوْمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، جَدِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَرَى فِي التَّسْمِيَةِ بِهِ عَلَى التقْلِيدِ وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ جَدَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّمَا دُعِيَ بِهِ لِأَنَّ هَاشِماً أَبَاهُ كَانَ تَزَوَّجَ أُمَّهُ بِالْمَدِينَةِ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَوَلَدَتْ لَهُ هَذَا الْغُلَامَ، وَسَمَّاهُ شَيْبَةَ، وَمَاتَ عَنْهُ وَهُوَ طِفْلٌ فَخَرَجَ عَمُّهُ الْمُطَّلِبُ بنُ عَبْدِ مَنَافٍ أَخُو هَاشِمٍ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَحَمَلَهُ إِلَى مَكَّةَ فَدَخَلَهَا، وَقَدْ أَرْدَفَهُ خَلْفَهُ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ هَذَا الْغُلَامُ؟

فَقَالَ: هَذَا عَبْدِي، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ كَسَاهُ، وَلَا نَظَّفَهُ، فَيَزُولَ عَنْهُ شَعَثُ السَّفَرِ؛ فَاسْتَحْيَا أَنْ يَقُولَ: ابْنُ أخِي. فَدُعِيَ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَاقِي عُمُرِه.

عَلَى أَنَّهُ لَا اعْتِبَارَ بِمَذَاهِبِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَا، فَقَدْ تَسَمَّوْا: بِعَبْدِ مَنَافٍ، وَعَبْدِ الدَّارِ، وَنَحْوِهِمَا مِنْ الْأَسَامِي"(٣).

فَعَلَى هَذَا لَا تَجُوزُ التَّسْمِيَةُ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا غَيْرِهِ مِمَّا عُبِّدَ لِغَيْرِ اللهِ، وَكَيْفَ تَجُوزُ التَّسْمِيَةُ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ التَّسْمِيَةِ بِـ: عَبْدِ النَّبِيِّ، وَعَبْدِ الرَّسُولِ، وَعَبْدِ الْمَسِيحِ، وَعَبْدِ عَلِيٍّ،

---

(١) أخرجه: البخاري/ صحيحه(٢٨٦٤)(٤/ ٣٠)، مسلم/ صحيحه(١٧٧٦)(٣/ ١٤٠٠).

(٢) ابن القيم/ تحفة المودود (١/ ١١٤).

(٣) الخطابي/ شأن الدعاء (١/ ٨٤).

وَعَبْدِ الْحُسَيْنِ، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ؟! وَكُلُّ هَذِهِ أَوْلَى بِالْجَوَازِ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَوْ جَازَتْ التَّسْمِيَةُ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ ابْنُ حَزْمٍ قَدْ حَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى جَوَازِ التَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ خِلَافُهُ؟

أُجِيبَ: كَلَامُ ابْنِ حَزْمٍ لَيْسَ صَرِيحًا فِي حِكَايَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّ لَفْظَهُ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ، كَعَبْدِ الْعُزَّى، وَعَبْدِ هُبَلٍ، وَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَاشَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى إِبَاحَةِ كُلِّ اسْمٍ بَعْدَ مَا ذَكَرْنَا مَا لَمْ يَكُنْ اسْمَ نَبِيٍّ، أَوْ اسْمَ مَلَكٍ إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ. فَيُحْتَمَلُ أَنَّ مُرَادَهُ حِكَايَةُ الْخِلَافِ فِيهِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ حَاشَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَيْ: فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى تَحْرِيمِهِ، بَلْ اخْتَلَفُوا، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: وَاتَّفَقُوا عَلَى إِبَاحَةِ كُلِّ اسْمٍ بَعْدَ مَا ذَكَرْنَا إِلَى آخِرِهِ. وَيَكُونُ الْمُرَادُ حَاشَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَا أَحْفَظُ مَا قَالُوا فِيهِ، وَيَكُونُ سُكُوتًا مِنْهُ عَنْ حِكَايَةٍ إِجْمَاعًا، أَوْ خِلَافٍ فِيهِ، وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ مُرَادَهُ حِكَايَةَ الْإِجْمَاعِ مِنْ جَوَازِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حَكَى إِجْمَاعًا يُسَلَّمُ لَهُ، وَلَا كُلُّ إِجْمَاعٍ يَكُونُ حُجَّةً أَيْضًا، فَكَيْفَ وَالْخِلَافُ مَوْجُودٌ، وَالسُّنَّةُ فَاصِلَةٌ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ؟[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ: "قَالَ لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعُنِّي، أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا-، سَمِّيَاهُ: عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ: عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[الْأَعْرَافُ:١٩٠]" رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[2].

فِي الْأَثَرِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: الْأَثَرُ لَمْ يَصِحَّ، **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ:** وَقَدْ تَلَقَّى هَذَا الْأَثَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ جَمَاعَةٌ

---

(١) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٤٧-٥٤٨).

(٢) أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره(٨٦٥٤)(٥/١٦٣٤).

مِنْ أَصْحَابِهِ كَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ، وَمِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ: قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْخَلَفِ، وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ جَمَاعَاتٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَأَنَّهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَصْلُهُ مَأْخُوذٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ... وَقَدْ صَحَّ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ)[1][2].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(تَغَشَّاهَا)** أَيْ: تَغَشَّى آدَمُ حَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَيْ: وَطِئَهَا[3].

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **(فَأَتَاهُمَا)** أَيْ: أَتَى إِبْلِيسُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ **(فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ)** يُشِيرُ إِلَى الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ لِآدَمَ عليه السلام لَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ وَزَيَّنَهَا لَهُ وَأَغْرَاهُ بِالْأَكْلِ مِنْهَا، فَعَصَى رَبَّهُ وَأَكَلَ مِنْهَا، فَحَصَلَتْ الْمُصِيبَةُ، وَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَأُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ تَابَا إِلَى اللهِ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمَا.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ)** أَيْ: لِوَلَدِكُمَا الَّذِي تُنْجِبَانِ.

وَقَوْلُهُ: **(قَرْنَيْ أَيِّلٍ)** هُوَ بِالتَّثْنِيَةِ أَوْ الْإِضَافَةِ، وَأَيِّلٍ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ الْمُشَدَّدَةِ: ذَكَرُ الْأَوْعَالِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُخَوِّفُهُمَا بِكَوْنِهِ يَجْعَلُ لِلْوَلَدِ قَرْنَيْ وَعِلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا، فَيَشُقُّهُ كَمَا قَالَ: فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ[4].

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: **(وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ)** يُخَوِّفُهُمَا بِغَيْرِ مَا ذُكِرَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَفْعَلُ بِهِمَا غَيْرَ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: **(سَمِّيَاهُ: عَبْدَ الْحَارِثِ) قَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:** جَاءَهَا إِبْلِيسُ فَخَوَّفَهَا أَنْ يَكُونَ حَمْلُهَا بَهِيمَةً. وَقَالَ: أَطِيعِينِي وَسَمِّيهِ: "عَبْدَ الْحَارِثِ" تَلِدِينَ شَبَهَكُمَا، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِآدَمَ، فَقَالَ: هُوَ صَاحِبُنَا الَّذِي عَلِمْتِ: فَمَاتَ الْوَلَدُ، ثُمَّ حَمَلَتْ أُخْرَى، فَعَادَ إِلَيْهَا إِبْلِيسُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَكَانَ الْمَلْعُونُ اسْمُهُ فِي الْمَلَائِكَةِ: "الْحَارِثُ"[5].

وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يُسَمِّيَاهُ بِذَلِكَ، لِيَكُونَ قَدْ وَجَدَ لَهُ صُورَةَ الْإِشْرَاكِ بِهِ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ

---

(١) حسن، أخرجه: أحمد/مسنده(١٧٢٢٥)(٢٨/٤٦٠).

(٢) ابن كثير/تفسيره(٣/٥٢٨).

(٣) ابن فارس/مقاييس اللغة(٤/٤٢٥).

(٤) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص ٥٤٩).

(٥) مكي بن أبي طالب/ الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/٢٦٧٣).

كَيْدِ إِبْلِيسَ إِذَا عَجَزَ عَنْ الْآدَمِيِّ أَنْ يُوقِعَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ الْكَبِيرَةِ، قَنِعَ مِنْهُ بِالصَّغِيرَةِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنْهُمَا طَاعَتُهُ كَمَا أَطَاعَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، كَمَا رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ ﷺ قال: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(خَدَعَهُمَا مَرَّتَيْنِ)** قَالَ: زَيْدٌ خَدَعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَخَدَعَهُمَا فِي الْأَرْضِ[1].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: **(فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا...)** إِلَخْ، هَذَا واللهُ أَعْلَمُ مِنَ الامْتِحَانِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لاَ عَزْمَ لَهُ، وَإِنْ عَايَنَ مَاذَا عَسَاهُ أَنْ يُعَايِنَ مِن الآيَاتِ إِلاَّ بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ تَغْلِبُ عَلَيْهِ كَمَا غَلَبَتْ عَلَى الْأَبَوَيْنِ مَرَّتَيْنِ، مَعَ مَا وَقَعَ لَهُمَا قَبْلُ مِنْ التَّحْذِيرِ وَالْإِنْذَارِ عَنْ كَيْدِ إِبْلِيسَ وَعَدَاوتِهِ لَهُمَا، ومَعَ ذلكَ أَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، وَكَانَ ذَلِكَ شِرْكًا فِي التَّسْمِيَةِ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدَا الْعِبَادَةَ لِلشَّيْطَانِ، بَلْ قَصَدَا بِهِ فِيمَا ظَنَّا إِمَّا دَفْعَ شَرِّهِ عَنْ حَوَّاءَ، وإِمَّا الْخَوْفَ عَلَى الْوَلَدِ مِنْ الْمَوْتِ؛ **فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ:** "لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ أَتَاهَا الشَّيْطَانُ، فقَالَ: أَتُطِيعِينِي وَيَسْلَمْ لَكِ وَلَدُكِ؟ سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَلَمْ تَفْعَلْ فَوَلَدَتْ فَمَاتَ، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّالِثَ فَجَاءَهَا فَقَالَ: إِنْ تُطِيعِينِي يَسْلَمْ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَكُونُ بَهِيمَةً فَهَيَّبَهُمَا فَأَطَاعَا"[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كَانَتْ حَوَّاءُ تَلِدُ لِآدَمَ، فَتُعَبِّدُهُمْ لِلَّهِ، وَتُسَمِّيهِ عَبْدَ اللَّهِ وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَيُصِيبُهُمُ الْمَوْتُ، فَأَتَاهَا إِبْلِيسُ وَآدَمَ، فَقَالَ: إِنَّكُمَا لَوْ تُسَمِّيَانِهِ بِغَيْرِ الَّذِي تُسَمِّيَانِهِ لَعَاشَ، فَوَلَدَتْ لَهُ رَجُلًا، فَسَمَّاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا**﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٩-١٩٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[3][4].

قُلْتُ: جُلُّ هَذِهِ الْآثَارِ ضَعِيفَةٌ لَمْ تَصِحَّ، عَلَى أَنَّ الشِّرْكَ وَإِنْ كَانَ فِي التَّسْمِيَةِ فَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَقَدْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ عَنْ فِعْلِ الْكَبَائِرِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ، وَأَظْهَرُ مَا قِيلَ

---

(١) ضعيف، أخرجه: ابن أبي حاتم/ تفسيره (٨٦٦٤)(٥/١٦٣٥)، وانظر: سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٥٠).

(٢) ضعيف، أخرجه: ابن أبي حاتم/ تفسيره (٥/١٦٣٣).

(٣) الطبري/ جامع البيان (١٠/ ٦٢٤).

(٤) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٥٠).

مِنْ تَأْوِيلٍ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠] انْتِقَالٌ مِنَ النَّوْعِ إِلَى الْجِنْسِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكَلَامِ فِي الْجِنْسِ، أَيْ: فِي ذُرِّيَّتِهِمَا[١].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: "شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ"[٢].

أَيْ: لِكَوْنِهِمَا أَطَاعَاهُ فِي التَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ الْحَارِثِ، لَا أَنَّهُمَا عَبَدَاهُ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ شِرْكِ الطَّاعَةِ وَبَيْنَ شِرْكِ الْعِبَادَةِ[٣].

وَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٩] قَالَ: كَانَ آدَمُ عليه السلام لَا يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ إِلَّا مَاتَ، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ وَلَدُكَ هَذَا، فَسَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَفَعَلَ، قَالَ: فَأَشْرَكَا فِي الِاسْمِ وَلَمْ يُشْرِكَا فِي الْعِبَادَةِ[٤].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: " قِيلَ لَهُ: أَشْرَكَ آدَمُ؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَزْعُمَ أَنَّ آدَمَ أَشْرَكَ، وَلَكِنَّ حَوَّاءَ لَمَّا أَثْقَلَتْ، أَتَاهَا إِبْلِيسُ فَقَالَ لَهَا: مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ هَذَا مِنْ أَنْفِكِ أَوْ مِنْ عَيْنِكِ أَوْ مِنْ فِيكِ؟ فَقَنَّطَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيْتِ إِنْ خَرَجَ سَوِيًّا زَادَ ابْنُ فُضَيْلٍ لَمْ يَضُرَّكِ وَلَمْ يَقْتُلْكِ أَتُطِيعِينِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَسَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَفَعَلَتْ. زَادَ جَرِيرٌ: فَإِنَّمَا كَانَ شِرْكُهُ فِي الِاسْمِ"[٥].

قَالَ بَعْضُهُمْ: تَفْسِيرُ قَتَادَةَ فِي هذِهِ الآيَةِ بِالطَّاعَةِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا عَلَى كَلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ آدَمُ وَحَوَّاءُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَنَاسَبَ تَفْسِيرُهَا بِالطَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُمَا أَطَاعَا الشَّيْطَانَ فِي تَسْمِيَةِ الْوَلَدِ بِعَبْدِ الْحَارِثِ[٦].

وَالطَّاعَةُ إِذَا كَانَتْ مَنْسُوبَةً للهِ؛ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ عِبَادَةَ اللهِ طَاعَتُهُ.

---

(١) السعدي/تفسيره(ص٣١٢).

(٢) صحيح، أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره(٨٦٥٩)(٥/١٦٣٤).

(٣) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٥٠).

(٤) صحيح، أخرجه: الطبري/جامع البيان (١٠/ ٦٢٥).

(٥) الطبري/جامع البيان (١٠/ ٦٢٧).

(٦) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٥٠).

وَأَمَّا الطَّاعَةُ الْمَنْسُوبَةُ لِغَيْرِ اللهِ؛ فَإِنَّهَا غَيْرُ الْعِبَادَةِ، فَنَحْنُ نُطِيعُ الرَّسُولَ ﷺ لَكِنْ لَا نَعْبُدُهُ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يُطِيعُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَكْرَهُهُ. فَالشِّرْكُ بِالطَّاعَةِ: يَعْنِي أَنَّنِي أَطَعْتُهُ لَا حُبًّا وَتَعْظِيمًا وَذُلاًّ كَمَا أُحِبُّ اللهَ وَأَتَذَلَّلُ لَهُ وَأُعَظِّمُهُ، وَلَكِنَّ طَاعَتَهُ اتِّبَاعٌ لِأَمْرِهِ فَقَطْ، هَذَا هُوَ الْفَرْقُ. وَبِنَاءً عَلَى الْقِصَّةِ؛ فَإِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ أَطَاعَا الشَّيْطَانَ وَلَمْ يَعْبُدَاهُ عِبَادَةً[١].

وَالشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ كُفْرٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، أَمَّا الشِّرْكُ فِي الطَّاعَةِ فَلَيْسَ دَرَجَةً وَاحِدَةً، بَلْ هُوَ دَرَجَاتٌ، أَدْنَاهَا الْمَعْصِيَةُ، وَأَعْلَاهَا الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَعَلَيْهِ فَقَدْ يَحْصُلُ شِرْكٌ فِي الطَّاعَةِ فَيَكُونُ مَعْصِيَةً، وَقَدْ يَحْصُلُ شِرْكٌ فِي الطَّاعَةِ فَيَكُونُ كَبِيرَةً، وَقَدْ يَحْصُلُ شِرْكٌ فِي الطَّاعَةِ وَيَكُونُ كُفْرًا أَكْبَرَ، أَمَّا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ بِاللَّهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا فَرَّقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بَيْنَ شِرْكِ الطَّاعَةِ وَشِرْكِ الْعِبَادَةِ، مَعَ أَنَّ الْعِبَادَةِ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلطَّاعَةِ، وَالطَّاعَةُ مُسْتَلْزِمَةٌ أَيْضًا لِلْعِبَادَةِ، لَكِنْ لَيْسَ فِي كُلِّ دَرَجَاتِهَا[٢].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قَالَ: "أَشْفَقَا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا"[٣]. وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا[٤].

وَفِيهِ فَوَائِدُ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: **(أَشْفَقَا)** أَيْ: خَافَ آدَمُ وَحَوَّاءُ أَنْ لَا يَكُونَ وَلَدُهُمَا إِنْسَانًا؛ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَهِيمَةً فَقَالَا: لَئِنْ آتَيْتَنَا بَشَرًا سَوِيًّا[٥].

وَفِي هَذَا أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهَا غَيْرَ سَوِيَّةٍ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ. فَلَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْخَطَ مِمَّا وَهَبَهُ اللهُ لَهُ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ يَحْمَدُ اللهَ الَّذِي جَعَلَهَا بَشَرِيَّةً سَوِيَّةً. وَلِهَذَا

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٣١٢).

(٢) صالح آل الشيخ/ التمهيد (ص٥٠١-٥٠٢).

(٣) صحيح، أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره(٨٦٤٨)(٥/١٦٣٣).

(٤) أخرجه: الطبري/تفسيره(١٠/٦٢٩)، ابن أبي حاتم/تفسيره(٨٦٤٦)(٥/١٦٣٢).

(٥) أخرجه: ابن أبي حاتم/ تفسيره (٨٦٤٩)(٥/١٦٣٣).

كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذَا بُشِّرَتْ بِمَوْلُودٍ لَمْ تَسْأَلْ إِلَّا عَنْ صُورَتِهِ لَا عَنْ ذُكُورِيَّتِهِ وَأُنوثِيَّتِهِ[1].

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **(وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا)** هُمَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَسَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وَكِلَاهُمَا إِمَامٌ مِنَ التَّابِعِينَ.

وَالْحَقُّ الثَّابِتُ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ الضَّمِيرَ (أَلِفُ الاثْنِينِ) فِي الْآيَةِ لَا يُرَادُ مِنْهُ آدَمُ وَحَوَّاءُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، **قال ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:** "وَأَمَّا نَحْنُ فَعَلَى مَذْهَبِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ[2].

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ وَفِي صِحَّةِ هَذِهِ الْآثَارِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُ عَامَّةِ السَّلَفِ وَأهل التَّفْسِيرِ: أَنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ، عَلَى مَا أَسْلَفْنَا.

وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَاخْتَارَهُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وَصَالِحُ آلُ الشَّيْخِ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ وَقَعَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، لَكِنَّهُ شِرْكٌ فِي الطَّاعَةِ، وَلَيْسَ فِي الْعِبَادَةِ[3].

وَالثَّانِي: قَوْلُ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ: أَنَّ الْمَعْنِيَّ بِذَلِكَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ بَنِي آدَمَ جَعَلَا لِلَّهِ شُرَكَاءَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ حِينَ رَزَقَهُمَا مَا رَزَقَهُمَا مِنَ الْوَلَدِ[4]، وَاخْتَارَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ[5]، وَغَيْرُهُمْ.

فَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠] قَالَ: كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِآدَمَ"[6].

وَعَنْ مَعْمَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "عَنَى بِهَذَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ، مَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ. يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠]"[7].

---

(١) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد (ص٥٥١).

(٢) ابن كثير/ تفسيره (٣/ ٤٧٧).

(٣) الفوزان/ إعانة المستفيد (٢/ ٢٠٤)، صالح آل الشيخ/ التمهيد (ص ٤٩٨).

(٤) الطبري/ جامع البيان (١٠/ ٦٢٨)، البغوي/ تفسيره (٢/ ٢٥٨).

(٥) القرطبي/ تفسيره (٧/ ٣٣٩)، ابن كثير/ تفسيره (٣/ ٤٧٥).

(٦) صحيح، أخرجه: الطبري/تفسيره(١٣/ ٣١٤).

(٧) صحيح، أخرجه: الطبري/تفسيره(١٣/ ٣١٤).

وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: "هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَوْلَادًا فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا"[1].

وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا تَغَشَّاهَا: أَيْ: هَذَا الرَّجُلُ الْكَافِرُ، حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوْتُمَا اللَّهَ رَبَّكُمَا[2].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَعْنَاهُ: جَعَلَ أَوْلَادُهُمَا لَهُ شُرَكَاءَ فَحَذَفَ الْأَوْلَادَ وَأَقَامَهُمَا مَقَامَهُمْ كَمَا أَضَافَ فِعْلَ الْآبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ فِي تَعْيِيرِهِمْ بِفِعْلِ الْآبَاءِ، فَقَالَ: ﴿**ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ**﴾ [الْبَقَرَةُ:٥١]، ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً**﴾ [الْبَقَرَةُ:٧٢] خَاطَبَ بِهِ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ مِنْ آبَائِهِمْ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خَاطَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النِّسَاءُ:١]، أَيْ: خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَبِيهِ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، أَيْ: جَعَلَ مِنْ جِنْسِهَا زَوْجَهَا[3].

وَاعْتَمَدَ هَؤُلَاءِ فِي تَفْسِيرِهِمْ هَذَا عَلَى أَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِثْلُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ شِرْكٌ، وَآدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نَبِيٌّ، وَالْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ عَنْ الْكَبَائِرِ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ.

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ، لِمَا فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُضَافِ مِنَ الْعَظَائِمِ بِنَبِيِّ اللَّهِ آدَمَ[4].

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ اللهَ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿**فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ وَلَمْ يَقُلْ يُشْرِكَانِ[5].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَذِكْرُ آدَمَ وَحَوَّاءَ أَوَّلًا كَالتَّوْطِئَةِ لِمَا بَعْدَهُمَا مِنْ الْوَالِدَيْنِ، وَهُوَ كَالِاسْتِطْرَادِ مِنْ ذِكْرِ الشَّخْصِ إِلَى الْجِنْسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾ [الْمُلْكُ:٥] الْآيَةُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَصَابِيحَ وَهِيَ النُّجُومُ الَّتِي زُيِّنَتْ بِهَا السَّمَاءُ لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي

---

(١) صحيح، الطبري/ تفسيره (١٠/ ٦٢٩).

(٢) الطبري/ تفسيره (١٠/ ٦٢٨).

(٣) البغوي/ تفسيره (٢/ ٢٥٨).

(٤) القرطبي/ تفسيره (٧/ ٣٣٩).

(٥) القرطبي/ تفسيره (٧/ ٣٣٩)

يُرْمَى بِهَا، وَإِنَّمَا هَذَا اسْتِطْرَادٌ مِنْ شَخْصِ الْمَصَابِيحِ إِلَى جِنْسِهَا، وَلِهَذَا نَظَائِرُ فِي الْقُرْآنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يُرَادُ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ. فَأَمَّا الْخَبَرُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَقَدِ انْقَضَى عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠] ثُمَّ اسْتُؤْنِفَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٩٠][٢].

وَأَمَّا حَدِيثُ سَمُرَةَ: سَمَّى آدَمُ ابْنَهُ: "عَبْدَ الْحَارِثِ"[٣] فَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا الْحَدِيثُ مَعْلُولٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ عُمَرَ بنَ إِبْرَاهِيمَ –رَاوِيَ الْأَثَرِ– هَذَا هُوَ الْبَصْرِيُّ وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَلَكِنْ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَلَكِنْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الْمُعْتَمِرِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ مَرْفُوعًا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ مِنْ قَوْلِ سَمُرَةَ نَفْسِهِ لَيْسَ مَرْفُوعًا، كَمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بنِ الشِّخِّيرِ عَنْ سُمْرَةَ بنِ جُنْدُبٍ قَالَ: سَمَّى آدَمُ ابْنَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْحَسَنَ نَفْسَهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِغَيْرِ هَذَا، فَلَوْ كَانَ هَذَا عِنْدَهُ عَنْ سُمْرَةَ مَرْفُوعًا لَمَا عَدَلَ عَنْهُ[٤].

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي شَأْنِ آدَمَ وَحَوَّاءَ قَالَ: وَهَذِهِ الْآثَارُ يَظْهَرُ عَلَيْهَا– وَاللَّهُ أَعْلَمُ– أَنَّهَا مِنْ آثَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ صَحَّ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**)[٥]، ثُمَّ أَخْبَارُهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ فَمِنْهَا مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَمِنْهَا مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ

---

(١) ابن كثير/ تفسيره (٣/ ٤٧٧).

(٢) الطبري/ جامع البيان (١٠/ ٦٣٠).

(٣) الطبري/ تفسيره(١٣/ ٣١٠).

(٤) ابن كثير/ تفسيره (٣/ ٤٧٥).

(٥)حسن، أخرجه: أحمد/مسنده(١٧٢٢٥)(٢٨/٤٦٠).

بِمَا دَلَّ عَلَى خِلَافِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَيْضًا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ فَهُوَ الْمَأْذُونُ فِي رِوَايَتِهِ بِقَوْلِهِ ﷺ: **(حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ)**[1]، وَهُوَ الَّذِي لَا يُصَدَّقُ وَلَا يُكَذَّبُ؛ لِقَوْلِهِ: **(فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ)** وهذا الأثر هُوَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ فِيهِ نَظَرٌ، فَأَمَّا مَنْ حَدَّثَ بِهِ مِنْ صَحَابِيٍّ أَوْ تَابِعِيٍّ فَإِنَّهُ يَرَاهُ مِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ[2].

وَذَكَرَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ، وُجُوهًا أُخْرَى تُؤَيِّدُ عَدَمَ صِحَّةِ النِّسْبَةِ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ، فَقَالَ: وَهَذِهِ الْقِصَّةُ بَاطِلَةٌ مِنْ وُجُوهٍ:

الْوَجْهِ الْأَوَّلِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ صَحِيحٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا مِنْ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَا تُتَلَقَّى إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ: إِنَّهَا رِوَايَةُ خُرَافَةٍ مَكْذُوبَةٍ مَوْضُوعَةٍ.

الْوَجْهِ الثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ؛ لَكَانَ حَالُهُمَا إِمَّا أَنْ يَتُوبَا مِنْ الشِّرْكِ أَوْ يَمُوتَا عَلَيْهِ، فَإِنْ قُلْنَا: مَاتَا عَلَيْهِ؛ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الزَّنَادِقَةِ:

إِذَا مَا ذَكَرْنَا آدَما وَفِعَالَهُ ... وَتَزْوِيجَهُ بِنْتَيْهِ بِابْنَيْهِ بِالْخَنَا

عَلِمْنَا بِأَنَّ الْخَلْقَ مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ ... وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ عُنْصُرِ الزِّنَا

فَمَنْ جَوَّزَ مَوْتَ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الشِّرْكِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ، وَإِنْ كَانَ تَابَا مِنْ الشِّرْكِ؛ فَلَا يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يَذْكُرَ خَطَأَهُمَا وَلَا يَذْكُرَ تَوْبَتَهُمَا مِنْهُ، فَيَمْتَنِعُ غَايَةَ الِامْتِنَاعِ أَنْ يَذْكُرَ اللهُ الْخَطِيئَةَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَقَدْ تَابَا، وَلَمْ يَذْكُرْ تَوْبَتَهُمَا، وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا ذَكَرَ خَطِيئَةَ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ذَكَرَ تَوْبَتَهُمْ مِنْهَا، كَمَا فِي قِصَّةِ آدَمَ نَفْسِهِ حِينَ أَكَلَ مِنْ الشَّجَرَةِ وَزَوْجِهِ، وَتَابَا مِنْ ذَلِكَ.

الْوَجْهِ الثَّالِثِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الشِّرْكِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.

الْوَجْهِ الرَّابِعِ: أَنَّهُ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى آدَمَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ، فَيَعْتَذِرُ بِأَكْلِهِ مِنْ الشَّجَرَةِ وَهُوَ مَعْصِيَةٌ، وَلَوْ وَقَعَ مِنْهُ الشِّرْكُ؛ لَكَانَ اعْتِذَارُهُ بِهِ أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَحْرَى.

الْوَجْهِ الْخَامِسِ: أَنَّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ: "أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي

---

(١) أخرجه: البخاري/صحيحه(٣٤٦١)(٤/١٧٠).

(٢) ابن كثير/ تفسيره (٣/ ٤٧٧).

أَخْرَجْتُكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ"، وَهَذَا لَا يَقُولُهُ مَنْ يُرِيدُ الْإِغْوَاءَ، وَإِنَّمَا يَأْتِي بِشَيْءٍ يُقَرِّبُ قَبُولَ قَوْلِهِ، فَإِذَا قَالَ: "أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ"، فَسَيَعْلَمَانِ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمَا، فَلَا يَقْبَلَانِ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلاً.

الْوَجْهِ السَّادِسِ: أَنَّ فِي قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ: "لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ": إِمَّا أَنْ يُصَدِّقَا أَنَّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ فِي حَقِّهِ؛ فَهَذَا شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَا يُصَدِّقَا؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَا قَوْلَهُ وَهُمَا يَعْلَمَانِ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي حَقِّهِ.

فَهَذِهِ الْوُجُوهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ بَاطِلَةٌ مِنْ أَسَاسِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ أَنْ يَقَعَ مِنْهُمَا شِرْكٌ بِأَيِّ حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ، وَالْأَنْبِيَاءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ الشِّرْكِ، مُبَرَّءُونَ مِنْهُ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعَلَى هَذَا؛ فَيَكُونُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ كَمَا أَسْلَفْنَا أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى بَنِي آدَمَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شِرْكًا حَقِيقِيًّا، فَإِنَّ مِنْهُمْ مُشْرِكًا، وَمِنْهُمْ مُوَحِّدًا[١].

الثَّالِثَةُ: يُسْتَفَادُ مِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ عِدَّةُ فَوَائِدَ:

الْأُولَى: فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى بَيَانِ الْحِكْمَةِ مِنَ الزَّوَاجِ، وَأَنَّهَا السَّكَنُ وَالِاسْتِيلَاءُ، وَيَتْبَعُ ذَلِكَ بَقِيَّةُ الْأَغْرَاضِ مِنَ الصِّيَانَةِ، وَالْقِوَامَةِ، وَالنَّفَقَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالْمَرْأَةُ بِلَا رَجُلٍ تَكُونُ مُعَذَّبَةً، وَالرَّجُلُ بِلَا امْرَأَةٍ يَكُونُ مُعَذَّبًا، أَمَّا إِذَا اجْتَمَعَ زَوْجَانِ مُتَنَاسِبَانِ فَهَذَا مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ حُصُولَ الْأَوْلَادِ الْأَسْوِيَاءِ فِي خِلْقَتِهِمْ، الصَّالِحِينَ فِي دِينِهِمْ؛ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النَّحْلُ:٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٩].

الثَّالِثَةُ: التَّحْذِيرُ مِنْ كَيْدِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعَدَاوَةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ لَا يَدَّخِرُ وُسْعًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فِي إِغْوَائِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الْإِسْرَاءُ:٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، فَهُوَ يُهَدِّدُ وَيَتَوَعَّدُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ تَعْبِيدَ الْأَسْمَاءِ لِغَيْرِ اللهِ يُعْتَبَرُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ، وَهُوَ شِرْكُ الطَّاعَةِ، إِذَا لَمْ

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٣٠٨-٣١٠).

يُقْصَدْ بِهِ مَعْنَى الْعُبُودِيَّةِ، فَإِذَا قُصِدَ بِهِ مَعْنَى الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّأَلُّهِ صَارَ مِنْ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي عُبَّادِ الْقُبُورِ الَّذِينَ يُسَمُّونَ أَوْلَادَهُمْ: (عَبْدَ الْحُسَيْنِ) أَوْ (عَبْدَ الرَّسُولِ) أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، هَؤُلَاءِ فِي الْغَالِبِ يَقْصِدُونَ التَّأَلُّهَ، وَالتَّعَبُّدَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، لَا مُجَرَّدَ التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا بِأَلْوَانِ الْعِبَادَةِ كَالدُّعَاءِ وَالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ، فَهَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ[1].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ السَّلَفِ الْفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشِّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ.

---

(١) الفوزان/ إعانة المستفيد(٢/ ٢٠٦).

الْبَابُ (٥٠)

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠] الْآيَةَ.

إِنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتَصَّ بِأَسْمَاءَ كَامِلَةِ الْحُسْنِ لَفْظًا وَمَعْنًى، وَقَدْ أَفْرَدَ نَفْسَهُ بِحُسْنِهَا وَكَمَالِهَا، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الْإِسْرَاءُ:١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الْحَشْرُ:٢٢-٢٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[1].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ هِيَ لَامُ الِاخْتِصَاصِ وَالتَّفَرُّدِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ بَعْضَ أَسْمَائِهِ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرَ بَعْضَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وَقَدْ جَاءَ الْخِطَابُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالتَّصْدِيقِ بِهَا عَلَى نَحْوِ مَا وَرَدَتْ عَلَى مُرَادِ اللهِ تَعَالَى، وَمُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ.

طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ:

مَضَى أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى التَّصْدِيقِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ دُونَمَا إِلْحَادٍ بِتَمْثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: طَرِيقَةُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مَعَ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ: لَا فِي

---

(١) أخرجه: البخاري/صحيحه(٧٣٩٢)(٩/١١٨)، مسلم/صحيحه(٢٦٧٧)(٤/٢٠٦٣).

أَسْمَائِهِ وَلَا فِي آياتِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصِّلَتْ:٤٠].

فَطَرِيقَتُهُمْ تَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَعَ نَفْيِ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ: إِثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَى:١١]، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ لِلتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رَدٌّ لِلْإِلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ[1].

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يُصَدِّقُونَ بِأَسْمَاءِ اللهِ، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ مَعَانٍ وَصِفَاتٍ وَآثَارٍ.

فَإِنَّ أَسْمَاءَهُ تَعَالَى مُشْتَقَّةٌ وَلَيْسَتْ جَامِدَةً، فَمَا مِنِ اسْمٍ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ وَصْفٍ هُوَ الْمَصْدَرُ، فَاسْمُ اللهِ (الْحَيِّ) مَثَلًا مُشْتَقٌّ مِنْ وَصْفٍ هُوَ الْحَيَاةُ، فَلَزِمَ أَنْ يُؤْمِنَ الْمُسْلِمُ بِاسْمِهِ الْحَيِّ وَبِصِفَتِهِ الْحَيَاةِ.

فَإِنْ كَانَ لِلِاسْمِ مَصْدَرٌ مُتَعَدٍّ؛ لَزِمَ الْمُسْلِمَ أَنْ يُصَدِّقَ بِالِاسْمِ وَالصِّفَةِ وَأَثَرِ ذَلِكَ الِاسْمِ، فَـ (الرَّحِيمُ) اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَهُ أَثَرٌ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَكَذَا اسْمُهُ (الْحَكِيمُ، وَالْعَلِيمُ، وَالصَّبُورُ، وَالشَّكُورُ، وَغَيْرُهَا) فَيَلْزَمُ التَّصْدِيقُ بِالِاسْمِ وَالصِّفَةِ وَالْأَثَرِ.

وَقَدْ جَاءَتْ قَاعِدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِشَأْنِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى جَامِعَةً ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ:

أَوَّلُهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّهَا أَسْمَاءُ للهِ سَمَّى بِهَا نَفْسَهُ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠].

ثَانِيهَا: الْإِيمَانُ بِمَا تَضَمَّنَهُ الِاسْمُ مِنْ صِفَةٍ وَأَثَرٍ، فَإِذَا كَانَ الِاسْمُ مُتَعَدِّيًا؛ لَزِمَهُمْ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ فِي تَحْقِيقِ تِلْكَ الصِّفَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَا يُنَاسِبُ ذَوَاتِهِمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)[2]، وَالْمُرَادُ بِإِحْصَائِهَا: إِطَاقَةُ

---

(١) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى (٣/ ٣).

(٢) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٧٣٩٢) (٩/ ١١٨)، مسلم/ صحيحه (٢٦٧٧) (٤/ ٢٠٦٣).

الْقِيَامِ بِحَقِّهَا، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا.

ثَالِثُهَا: إِذَا كَانَ الِاسْمُ مُشْتَقًّا مِنْ مَصْدَرٍ لَازِمٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَدَّى مُسَمَّاهُ، كَاسْمِهِ (الْمُتَكَبِّرِ) فَإِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّكَبُّرِ، وَهِيَ صِفَةٌ لَا تَتَعَدَّى ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةَ إِلَى غَيْرِهِ، وَكَاسْمِهِ (الْعَظِيمِ) فَإِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَظَمَةِ، فَلَا تَتَعَدَّى ذَاتَهُ سُبْحَانَهُ، وَلَا يُؤْذَنُ لِلْعَبْدِ الِاتِّصَافُ بِهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تُنَاسِبُ نَقْصَ ذَاتِهِ وَضَعْفَهَا؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**)[1].

مُنَاسَبَةُ الْبَابِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ:

إِنَّ مُنَاسَبَتَهُ لِلْكِتَابِ ظَاهِرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّصْدِيقَ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، وَهِيَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ الْمَرْءِ إِلَّا بِهَا.

وَقَدْ وَسَمَ الْمُصَنِّفُ الْبَابَ بِـ:

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠] الْآيَةَ.

قَوْلُهُ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا...**﴾ **قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** أَمْرٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَمُجَانَبَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُلْحِدِينَ.

قَالَ مُقَاتِلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ: أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبًّا وَاحِدًا، فَمَا بَالُ هَذَا يَدْعُو رَبَّيْنِ اثْنَيْنِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[2].

و(الْحُسْنَى): تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ، كَالْكُبْرَى وَالصُّغْرَى تَأْنِيثُ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ[3]، وَهِيَ

---

(١) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(٤٠٩٠)(٤/٥٩).

(٢) القرطبي/ تفسيره (٧/ ٣٢٥).

(٣) البغوي/ تفسيره (٢/ ٢٥٣).

أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ حَسَنَةٍ مِنْ تَمْجِيدٍ وَتَقْدِيسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ[1].

وَأَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَى كُلُّهَا حُسْنَى غَايَةَ الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ؛ لِأَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتٍ كَامِلَةٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ لَا احْتِمَالاً وَلَا تَقْدِيراً.

مِثَالُ ذَلِكَ: **(الْحَيُّ)** اسْمٌ للهِ تَعَالَى مُتَضَمِّنٌ لِلْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي لَمْ تُسْبَقْ بِعَدَمٍ، وَلَا يَلْحَقُهَا زَوَالٌ.

وَحَيَاتُهُ مُنَزَّهَةٌ عَنْ مُشَابَهَةِ حَيَاةِ الْخَلْقِ، فَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَوْتُ، وَلَا تَأْخُذُهَا سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا**﴾ [الْفُرْقَانُ: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...**﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...**﴾ [غَافِرُ:٦٥].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **(اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)**[2].

وَ**(الْعَلِيمُ)** اسْمٌ للهِ تَعَالَى مُتَضَمِّنٌ لِلعِلْمِ الْكَامِلِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ بِجَهْلٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**...عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**﴾[طه:٥٢].

وَالْعَلِيمُ مُتَضَمِّنٌ لِلْعِلْمِ الْوَاسِعِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ مُجْمَلاً وَمُفَصَّلاً ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[الْأَنْعَامُ:٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[هُودُ:٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[التَّغَابُنُ:٤].

---

(١) الزمخشري/تفسيره(٢/ ١٨٠).

(٢) أخرجه: مسلم/صحيحه(٢٧١٧)(٤/ ٢٠٨٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لُقْمَانُ:٣٤].

فَالْعَلِيمُ: هُوَ الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، وَالظَّاهِرَاتِ وَالْخَفِيَّاتِ، وَالْحَاضِرَاتِ وَالْغَائِبَاتِ، وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ، يَعْلَمُ مَثَاقِيلَ الْجِبَالِ، وَمَكَايِيلَ الْبِحَارِ، وَعَدَدَ قَطْرِ الْأَمْطَارِ، وَعَدَدَ وَرَقِ الْأَشْجَارِ، وَعَدَدَ مَنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهَارُ، وَلَا تُوَارِي مِنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا، وَلَا بَحْرٌ مَا فِي قَعْرِهِ، وَلَا جَبَلٌ مَا فِي وَعْرِهِ.

وَ**(الرَّحْمَنُ)** اسْمٌ للهِ تَعَالَى مُتَضَمِّنٌ لِلرَّحْمَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[الْأَنْعَامِ:١٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النُّورُ:١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّورُ:٢١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)**[١].

وَعَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً؛ فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ)**[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)**[٣].

---

(١) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٣١٩٤) (٤/١٠٦).

(٢) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٢٧٥٣) (٤/٢١٠٩).

(٣) أخرجه: البخاري/صحيحه(٦٠٠٠)(٨/٨).

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: (**أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**)، قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: (**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**)[1].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَسْمَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى كُلُّهَا أَسْمَاءُ مَدْحٍ وَلَوْ كَانَتْ أَلْفَاظًا مُجَرَّدَةً لَا مَعَانِيَ لَهَا لَمْ تَدُلَّ عَلَى الْمَدْحِ، وَقَدْ وَصَفَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهَا حُسْنَى كُلُّهَا فَقَالَ: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يعملُونَ**﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠] فَهِيَ لَمْ تَكُنْ حُسْنَى لِمُجَرَّدِ اللَّفْظِ، بَلْ لِدَلَالَتِهَا عَلَى أَوْصَافِ الْكَمَالِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَمِعَ بَعْضُ الْعَرَبِ قَارِئًا يَقْرَأُ: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ**﴾ [الْمَائِدَةُ:٣٨] (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، قَالَ: لَيْسَ هَذَا كَلَامَ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ الْقَارِئُ: أَتُكَذِّبُ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا بِكَلَامِ اللهِ، فَعَادَ إِلَى حِفْظِهِ وَقَرَأَ: ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الْمَائِدَةُ:٣٨]، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: صَدَقْتَ، عَزَّ فَحَكَمَ فَقَطَعَ، وَلَوْ غَفَرَ وَرَحِمَ لَمَا قَطَعَ"[2].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُوصَفُ مِنْ كُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ بِأَكْمَلِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَعْلَاهَا، فَيُوصَفُ مِنَ الْإِرَادَةِ بِأَكْمَلِهَا وَهُوَ الْحِكْمَةُ وَحُصُولُ كُلِّ مَا يُرِيدُ بِإِرَادَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [هُودُ:١٠٧]، وَبِإِرَادَةِ الْيُسْرِ لَا الْعُسْرِ، كَمَا قَالَ: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [الْبَقَرَةُ:١٨٥]، وَبِإِرَادَةِ الْإِحْسَانِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**﴾ [النِّسَاءُ:٢٧]، فَإِرَادَةُ التَّوْبَةِ لَهُ، وَإِرَادَةُ الْمَيْلِ لِمُبْتَغِي الشَّهَوَاتِ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [الْمَائِدَةُ:٦]، وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ يَصِفُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِأَعْلَى أَنْوَاعِهِ، كَالصِّدْقِ، وَالْعَدْلِ، وَالْحَقِّ، وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ يَصِفُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِأَكْمَلِهِ وَهُوَ الْعَدْلُ وَالْحِكْمَةُ

---

(١) أخرجه: البخاري/صحيحه(٥٩٩٩)(٨/٨).

(٢) ابن القيم/جلاء الأفهام (ص١٧٢).

وَالْمَصْلَحَةُ وَالنِّعْمَةُ.

فَالْعَلِيمُ الْخَبِيرُ أَكْمَلُ مِنَ الْفَقِيهِ وَالْعَارِفِ، وَالْكَرِيمُ الْجَوَادُ أَكْمَلُ مِنَ السَّخِيِّ، وَالْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ أَكْمَلُ مِنَ الصَّانِعِ الْفَاعِلِ، وَلِهَذَا لَمْ تَجِيءْ هَذِهِ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَالرَّحِيمُ وَالرَّؤُوفُ أَكْمَلُ مِنَ الشَّفِيقِ وَالْمُشْفِقِ، فَعَلَيْكَ بِمُرَاعَاةِ مَا أَطْلَقَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْوُقُوفِ مَعَهَا، وَعَدَمِ إِطْلَاقِ مَا لَمْ يُطْلِقْهُ عَلَى نَفْسِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مُطَابِقاً لِمَعْنَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَحِينَئِذٍ فَيُطْلَقُ الْمَعْنَى لِمُطَابَقَتِهِ لَهُ دُونَ اللَّفْظِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مُجْمَلاً أَوْ مُنْقَسِماً إِلَى مَا يُمْدَحُ بِهِ، وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ إِلَّا مُقَيَّدًا، وَهَذَا كَلَفْظِ الْفَاعِلِ وَالصَّانِعِ، فَإِنَّهُ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى إِلَّا إِطْلَاقاً مُقَيَّداً أَطْلَقَهُ عَلَى نَفْسِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [الْبُرُوجُ:١٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إِبْرَاهِيمُ:٢٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النَّمْلُ:٨٨]، فَإِنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ وَالصَّانِعِ مُنْقَسِمُ الْمَعْنَى إِلَى مَا يُمْدَحُ عَلَيْهِ وَيُذَمُّ.

وَلِهَذَا الْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَمْ يَجِئْ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْمُرِيدُ كَمَا جَاءَ فِيهَا السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَلَا الْمُتَكَلِّمُ وَلَا الْآمِرُ النَّاهِي لِانْقِسَامِ مُسَمَّى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، بَلْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِكَمَالَاتِهَا وَأَشْرَفِ أَنْوَاعِهَا.

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ غَلَطُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَزَلَقُهُ الْفَاحِشُ فِي اشْتِقَاقِهِ لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ اسْماً مُطْلَقاً فَأَدْخَلَهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، فَاشْتَقَّ لَهُ اسْمَ الْمَاكِرِ، وَالْخَادِعِ، وَالْفَاتِنِ، وَالْمُضِلِّ، وَالْكَاتِبِ، وَنَحْوِهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ [الْأَنْفَالُ:٣٠]، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النِّسَاءُ:١٤٢]، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:١٣١]، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [الرَّعْدُ:٢٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [الْمُجَادِلَةُ:٢١]، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُطْلِقْ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، فَإِطْلَاقُهَا عَلَيْهِ لَا يَجُوزُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَفْعَالٍ مُخْتَصَّةٍ مُقَيَّدَةٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ مُسَمَّى الِاسْمِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ مُسَمَّى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مُنْقَسِمٌ إِلَى مَا يُمْدَحُ عَلَيْهِ الْمُسَمَّى بِهِ، وَإِلَى مَا يُذَمُّ،

فَيَحْسُنُ فِي مَوْضِعٍ، وَيَقْبُحُ فِي مَوْضِعٍ، فَيُمْتَنَعُ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ.

الرَّابِعُ: أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الَّتِي يُسَمَّى بِهَا سُبْحَانَهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِهَا فَإِنَّ أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَعَالَى كُلَّهَا حُسْنَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠]، وَهِيَ الَّتِي يُحِبُّ سُبْحَانَهُ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَيُحْمَدَ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا.

الْخَامِسُ: أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ لَوْ سُمِّيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَقِيلَ لَهُ هَذِهِ مِدْحَتُكَ وَثَنَاءٌ عَلَيْكَ، فَأَنْتَ الْمَاكِرُ الْفَاتِنُ الْمُخَادِعُ الْمُضِلُّ اللَّاعِنُ الْفَاعِلُ الصَّانِعُ وَنَحْوُهَا لَمَا كَانَ يَرْضَى بِإِطْلَاقِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِ وَيَعُدُّهَا مَدْحَةً، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﷻ عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِلُونَ بِهِ عُلُوًّا كَبِيراً.

السَّادِسُ: أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ يَلْزَمُهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَسْمَائِهِ اللَّاعِنَ وَالْجَائِيَ وَالآتِيَ وَالذَّاهِبَ وَالتَّارِكَ وَالْمُقَاتِلَ وَالصَّادِقَ وَالْمُنَزِّلَ وَالنَّازِلَ وَالْمَذْمُومَ وَالْمُدَمِّرَ وَأَضْعَافَ أَضْعَافِ ذَلِكَ، فَيَشْتَقُّ لَهُ اسْماً مِنْ كُلِّ فِعْلٍ أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِلَّا تَنَاقَضَ تَنَاقُضاً بَيِّناً، وَلَا أَحَدَ مِنَ الْعُقَلَاءِ طَرَدَ ذَلِكَ، فَعُلِمَ بُطْلَانُ قَوْلِهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[1].

وَأَسْمَاءُ اللهِ لَا تَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ وَلَا تُحَدُّ بِعَدَدٍ، فَإِنَّ للهِ تَعَالَى أَسْمَاءَ وَصِفَاتٍ اسْتَأْثَرَ بِهَا فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا)**[2].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ حَصْرُهُ، وَلَا الْإِحَاطَةُ بِهِ.

فَجَعَلَ أَسْمَاءَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

- قِسْمٌ سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ فَأَظْهَرَهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، أَوْ غَيْرِهِمْ، وَلَمْ يُنْزِلْ بِهِ كِتَابَهُ.
- وَقِسْمٌ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ فَتَعَرَّفَ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ.

---

(١) ابن القيم/طريق الهجرتين (ص٤٨٧).

(٢) صحيح، أخرجه: أحمد/مسنده(٣٧١٢)(٦/٢٤٦).

- وَقِسْمٌ اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ، فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: **(اسْتَأْثَرْتُ بِهِ)** أَيْ: انْفَرَدْتُ بِعِلْمِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ انْفِرَادَهُ بِالتَّسَمِّي بِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الِانْفِرَادَ ثَابِتٌ فِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَنْزَلَ بِهَا كِتَابَهُ.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: **(ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي)**[1] وَتِلْكَ الْمَحَامِدُ هِيَ بِأَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ.

وَمِنْهُ: قَوْلُهُ ﷺ: **(لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)**[2][3].

وَلَا يُعَارِضُهُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: **(إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[4]؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَدُلُّ عَلَى حَصْرِهَا فِي الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ الْحَصْرَ لَكَانَتْ الْعِبَارَةُ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

بَلْ مَعْنَاهُ: أَيُّمَا عَبْدٍ أَحْصَى للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: **(مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)** جُمْلَةً مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا، وَلَيْسَتْ مُسْتَقِلَّةً، وَنَظِيرُ هَذَا أَنْ تَقُولَ: عِنْدِي مِائَةُ دِرْهَمٍ أَعْدَدْتُهَا لِلصَّدَقَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ دَرَاهِمُ أُخْرَى لَمْ تُعِدَّهَا لِلصَّدَقَةِ[5].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) يَحْتَمِلُ وُجُوهاً:

أَحَدُهَا: أَنْ يَعُدَّهَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَهَا، بِمَعْنَى أَنْ لَا يَقْتَصِرَ عَلَى بَعْضِهَا، بَلْ يَدْعُو اللهَ بِهَا كُلِّهَا، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِجَمِيعِهَا فَيَسْتَوْجِبُ الْمَوْعُودَ عَلَيْهَا مِنَ الثَّوَابِ.

ثَانِيهَا: الْمُرَادُ بِالْإِحْصَاءِ: إِطَاقَةُ الْقِيَامِ بِحَقِّهَا، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، وَهُوَ أَنْ يَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهَا، فَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِمَوَاجِبِهَا، فَإِذَا قَالَ: الرَّزَّاقُ، وَثِقَ بِالرِّزْقِ، وَإِذَا قَالَ: الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ وَثِقَ بِالرَّحْمَةِ.

ثَالِثُهَا: الْمُرَادُ بِهَا: الْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ مَعَانِيهَا، وَقِيلَ: أَحْصَاهَا: عَمِلَ بِهَا، فَإِذَا قَالَ: الْحَكِيمُ، سَلَّمَ لِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَأَقْدَارِهِ وَأَنَّهَا جَمِيعَهَا عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ، وَإِذَا قَالَ: الْقُدُوسُ، اسْتَحْضَرَ

---

(١) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٤٧١٢) (٦/ ٨٥).

(٢) أخرجه: مسلم/ صحيحه (٤٨٦) (١/ ٣٥٢).

(٣) ابن القيم/ فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى (ص٣٨-٣٩).

(٤) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٢٧٣٦) (٣/١٩٨).

(٥) انظر: ابن عثيمين/ القواعد المثلى (ص١٤).

كَوْنَهُ مُقَدَّسَاً مُنَزَّهَاً عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ[1].

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَا مَعْنَاهُ: طَرِيقُ الْعَمَلِ بِهَا أَنَّ الَّذِي يُسَوَّغُ الِاقْتِدَاءُ بِهِ فِيهَا كَالرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبّ أَنْ يَرَى حَلاَهَا عَلَى عَبْدِهِ، فَلْيُمَرِّنِ الْعَبْدُ نَفسه عَلَى أَنْ يَصِحَّ لَهُ الِاتِّصَافُ بِهَا، وَمَا كَانَ يَخْتَصُّ بِاللَّهِ تَعَالَى كَالْجَبَّارِ وَالْعَظِيمِ؛ فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْإِقْرَارُ بِهَا، وَالْخُضُوعُ لَهَا، وَعَدَمُ التَّحَلِّي بِصِفَةٍ مِنْهَا، وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الْوَعْدِ؛ نَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الطَّمَعِ وَالرَّغْبَةِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الْوَعِيدِ؛ نَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الْخَشْيَةِ وَالرَّهْبَةِ"[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ إِمَّا مِنَ الدَّعْوَةِ بِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ كَقَوْلِهِمْ: دَعَوْتُهُ زَيْدًا، أَوْ بِزَيْدٍ، أَيْ: سَمَّيْتُهُ، أَوِ الدُّعَاءُ بِمَعْنَى النِّدَاءِ كَقَوْلِهِمْ: دَعَوْتُ زَيْدًا، أَيْ: نَادَيْتُهُ[3].

وَفِي دُعَائِهِ بِهَا وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: نِدَاؤُهُ بِهَا عِنْدَ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ.

وَالثَّانِي: تَعْظِيمُهُ بِهَا تَعَبُّدَاً لَهُ بِذِكْرِهَا[4].

وَبَيَانُهُ أَنَّ دُعَاءَ اللهِ بِأَسْمَائِهِ لَهُ مَعْنَيَانِ:

الْأَوَّلُ: دُعَاءُ الْعِبَادَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَتَعَبَّدَ للهِ بِمَا تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ، وَقَدْ سُمِّيَ الدُّعَاءُ عِبَادَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[غَافِرُ:٦٠] وَلَمْ يَقُلْ: عَنْ دُعَائِي؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ.

فَمَثَلَاً: الرَّحِيمُ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَحِينَئِذٍ تَتَطَلَّعُ إِلَى أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ وَتَفْعَلُهَا، وَالْغَفُورُ يَدُلُّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، وَحِينَئِذٍ تَتَعَرَّضُ لِمَغْفِرَةِ اللهِ ﷻ بِكَثْرَةِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ كَذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالسَّمِيعُ: يَقْتَضِي أَنْ تَتَعَبَّدَ للهِ بِمُقْتَضَى السَّمْعِ، بِحَيْثُ لَا تُسْمِعُ اللهَ قَوْلَاً يُغْضِبُهُ وَلَا يَرْضَاهُ مِنْكَ. وَالْبَصِيرُ: يَقْتَضِي أَنْ تَتَعَبَّدَ للهِ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ الْبَصَرِ بِحَيْثُ لَا يَرَى مِنْكَ فِعْلَاً يَكْرَهُهُ مِنْكَ.

---

(١) الخطابي/أعلام الحديث(٢/١٣٤٢).

(٢) ابن بطال/شرحه على البخاري(١٠/٤٢٠)، ابن حجر/ فتح الباري (١١/٢٢٥) .

(٣) أبو المعالي الألوسي/ فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (ص٥٢).

(٤) الماوردي/ النكت والعيون (٢/ ٢٨٢).

الثَّانِي: دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ أَنْ تُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِكَ مُتَوَسِّلاً بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى.

مَثَلاً: يَا حَيُّ! يَا قَيُّومُ! اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَقَالَ ﷺ: **(فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)**(١) وَالإِنْسَانُ إِذَا دَعَا وَعَلَّلَ؛ فَقَدْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ بِهَذَا الاِسْمِ طَالِبًا أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِلْإِجَابَةِ، وَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الْمَدْعُوِّ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ سَبَبٌ لِلْإِجَابَةِ؛ فَالثَّنَاءُ عَلَى اللهِ بِأَسْمَائِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْإِجَابَةِ(٢).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ الدُّعَاءِ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كَمَا ذَكَرَ اللهُ وَأَمَرَ بِهِ(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ أَيْ: اتْرُكُوا طَرَائِقَ الَّذِينَ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، فَيُطْلِقُونَ أَسْمَاءَ اللهِ ﷻ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ يُنْكِرُونَ بَعْضَ أَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى بَعْضِ صِفَاتِهِ، أَوْ يُسَمُّونَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ(٤).

وَالْإِلْحَادُ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَيْلِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مَادَّةُ (لَ حَ دَ)، فَمِنْهُ اللَّحْدُ وَهُوَ الشَّقُّ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ الَّذِي قَدْ مَالَ عَنِ الْوَسَطِ، وَمِنْهُ الْمُلْحِدُ فِي الدِّينِ: الْمَائِلُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ(٥)، **قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ رَحِمَهُ اللَّهُ:** "الْمُلْحِدُ الْمَائِلُ عَنِ الْحَقِّ الْمُدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ" وَمِنْهُ الْمُلْتَحَدُ وَهُوَ مُفْتَعَلٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ [الْكَهْفُ:٢٧] أَيْ: مَنْ تَعْدُلُ إِلَيْهِ وَتَهْرُبُ إِلَيْهِ وَتَلْتَجِئُ إِلَيْهِ وَتَبْتَهِلُ فَتَمِيلُ إِلَيْهِ عَنْ غَيْرِهِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: الْتَحَدَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ إِذَا عَدَلَ إِلَيْهِ(٦).

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْإِلْحَادُ فِي الدِّينِ، هُوَ الْمُعَانَدَةُ بِالْعُدُولِ عَنْهُ، وَالتَّرْكُ لَهُ"(٧).

وَقَالَ الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالإِلْحَادُ ضَرْبَانِ: إِلْحَادٌ إِلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَإِلْحَادٌ إِلَى الشِّرْكِ

---

(١) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٨٣٤) (١/ ١٦٦).

(٢) ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٣١٥).

(٣) ابن القيم/ بدائع التفسير (٢/ ٣١٦).

(٤) مجد مكي/ المعين (ص١٧٤).

(٥) انظر: ابن فارس/مقاييس اللغة(٥/ ٢٣٦).

(٦) ابن القيم/ بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

(٧) الطبري/ تفسيره (١٥/ ٢٣٦).

بِالْأَسْبَابِ، فَالْأَوَّلُ يُنَافِي الْإِيمَانَ وَيُبْطِلُهُ، وَالثَّانِي: يُوْهِنُ عُرَاهُ وَلَا يُبْطِلُهُ"[1].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى: هُوَ الْعُدُولُ بِهَا وَبِحَقَائِقِهَا وَمَعَانِيهَا عَنْ الْحَقِّ الثَّابِتِ لَهَا[2].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ: أَنْ يُسَمَّى بِلَا تَوْقِيفٍ فِيهِ، أَوْ بِمَا يُوهِمُ مَعْنًى فَاسِدًا، كَمَا فِي قَوْلِ أَهْلِ الْبَدْوِ: يَا أَبَا الْمَكَارِمِ، يَا أَبْيَضَ الْوَجْهِ، يَا سَخِيُّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ[3].

وَالَّذِي نَخْتَارُهُ أَنَّ الْإِلْحَادَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى: هُوَ الْمَيْلُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى عَنْ الْهُدَى وَالْحَقِّ إِلَى الْعَمَى وَالضَّلَالِ مِنْ تَعْطِيلٍ، أَوْ تَشْبِيهٍ، أَوْ تَكْيِيفٍ، أَوْ تَسْمِيَةٍ مُفْتَرَاةٍ لَمْ يُسَمِّ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَلَمْ يُسَمِّهِ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ.

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالْإِلْحَادُ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى أَنْوَاعٌ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُسَمَّى بِهَا الْأَصْنَامُ؛ كَتَسْمِيَتِهِمْ اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ وَتَسْمِيَتِهِمْ الصَّنَمَ إِلَهًا، وَهَذَا إِلْحَادٌ؛ لِأَنَّهُمْ عَدَلُوا بِأَسْمَائِهِ إِلَى أَوْثَانِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ الْبَاطِلَةِ.

الثَّانِي: تَسْمِيَةُ اللهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ؛ كَتَسْمِيَةِ النَّصَارَى لَهُ أَبًا، وَتَسْمِيَةِ الْفَلَاسِفَةِ لَهُ مُوجِبًا بِذَاتِهِ أَوْ عِلَّةٍ فَاعِلَةٍ بِالطَّبْعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَثَالِثُهَا: وَصْفُهُ بِمَا يَتَعَالَى عَنْهُ وَيَتَقَدَّسُ مِنَ النَّقَائِصِ؛ كَقَوْلِ الْيَهُودِ ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ**﴾ [آلِ عِمْرَانَ:١٨١]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [الْمَائِدَةُ:٦٤] وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ إِلْحَادٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَرَابِعُهَا: تَعْطِيلُ الْأَسْمَاءِ عَنْ مَعَانِيهَا وَجَحْدُ حَقَائِقِهَا؛ كَقَوْلِ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ إِنَّ أَسْمَاءَهُ أَلْفَاظٌ مُجَرَّدَةٌ لَا تَتَضَمَّنُ صِفَاتٍ وَلَا مَعَانِيَ، فَيُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اسْمَ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالْحَيِّ وَالرَّحِيمِ وَالْمُتَكَلِّمِ وَالْمُرِيدِ، وَيَقُولُونَ لَا حَيَاةَ لَهُ وَلَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ وَلَا كَلَامَ وَلَا إِرَادَةَ تَقُومُ بِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِلْحَادِ فِيهَا عَقْلًا وَشَرْعًا وَلُغَةً وَفِطْرَةً، يُقَابِلُ إِلْحَادَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ سَمَّوْا آلِهَتَهُمْ وَوَصَفُوهَا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهَؤُلَاءِ سَلَبُوهُ صِفَاتِ كَمَالِهِ

---

(١) الأصفهاني/المفردات(ص٧٣٧).

(٢) ابن القيم/ بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

(٣) أبو المعالي الألوسي/ فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية(ص٥٢).

وَجَحَدُوهَا وَعَطَّلُوهَا، فَكِلَاهُمَا مُلْحِدٌ فِي أَسْمَائِهِ.

ثُمَّ الْجُهَمِيَّةُ وَفُرُوخُهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي هَذَا الْإِلْحَادِ، فَمِنْهُمْ الْغَالِي، وَالْمُتَوَسِّطُ، وَالْمَنْكُوبُ، وَكُلُّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِمَّا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، فَقَدْ أَلْحَدَ فِي ذَلِكَ، فَلْيَسْتَقِلْ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ.

وَخَامِسُهَا: تَشْبِيهُ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَهَذَا الْإِلْحَادُ فِي مُقَابَلَةِ إِلْحَادِ الْمُعَطِّلَةِ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ نَفَوْا صِفَةَ كَمَالِهِ وَجَحَدُوهَا، وَهَؤُلَاءِ شَبَّهُوهَا بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، فَجَمَعَهُمْ الْإِلْحَادُ، وَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ طُرُقُهُ، وَبَرَّأَ اللهُ أَتْبَاعَ رَسُولِهِ وَوَرَثَتِهِ الْقَائِمِينَ بِسُنَّتِهِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَمْ يَصِفُوهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلَمْ يَجْحَدُوا صِفَاتِهِ وَلَمْ يُشَبِّهُوهَا بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَعْدِلُوا بِهَا عَمَّا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ لَفْظًا وَلَا مَعْنًى، بَلْ أَثْبَتُوا لَهُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَنَفَوْا عَنْهُ مُشَابَهَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَكَانَ إِثْبَاتُهُمْ بَرِيئًا مِنَ التَّشْبِيهِ وَتَنْزِيهُهُمْ خَلِيًّا مِنَ التَّعْطِيلِ لَا كَمَنْ شَبَّهَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَعْبُدُ صَنَمًا أَوْ عَطَّلَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا عَدَمًا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ فِي النِّحَلِ كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَسَطٌ فِي الْمِلَلِ تُوقَدُ مَصَابِيحُ مَعَارِفِهِمْ مِنْ: ﴿**شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [النُّورُ:٣٥][1].

وَالْإِلْحَادُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هَدَّدَ الْمُلْحِدِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[الْأَعْرَافُ:١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "﴿**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الْأَعْرَافُ:١٨٠]: يُشْرِكُونَ"[2]. **وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:** "سَمَّوْا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ"[3].

قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **(يُشْرِكُونَ):** تَفْسِيرٌ لِلْإِلْحَادِ، أَوْ حُكْمِهِ، وَوُقُوعُ الْإِشْرَاكِ بِهَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

---

(١) ابن القيم/ بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

(٢)أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره(٨٦٨٦)(٥/١٦٢٣) عن قتادة وليس ابن عباس كما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه: الطبري/تفسيره(١٠/٥٩٧).

١. أَنْ يَجْعَلُوهَا دَالَّةً عَلَى الْمُمَاثَلَةِ.

٢. أَوْ يَشْتَقُّوا مِنْهَا أَسْمَاءَ لِلْأَصْنَامِ؛ كَاللَّاتِ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ، فَمَنْ جَعَلَهَا دَالَّةً عَلَى الْمُمَاثَلَةِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ للهِ مَثِيلاً، وَمَنْ أَخَذَ مِنْهَا أَسْمَاءَ لِأَصْنَامِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ مُسَمَّيَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مُشَارِكَةً للهِ ﷻ[١].

وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **(سَمَّوْا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ) قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ:** "وَهَذِهِ جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ للهِ تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِ مَعَ التَّأْنِيثِ، كَمَا قِيلَ: إِنَّ اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ، وَمَنَاةَ مِنْ مَنِيَ يَمْنِي إِذَا قَدِرَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا الرَّبَّةَ، وَهُمْ سَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي فِيهَا وَصْفُهُمْ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالتَّقْدِيرِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ سَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، أَيْ مِنْ كِتَابٍ وَحُجَّةٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْ أَحَداً بِأَنْ يَعْبُدَ أَحَداً غَيْرَهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِغَيْرِهِ شُرَكَاءَ فِي إِلَهِيَّتِهِ "[٢].

وَعَنْ الْأَعْمَشِ رَحِمَهُ اللهُ: "يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا"[٣].

هَذَا أَحَدُ أَنْوَاعِ الْإِلْحَادِ، وَهُوَ أَنْ يُسَمَّى اللهُ بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ، كَتَسْمِيَةِ النَّصَارَى لَهُ أَبًا وَنَحْوِهِ كَمَا سَبَقَ، وَمَنْ زَادَ فِيهَا فَقَدْ أَلْحَدَ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ فِيهَا الْوُقُوفُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ السَّمْعُ[٤].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهَا حُسْنَى.

الثَّالِثَةُ: الْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُلْحِدِينَ.

---

(١) ابن عثيمين/ القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣١٩).

(٢) ابن تيمية/ درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٦٦).

(٣) أخرجه: ابن أبي حاتم/تفسيره(٨٥٨٧)(٥/١٦٢٣).

(٤) سليمان آل الشيخ/ تيسير العزيز الحميد(ص٥٦٢)، ابن عثيمين/ القول المفيد(٢/ ٣٢٠).

الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِلْحَادِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ: وَعِيدُ مَنْ أَلْحَدَ.

فِهرِسُ الْقِسْمِ (٥)